

مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الرابع - المجلد التاسع والثلاثون

بقيسداد ٦٦

١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م

مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

هيئة التحرير

رئيس التحرير :

الدكتور صالح احمد العلي (رئيس المجمع)

مدير التحرير :

الدكتور نوري حمودي القيسي (الأمين العام للمجمع)

الأعضاء :

الدكتور احمد مطلوب

الدكتور جميل الملاكة

الأستاذ محمد بهجة الأنري

اللواء الركن محمود شيت خطاب



توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .

المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت او لم تنشر .



العنوان : الوزيرية/بريد الاعظمية/ص.ب ٤٠٢٢

بغداد - العراق

طارق بن زياد

فلاح شعر الأندلس

الملك محمد بن عبد الله

(عضو الجمع)

- ٢ -

القائد

١ - سماته القيادية عامة :

يتميز طارق على من سبقه من قادة الفتح الإسلامي ، وعلى من عاصره منهم ، بأنه أول قائد غير عربي تولى منصب القيادة ، في دولة تختار قادتها من العرب المسلمين ، ولا تولى القيادة مسلماً غير عربي ، بل ينبغي أن يكون القائد عربياً مسلماً .
كما تولى طارق القيادة ، وهو غير عربي ، على قادة من العرب ، عملوا بإمرته وتحت لوائه دون تردد ولا تذمر .

لقد كان طارق من البربر ، تولى قيادة جيش من جيوش المسلمين لفتح الأندلس ، على عهد الوليد بن عبد الملك ، أحد خلفاء بني أمية وأكثرهم فتوحاً ، وكانت الدولة الأموية تلتزم العرب وتعصب لهم ، فلا تولى القيادة إلا من كان عربياً أصيلاً . ولم يسبق أن تولى منصب القيادة منذ جاء الإسلام وبدأ الفتح الإسلامي ، إلى أيام طارق ، إلا عربي مسلماً أصيلاً .

بل لم يتسلم طارق هذا المنصب الرفيع في القيادة حسب ، بالرغم من نسبه إلى غير العرب ، فقد أصبح أيضاً قائداً على عدد من القادة العرب المسلمين

في الأندلس ، كانوا مع المدد البالغ تعداده خمسة آلاف مجاهد ، الذي أمدّ بهم موسى بن نصير طارفاً (١٨٢) ، فعمل هؤلاء القادة العرب بقيادة طارق ، وساروا بإمرته ، وخضعوا لسلطته ، وتفكّوا أوامره ووصاياه دون تردد .

بل لم يكن العربي المسلم ، ليتولّى منصب القيادة ، في عهد الدولة الأموية ، إلا إذا كان عربياً أصيلاً لا من قوارير . ذا حَسَبٍ ونسب ، رئيساً على قبيلته ، أو من بين أفراد عائلة ذلك الرئيس . ولكن ليس كلّ رئيس قبيلة يتولّى منصب قيادتها وقيادة غيرها من القبائل والشعوب الإسلامية الأخرى ، ولا كل فرد من أفراد عائلة رئيس القبيلة يتولّى منصب القيادة ، فهذا المنصب يتولاه رئيس القبيلة أو أحد أفراد عائلته ، إذا اتّسم بسمات قيادية معيّنة تؤهّله للقيادة ، أما الذي لا يتّسم بتلك السمات ، فلا يتولّى القيادة ، ويتولّاها من يتّسم بها من أفراد عائلة رئيس القبيلة ، لأنّ القائد الذي لا كفاية له ، يقود رجاله إلى الموت والمزيمة ، ولا يقودهم إلى السلامة والتصر ، ولا أحد يتولّى من لا كفاية له ، ولا أحد يتولّى القيادة بلا كفاية ، وبخاصة في أيام الحرب وفي ميادين القتال .

لقد كانت القيادة ، في تلك الأيام سبغاً لها : العربي المسلم أولاً ، والعربي الأصيل ذو الحسب والنسب ثانياً ، وذو الكفاية العالية في القيادة ثالثاً وأخيراً .

كان خالد بن الوليد - مثلاً - من بني مخزوم ، وهم بطن من عشرة أبطن من قريش ، انتهى إليها الشرف قبل الإسلام (١٨٣) ، فكان في بني مخزوم القُبّة وأعني الخيل ، أما القُبّة فكانوا يضربونها يجمعون فيها

(١٨٢) أخبار مجموعة (٧) .

(١٨٣) هم : بنو هاشم ، وبنو نوفل ، وبنو أمية ، وبنو عبد الدار ، وبنو تميم ، وبنو أسد ، وبنو مخزوم ، وبنو عدى ، وبنو جمح ، وبنو سهم ، انظر سيرة ابن هشام (١/١٤٣ - ١٤٤) .

ما يجهزون به الجيش ، وأما الأعتة فهي قيادة الفرسان في الحروب (١٨٤) ، وكان أبوه الوليد ذا مكانة مرموقة بين سادات قريش ، فهو علواً يكسو الكعبة عاماً ، وتكسوها قريش بأجمعها عاماً آخر (١٨٥) ، لشرفه ورجاحة عقله واتزانته ، لذلك تيسرت تلك الشروط لخالد في أنه عربي أصيل ذو كفاية قيادية عالية ، فتولّى القيادة ، لأنه تميّز على آل بيته وأهله بالكفاية القيادية العالية ، فتولاها دونهم ولم يتسّمها غيره من إخوته وذوي قرياه .

وما يُقال عن خالد ، يقال عن غيره من القادة ، فكثّمهم من العرب المسلمين ، ذوي الحب والنسب والكفاية القيادية للتميّز ، حتى جاء طارق ، فكان أول قائد من غير العرب ، فما الذي حمله إلى القيادة حملاً ولم يكن عربياً أصيلاً ؟ ما الذي جعل القيادة تسعى إليه ، وهو من البربر ؟

لابد وأن تكون لديه مزايا قيادية فذة ، مهّدت له الطريق لتولّى القيادة ، وتعلّبت على العقبات التي كانت تحول بينه وبين أمثاله من غير العرب ، لتولّى القيادة في تلك الأيام من عهد بني أمية في التاريخ الإسلامي العريق .
فما هي مجمل تلك المزايا ؟

لم يأخذ موسى حشوداً من العرب المسلمين معه إلى إفريقية والمغرب ، فقد سار من مصر مصحوباً ببعض المتطوّعين من رجال القبائل العربية هناك (١٨٦) ، واعتمد في فتوحه على العرب والبربر الموجودين في إفريقية والمغرب ، ولم يكن تعداد العرب المسلمين بالنسبة إلى تعداد البربر المسلمين الذين يتزايدون يوماً بعد يوماً شيئاً مذكوراً ، فكان العرب المسلمون أقلية والبربر المسلمون أكثرية ، ولا مجال لموسى إلا في التعاون مع البربر المسلمين ، فاستعان بهم ،

(١٨٤) أسد الغابة (٩٣/٢) والاستيعاب (٢٧/١) .

(١٨٥) انساب الأشراف (٦٠/١) والسيرة الحلبية (٣٤٧/١) .

(١٨٦) أخبار مجموعة (٣ - ٤) ونفع الطيب (٢٣٠/١) و (٢٥٠) .

فتمكّن من توسيع نطاق فتوحاته، لتشمل من القيروان إلى المحيط الأطلسي (١٨٧) :
وبعد أن أخضع موسى القبائل البربرية في إفريقية ، قرّر أن يبذل
جهوداً فعّالة لافتتاح المغرب ، فأرسل ثلاث حملات : قاد الأولى بنفسه (١٨٨) ،
وقاد الحملتين الثانية والثالثة قائدان مرعوسان من قاداته (١٨٩) ، فنجح موسى
في محاولاته الثلاث نجاحاً باهراً ، أرضى بها كلاً من عبدالعزيز بن مروان
والي مصر ومستوله المباشر ، والخليفة في دمشق ، اللذين أبديا إعجابهما
بحملاته الناجحة وكثرة ما حمّله إليهما من غنائم (١٩٠) .

وفي الحملة الناجحة التي قادها موسى ، من هذه الحملات الثلاث ، زحف
موسى مصحوباً بطارق على مقدّمته إلى طنجة ، ففتحها ، ثم توغل جنوباً
ففتح مناطق واسعة جداً ، وكان توغله ناجحاً للغاية . وقد امتازت تلك الحملات
التي قام بها موسى وقائده ، بـ **تفريعة شديدة** ، ولكن ما إن يعتنق البربر
الإسلام ، إلا ويُقرّ القاتلون **رُعايتهم** في الرئاسة ، مقابل مساهمة كلّ
قبيلة بربرية بعدد كاف من **المجاهدين** للانضمام إلى جيش المسلمين ،
فاستطاع موسى أن يجنّد أعداداً هائلة من مختلف قبائل البربر ، مثل :
كُثامة ، وهوارة ، وزناتة ، ومصسودة (١٩١) ، فوحد موسى هؤلاء
المجاهدين الجُدد من البربر ، ووضعهم جميعاً في حامية طنجة بقيادة طارق

(١٨٧) cf. p. Guichard, Al-Andalus. p. 284.

١٨٨ القرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (١١٧ - ١١٨) والبيان المغرب (٤١/١) .

(١٨٩) البيان المغرب (٤١/١ - ٤٢) وابن خلدون (٤٠٢/٤) .

(١٩٠) ابن حبيب (٢٢٤) وفتح مصر والمغرب (٢٠٣ - ٢٠٤) وفتح الأندلس (١٢) والرسالة الشريفة (١٦٥) والتويري (٢٢/٢٢ - ٢٣) .

(١٩١) البيان المغرب (٤٣/١ - ٤٤) وعبد الله بن صالح - تحقيق بروفنساله (٢٢٤) .

الذي عينه حاكماً على هذه المدينة في حدود سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) ، ولم يُسَقِّ مع طارق إلاّ اقليل من العرب المسلمين ، الذين كانت مهمتهم نشر تعاليم الإسلام بين البربر (١٩٢) ، وغادر الجيش الإسلامي بقيادة موسى إلى القيروان ، حيث استقرّ موسى ومنّ معه هناك ، وبقي طارق وجيشه البربري في طنجة قائداً وواليا .

ومنذ ذلك الوقت ، تمت سيطرة موسى بن نصير على الشمال الإفريقي أي سيطرة الدولة الإسلامية ، على تلك المناطق النائية ، بعد سبعين سنة من الاقتتال بين القاطنين المسلمين وبين البربر ، وهي المنطقة الكائنة بين برقة (١٩٣) على الحدود الليبية المصرية والمحيط الأطلسي . وما كان موسى ليستطيع تحقيق هذه السيطرة الكاملة ، لولا تطبيق روح الإسلام في السير على سياسة التعاون والاندماج بين العرب المسلمين والبربر المسلمين ، وكان بإمكان أسلاف موسى أن يحققوا النصر في تلك الأصقاع النائية بوقت أقصر لو اتبعوا منذ البداية سياسة أبي المهاجر (١٩٤) في هذا المجال (١٩٥) .

ومن الواضح ، أن أول تمزيق من تمزيقات طارق ، التي أهلته لتولي منصبه القيادي ، هي أنه بربري ، فقد كان السواد الأعظم من جيشه والأغلبية المطلقة من البربر المسلمين ، وكان العرب المسلمون في طنجة أقلية

- (١٩٢) ابن حبيب (٢٢٢) وفتح مصر والمغرب (٢٠٤ - ٢٠٥) وذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ ص ٨٣ - ٨٤) وابن الأنبر (٤/٥٤٠) ووقيان الأميان (٥/٣٢٠) والبيان المغرب (١/٤٢) والنويري (٢٢/٢٢) وابن خلدون (٤/٤٠٢) و (٦/٢٢٠ و ٤٢٧) ونفع الطيب (١/٢٣٩) والسلاوي (١/٩٦) .
- (١٩٣) برقة : اسم صقع كبير ، يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وأفريقية ، واسم مدينتها : انطابلي ، وتفسيره الخمس مدن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٣٣) والمسالك والممالك (٣٢) .
- (١٩٤) أبو المهاجر دينار : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (١/١٣٧ - ١٤٩) .
- (١٩٥) الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس (١٤٣) .

مطلقة أيضاً ، يقتصر واجب رجالها على الدعوة إلى الله ، فهم من الدعاة لا من القادة ، فرأى موسى أن يولي طارقاً على قومه البربر المسلمين ، فهو منهم وإليهم ، يعرف أمانهم وآلامهم ، ويستطيع التفاهم معهم وحل مشاكلهم ومعالجة معضلاتهم بسهولة ويسر ، وهو أقدر على قيادتهم وإدارتهم من عربيّ مسلم غريب عنهم ؛ كما أنه قادر على التأثير في نفوس البربر ، لأنه ليس غريباً عنهم ، ويتشكّلون التعامل معه أكثر مما يتقبلون التعامل مع قائد إداري غريب عليهم ، يشعرون أنه سيدهم وهم تسبّع ، وأنه مفروض عليهم ، بعكس شعورهم بالنسبة لقائد أو إداري من البربر ، يشعرون أنهم أئداد له ، وهو ليس مفروضاً عليهم ، بل من أبنائهم .

ولكن مزيتة البربرية وحدها لا تكفي لتولي القيادة ، فيبدو أنه كان مؤمناً صادقاً ، حسن إسلامه ، وأصبح ولاؤه للإسلام وتعاليمه ، وبذلك رضى الدعاة العرب أن يعملوا معه ويعلموه وإدارته وتوجيهه ، ولولا ذلك لرفضه البربر المسلمون والدعاة العرب في مثل تلك الأيام في أيام الفتح والجهاد والدعوة إلى الله .

وقد ولاه موسى على مقدمته في حركته لفتح طنجة ، وقد كان موسى من الملع قادة الفتح الإسلامي ، ولا يمكن أن يولي على مقدمته إلا من كانت له سمات قيادية متميزة ، لأن المقدمة مشولة عن أمن سائر الجيش ، ومشولة عن الحصول على المعلومات عن العدو والأرض ، وهي التي تُيسّر تقدّم الجيش إلى أمام بسهولة وانطلاق ، ومشولة عن منع العدو من الحصول على المعلومات عن جيش المسلمين ، لئلا يستفيد من تلك المعلومات في ضربه وعرقلة تقدّمه في المكان والزمان الحازمين ، وهي مشولة عن تطهير الطريق ليتقدّم الجيش بسرعة واندفاع ، ولا يمكن أن ينهض بهذه المسؤوليات إلا قائد متميز .

والذي يبدو ، أن موسى ، جرت طارفاً ، في مسيرته الطويلة الشاقة ، من القيروان إلى المحيط الأطلسي ، فأثرت طارق أنه جدير بالثقة ، فولاه موسى على مقدمته أولاً ، فكانت أول الغيث ، ثم انهمرت عليه المناصب بعد ذلك (١٩٦) .

وقد كان موسى على صلة وثيقة بطارق ، لأن طارفاً هو مولد موسى ، ومن مواله المقرين ، ولكن موسى لم يُقدم على تولية طارق القيادة ، لأن طارفاً مولاه ، فليس هناك من يوالى القيادة في أيام الحرب من لا يستحقها ، حتى ولو كان ابنه أو شقيقه ، ولا يؤتي في مثل تلك الظروف غير ذوي الكفاية القيادية العالية من القادرين على تحمل أعباء القتال وقيادة الرجال ، لأن من يؤتي منصباً قيادياً في أيام الحرب من لا تتوفر فيه الكفاية والمزايا القيادية المطلوبة ، تكون العاقبة الوخيمة هزائم وإندحاراً وخسائر فادحة عليه ، وعلى جيشه وعلى القائد الذي تولّى القيادة اعتباطاً وعلى الأمة والبلاد ، ولا يمكن أن يقع في مثل هذا الخطأ الشنيع قائد متميز مثل موسى ولا أي قائد آخر .

إن مفتاح مزايا قيادة طارفاً هو أنه كان المثال الشخصي لرجاله في الشجاعة والإقدام ، فهو لا يكفي بإصدار الأوامر لرجاله ، بل هو أول من يبدأ بتنفيذها على نفسه ، بشكل يكون فيه أسوة حسنة للذين يعملون معه ، إن استطاعوا .

ولم يكن طارق من القادة الذين يقودون رجالهم من الخلف ؛ يُصدر أوامره إليهم ، ويطلبهم بتنفيذها ، ثم يقع هو في الخلف آمناً مطمئناً بعيداً عن الخطر . إنه من القادة الذين يقودون رجالهم من الأمام ؛ يُصدر أوامره إلى رجاله ، ويقول لهم اتبعوني ، وافعلوا ما ترونني أفعل ، ثم يكون القدوة لرجاله في الشجاعة والإقدام ، والتضحية والفداء .

كان يشعّب نفسه ، أكثر مما يشعّب رجاله ، فكان لا ينام ولا يئتم .
ولكني تتضح سمات طارق القيادية ، لابدّ من ضرب الأمثال ، لكي
نستنتج منها تلك السمات بوضوح وجلاء .

حين أصبح المسئول عن فتح الأندلس ، أعدّ خطة الفتح المفصلة ،
وبدأ بتنفيذ مراحلها في رمضان من سنة إحدى وتسعين الهجرية (آب - أيلول
- أغسطس - سبتمبر ٧١٠ م) ، وذلك بإرسال حملة استطلاعية بقيادة
أبي زُرعة طريف بن مالك العافري ، مؤلفة من أربعمائة رجل ومائة فارس .
ونجحت مهمة طريف الاستطلاعية نجاحاً باهراً ، فقرر طارق أن يقود
الحملة المقبلة تنفيذاً لمراحل خطة الفتح .

لقد كان طارق قائداً يبدأ أعماله بالاستطلاع المفصل ، ليكون على
بيّنة من أمره ، ولا يخطر خطره إلا بعد جمع المعلومات الضرورية :
بالاستطلاع ، فلا يضع خطوته إلا في موضع أمين ، واضح المعالم غير مجهول
التفاصيل ، فهو يعمل دائماً بالموثوق ، ولا يعمل أبداً في الظلام ، وتلك سمة
مهمة من سمات القائد المصنف .

وفي عملية عبور جيش طارق من مدينة سبّنة إلى برّ الأندلس ،
برزت ثلاث سمات من سمات قيادته : الأولى : استناره بالخطر
لحماية رجاله وإثباتهم بالأمن ، والثانية : حرصه الشديد على أرواح رجاله ،
والثالثة : المبالغة في بذل جهده للاطمئنان على سلامة العملية في الإنزال ،
والتأكد من إكمال عبور رجاله كافة كما ينبغي دون تخلف بعضهم عن العبور ،
وإنجاز عملية العبور بدون خسائر تذكر مادياً ومعنوياً .

فقد أبحر طارق من سبّنة على رأس الوجبة الأولى من رجاله ليلاً ،
وجرى لإنزال رجاله في مكان وعمر من الشاطئ الأندلسي ، وسهّل عملية
الإنزال باستخدام المجاذيف وبراذع الخيل التي ألقيت على الصخور لتلافي

خطرها على رجاله ، فتمكن طارق من إزال هذه الوجبة من رجاله على الشاطئ بصورة مفاجئة دون أن يراه أحد من العدو (١٩٧) .

ولما اطمأن طارق إلى سلامة هذه الدفعة من رجاله ، عاد بالسفن الفارغة إلى البر الإفريقي في سبته ، وحمل الدفعة الثانية من رجاله على السفن ، وعاد بهم إلى البر الأندلسي ، حيث جرى إنزالهم ، حتى قال بعض المؤرخين : إن طارقاً كان آخر من عبر إلى الأندلس (١٩٨) ، وهذا صحيح ، فقد عبر مع الدفعة الأولى ، ثم عبر مع الدفعة الثانية ، وبذلك اطمأن إلى عبور آخر رجل من رجاله بسلام ، فقد أبحر طارق مع أول جماعة ، وأخفى نفسه في الجبل حتى الليلة التالية ، حيث أرسل المراكب مرة أخرى لكي تعود ببقية رجاله (١٩٩) ، وما أخفى طارق نفسه في الجبل إلى النهاية ، بل عاد ليرافق الجماعة الثانية من رجاله ، إذ قاد فعلاً المجموعة الأولى إلى الشاطئ الأندلسي ، ولكن ما أن هبطت تلك المجموعة بسلام ، حتى عاد بالمراكب إلى سبته لكي يشرف على بقية العملية . ومن ثم أبحر مع المجموعة الأخيرة من الرجال (٢٠٠) .

وكان تعداد رجال طارق الذين جرى إنزالهم في هذه المرحلة سبعة آلاف رجل ، وهم الذين عبروا المضيق مع طارق . وتضم المجموعة الأخرى خمسة آلاف رجل ، وهم الذين أرسلوا فيما بعد مدداً لطارق من قبيل موسى بن نصير (٢٠١) ، وضمت الحملة سبعائة رجل من السودان (٢٠٢) .

(١٩٧) ابن الكردبوس (٤٦) والبيان المغرب (٩/٢) .
(١٩٨) ابن التباط (١٠٦) والبيان المغرب (٦/٢) برواية الرازي ، ونفع الطيب (٢٥٤/١) .

(١٩٩) فتح مصر والمغرب (٢٠٥ - ٢٠٦) .
(٢٠٠) الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس (١٦٤) .
(٢٠١) نفع الطيب برواية ابن حبان (٢٣١/١ - ٢٣٢) وأخبار مجموعة (٧) وابن الأثير (٥٦١/٤ - ٥٦٢) .

(٢٠٢) ذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ ج ص ٨٤) وفتح الأندلس (٥) .

وهذا يظهر لنا ، أن طارقاً من أولئك القادة الذين يُقدمون على إنجاز ما يُكثفون به من مهمات عسكرية بكلّ عزم وبدون تردّد ، دون خلق المعاذير أو اختلاقها للتخلص من تحمل المسؤولية ، والتهرب من الأخطار المتوقعة . ومن الواضح ، أن ثقل طارق مهمة العبور للفتح ، بقوة لا تريد على سبعة آلاف رجل فقط ، لفتح بلاد واسعة ، لها ملك ونظام راسخ وجيش عريق ، يمكن أن يعدّ من طارق حياً للمسئولية ، كما أن الإقدام على تنفيذ الأوامر الصادرة إليه من مرجعه بدون تردّد وبشجاعة ، دليل على تمتّع طارق بحبّ المسؤولية ، وهي سمة من سمات القادة الكبار ، ودليل على تمتّعه بالشجاعة ، وبالضبط المتين ، والشجاعة والتحلي بالضبط المتين من سمات القادة الكبار أيضاً .

وبهذه المناسبة ، فإن القادة العبيكرين ، من ناحية تحمّل المسؤولية ، صنفان : صنف يتحمّل المسؤولية ، ولا يتردّد في تنفيذ الأوامر الصادرة إليه ، حتى إذا كان التنفيذ صعباً جداً ، فهو يبدأ بالتنفيذ ، ثم يطالب بمعاونته ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ويصعب بتهريب من المسؤولية ويتملص منها ، حياً بالعافية والسلامة ، فيخلق المعاذير أو يخلقها ، فإذا اضطر إلى تنفيذ ما عهد به إليه مانقده متلعّراً . والصنف الأول الذي يتحمّل المسؤولية من القادة ، هم الذين يُفعلون في أداء واجباتهم ، ويقودون رجالهم إلى النصر ، أما الصنف الذي يخاف المسؤولية من القادة ، فهم الذين لا يُفعلون أبداً في أداء واجباتهم ، ولا يقودون رجالهم إلا إلى الهزيمة .

وظهرت سمة جديدة من سمات قيادة طارق ، في تحصين مواضع إنزال قواته في جبل طارق . فمن واجب المقاتل أن يحصّن موقعه قوياً وبدون تأخير بعد احتلاله مباشرة ، ليستعين بموقعه المحصّن على الثبات أولاً .

(٢٠٣) ذكر بلاد الأندلس (رقم ٨٥ ج ص ٨٤ - ٨٥) والبيان المغرب (٩/٢) وابن خلدون (٢٥٤/٤) وفتح الطليب (٢٣٢/١) .

وليحمي نفسه من رصد العدو وسهامه المصوبة إليه : « فلما حصلوا في الجبل ، بنوا سوراً على أنفسهم يسمى : سور العرب ... الخ ... » (٢٠٤) والحرص على بناء هذا السور الحجري لحماية جيش طارق ، دليل على تمتعه بمنزلة : الأمن ، وهو مبدأ من مبادئ الحرب ، يستحث القائد على أمن قواته من نظر العدو ورصده ومن أسلحته المصوبة إليه ، كما أن التحصين يساعد على الثبات . وظهرت سمة : رفع المعنويات في قيادة طارق ، في معركة الخاطفة على بنج (٢٠٥) (Banj) حيث قضى طارق على قوات بنج ، ولم ينج من جندها إلا واحد اسمه : بلباس ، أسرع إلى معسكر لذريق في أقصى شمالي الأندلس (٢٠٦) ، وأخبره بتزول المسلمين البلاد ، وإبادة قوات بنج إبادة كاملة .

ومن الواضح جداً ، أن انتصار المسلمين الساحق ، على قوات القوط ، وإبادة عن بكره أبيها ، أدى فيما أدى إليه ، إلى رفع معنويات الفاتحين ، وانهيار معنويات القوط ، وانهيارها عامل من عوامل الهزيمة .

وبالرغم من ثقة طارق بنفسه ، وثقته برجاله ، وارتفاع معنويات المسلمين ، ألا أن طارق حين علم باقتراب لذريق وقواته المضوقة الضاربة ، من مواضع المسلمين ، كتب إلى موسى يستنجد به . فأرسل إليه جيشاً قرابة خمسة آلاف مقاتل ، بقيادة طريف بن مالك (٢٠٧) ، فقويت بالمدد نفس طارق ونفوس من معه .

(٢٠٤) البيان المغرب (٩/٢) .

(٢٠٥) البيان المغرب (١٠/٢) .

(٢٠٦) نفح الطيب (١٤٩/١) .

(٢٠٧) المعبر (٢٥٤/٤) ونفح الطيب (٢٣٣/١) .

وتكرر استنجد طارق بموسى ، بعد تغلغه بالعمق في الأندلس ، فأصبحت ميمنة المسلمين وميسرتهم مهددة بالعدو ، كما أصبحت خطوط مواصلاتهم وقواعدها المتقدمة والامامية مهددة بالعدو أيضا ، فكتب طارق إلى موسى : « إن الأمم قد ندعت علينا من كل ناحية ، فالغوث الغوث » (٢٠٨) ، فعبر موسى إلى الأندلس ، باستدعاء طارق إياه (٢٠٩) . وهذا يظهر مزيتين مهمتين من مزايا طارق القيادية ، هما : تقديره الصائب للموقف العسكري ، ومطالبته بالمدد في الوقت الذي يحتاج إلى المدد ، دون أن يغتر بالمعنويات العالية التي يتحلى بها ويتحلى بها رجاله ، وبالاتصارات المتوالية على العدو القوطي . والمزية الثانية ، هي حرصه العظيم على أمن رجاله ، فلا يفسح المجال لتعريضهم إلى التهلكة دون مسوغ . وهاتان المزيتان من أهم المزايا التي يتصف بها القادة العظام في التاريخ ، فإن تقدير الموقف الصائب في الزمان والمكان المناسبين ، يدل على تمتع القائد بالذكاء الأعلى ، وبمزية سبق النظر ، فيتوقع الأحداث قبل وقوعها ، ويعد لها ما يمكن أن تُعالج به علاجاً ناجحاً . أما القائد الذي يفتقر إلى أمن قواته القائد ، فهو الذي يحفظ لها معنوياتها من الانهيار ، ويجعلها تثق بالقائد وتتغذ أوامره طوعاً عن طيبة خاطر ، مهما يعترض سبيلها من مصاعب ومعضلات .

وقد ظهرت مزية : الشجاعة ، في طارق ، في مواقف كثيرة ، فضرب بشجاعته لرجاله أروع الأمثال ، وكان أموة حسنة لهم ، حتى كانت خسائر رجاله في معركة لكته ، وهي المعركة الحاسمة بين المسلمين بقيادة طارق ، وبين القوط بقيادة لذريق ، ثلاثة آلاف شهيد ، من مجموع جيش طارق الذي كان اتى عشر ألف مقاتل ، أي أن خمسة وعشرين بالمائة من جيش المسلمين استشهدوا في هذه المعركة الحاسمة ، فقد قسم طارق الغنائم بعد انتصاره

(٢٠٨) الامامة والسياسة (٧/٢ - ٧٥) .

(٢٠٩) البيان المغرب (١٩/٢) .

على القوط في هذه المعركة على تسعة آلاف من المسلمين (٢١٠) ، أي أن هؤلاء هم الذين سلكوا ، واستشهد الباقون .

ويقول طارق في خطبته على رجاله قبل الاشتياك بالقوط في تلك المعركة الخامسة : « ألا وإني عامد إلى طاعتهم بنفسي ، لا أقصر حتى أخاطله أو أقتل دونه » (٢١١) ، و : « ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ، إن حمات فاحملوا ، وإن وقتت فقفوا ألا وإني عامد إلى طاعتهم بحيث لا أتهيبه حتى أخاطله أو أقتل دونه » (٢١٢) . فهو لا يريد من رجاله شيئاً أكثر من أن يفعلوا ما يفعل ، ويقضوا آثاره في الشجاعة والإقدام . ومن الواضح ، أن تأثير طارق في رجاله كان عظيماً ، فقد كان قلوبهم في الشجاعة ، وخير دليل على شجاعتهم ما أنجزوه في الفتح ، وما أحرزوه من انتصارات ، وما بذلوه من تضحيات .



ومن الأمثلة التي تدل على شجاعة طارق النادرة ، أن العليج صاحب إستجة خرج إلى النهر وحده لم يقف بجباله ، فصالحه طارق هناك ، وكان طارق قد أتى لمثل ذلك ، وطارق لا يعرف . ووثب طارق على العليج صاحب إستجة في الماء ، وأخذته أخذاً وقاده إلى معسكر المسلمين ، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة ، فصالحه طارق على ما أحب ، وضرب عليه الجزية ، وحتل مبيله . وكان طارق يحاصر المدينة ، فاستسلمت للمسلمين ،

(٢١٠) نفع الطيب (١/١٦٣) .

(٢١١) مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (٥/٢٢٢ - القسم الفرنسي) وسراج الملك (١٥٩) وتاريخ الاندلس لابن الكردوبس ، ووصفه لابن الشباط (١٥٤ - ١٥٥) نسخة الاندلس لابن حديد نقلا عن : دولة الاسلام في الاندلس (١/٤٦) .

(٢١٢) الامامة والسياسة (٢/٧٤) ووفيات الامان (٤/٤٠٤ - ٤٠٥) وتاريخ الاندلس لابن الكردوبس ووصفه لابن الشباط (١٥٤ - ١٥٥) ونفع الطيب (١/٢٢٥ - ٢٢٦) .

ووفى العلق أمير المدينة بما عاهد عليه طارقاً (٢١٣) ، ولا يمكن أن يعتمد قائد عن جيشه ، ويخرج وحده بعيداً عن رجاله ، فيصاوم رجلاً من الأعداء ويأسره ، ثم يظهر أن الأسير أمير المدينة المحاصرة ويبنه الحل والعقد ومصير المدينة ، فيفتدى نفسه بتسليم المدينة للقاتحين ، بعد أن قاومت مقاومة شديدة مدة طويلة . وطارق في مزنة الشجاعة . يشابه خالد بن الوليد في هذه المزنة ، فقد كان خالد أيضاً يترصد قائد أعدائه ، فإذا استمكنه هاجمه هجومًا مباغتاً ، حتى يقتله أو يأسره ، وقتل القائد في تلك الأيام ، يؤدي غالباً إلى انهيار معنويات رجاله ، فلا يبقى أمامهم غير الاستسلام .

ولعل مما يدل دلالة واضحة ، على تمتع طارق بالذكاء الخارق ، والكياسة ، وحسن التدبير والنباسة ، والمقدرة على استقطاب ثقة الناس به من رجاله ومن أعدائه ، ما فعله طارق مع يليان صاحب سبتة ، فقد استعصت هذه المدينة على القاتحين ، ونجحت في صدّهم عن أسوارها خائنين . وقد تصرفا بما فيه الكفاية عن أسباب ثبات سبتة أمام القاتحين ، وأسباب استسلام يليان للمسلمين وتسليم سبتة لهم صلحاً بدون قتال ، وتوطيد صلته المباشرة بالمسلمين في التعاون معهم ومعاونتهم في الفتح . ولكن صلة يليان المباشرة بطارق واتصاله به ، لأن طارقاً كان على طنجة التي على حدود سبتة - هو السبب المهم في استسلام يليان للمسلمين ، وتسليم سبتة لهم صلحاً بدون قتال .

ألك هي مبادئ قيادة طارق البارزة : ذكاء خارق ، وكياسة واتزان وحصافة ، وحسن التدبير وحسن القيادة ، والتأبلية على استقطاب الثقة به إنساناً وقائداً ، ونسب البربري الذي أثر عليه نسبه إلى الإسلام ، وإيمانه العميق الراسخ بتعاليم الدين الحنيف ، وتجربة عملية فاجحة في القيادة ، يقود

(٢١٣) نفع الطيب (١/٢٦٠) وانظر أخبار مجموعة (٩ - ١٠) وابن الأثير (٥٦٣/٤) والبيان المغرب برواية الرازي (٨/٢ - ٩) .

رجالہ من الأمام ، ويكون قنوة حسنة لهم بالأعمال لا بالأقوال ، يستأثر دون رجالہ بالخطر ويؤثرهم بالاطمئنان ، يبذل جهداً في جهاده أكثر مما يبذله أي رجل من رجالہ ، حريص غاية الحرص على أرواح رجالہ ، يتحلى بالضبط المتين ، ويتحمل المسؤولية كاملة ويحبها ، يبذل قصارى جهده لرفع معنويات رجالہ ، ويهتم بأمن جيشه كل الاهتمام . يسبق النظر فيعد لكل ما يحتمل وقوعه من علاج ، لا يجتأحه الغرور ولا يستخذى للأمانى ، يقدر الموقف العسكري تقديراً واقعياً صائباً ، يتميز بالشجاعة الثائرة والإقدام .

تلك هي مجمل سمات قيادة طارق ، التي أهلتته بحق لتولي منصب القيادة ، على عهد بني أمية وعلى قادة من العرب ، رضوا بقيادته ، وتعاونوا معه ، وعاونوه في ميادين القتال (٢١٤).

وهي سمات تؤهل من يتحلى بها . أن يتولى المناصب القيادية ، إذا استطاع أن يبرز تلك السمات السليمة التي يدهم تولية القادة .

ولعل من المفيد تطبيق مبادئ القيادة طارق على مزايا القادة المعروفة في كتب الدراسات العسكرية المعتمدة . زيادة في الإيضاح ، لا زيادة في التعريف .

٢ - طارق ومزايا القيادة العامة .

أ . لقد كان طارق : ذا قرار سريع صحيح ، حاضر البديهة ، يعالج المواقف الحرة المتبدلة بسرعة وبشكل غير متوقع ، بإصدار القرار السريع

(٢١٤) مثل طريف بن مالك ، وعبد الملك بن عامر المعافري الجد الأعلى للمعصور بن أبي عامر وغيرهما ، وهما من أشهر العرب المساهمين في جيش طارق ، انظر : ابن بسام - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - (٤٠/١) - القاهرة - ١٩٤٥ ، والرحلة السيرة (٢٧٥/١) والبيان المغرب (٢٥٦/٢ - ٢٥٧) والاحاطة (١٠٢/٢) وأعمال الاعلام (١٥٩) ونفح الطيب (٣٩٦/١ و ٣٩٩) وذكر بلاد الاندلس (رقم ٨٥ ج ص ١٤٧ - ١٤٨) و (رقم ٥٥٨ ص ١٢٠٥) .

المناسب ، في الوقت المناسب ، دون أن يضيّع الوقت مدي ، فتضيع الفرصة السانحة التي قد لا تعود من جديد . فقد ألق طارق على رأس الجماعة الأولى من رجاله ، وكان إقلاعه من سبّقة ، بسبب رغبة طارق في إيجاد مكان ملائم للإنزال على الشاطئ الأندلسي ، وربما كان المكان الذي قصده أولاً منطقة الجزيرة الخضراء التي تقابل سبتة ، ولكن طارفاً قرّر التحكي عن الإنزال في هذا المكان القريب ، لأنه وجد جماعة من القوط فيه حاولت منعه من الإنزال ، فأبحر منه ليلاً إلى مكان وعمر من الشاطئ . وقد حاول تسهيل عملية الإنزال ، باستخدام المجاذيف وبراذع الخيل التي ألقيت على الصخور لتلافي خطرهما ، وبهذه الطريقة تمكّن طارق من الإنزال المفاجيء ، من غير أن يراه أحد على الشاطئ (٢١٥) ، فتمّ إنزال جماعته الأولى بسلام دون خسائر تذكر ، وكونّوا الإنزال رأس الجسر الواجب إقامته ، لتأمين عبور المسلمين وإفراقهم على البر الأندلسي بسلام وكون خسائر تذكر .

ومن هذه العملية الصغيرة ، المحسّنة في عبور الوجبة الأولى من رجال طارق إلى الأندلس ، يتلوّ قرآنك من ريعان صحيفتان : الأول : قراره في تبديل مكان الإنزال من الجزيرة الخضراء إلى جبل طارق ، لتخلص من مقاومة القوط للإنزال . والثاني : في استخدام المجاذيف وبراذع الخيل على الصخور لتلافي خطرهما على رجاله .

ويذكر استنتاج قراراته السريعة الصحيحة ، في كلّ عملياته الحربية التي استمرت أربع سنوات في الأندلس ، وهي كثيرة جداً لا تحصى ، فلا عملية بدون قرار سريع صحيح ، وإلا كانت نتيجته الهزيمة ، ولا تعرف هزيمة لطارق في حياته العسكرية ، مما يدل على أنّه كان ذا قرار سريع صحيح على

(٢١٥) ابن الكردوبوس (٤٦) ، وفي البيان المغرب (٩/٢) يورد رواية متشابهة عن عبور طارق ونزوله على الجبل .

اللوام ، ولعلّ تولية طارق مقدّمة موسى في فتح طنجة ، ومقدّمة موسى بعد عبوره إلى الأندلس ، خير دليل على تمتعه بالقرار السريع الصحيح ، لحاجة قائد المقدمة إلى مثل هذا القرار.

ب . وكان طارق يتحلّى : بالشجاعة الشخصية ، وكل عملياته في فتح الأندلس ، تدل على أنه كان شجاعاً مقداماً ، من الطراز الأول شجاعة وإقداماً ، وقد ذكرنا أمثلة على شجاعته النادرة قبل قليل ، ولعلّ هذه الشجاعة هي التي لفتت إليه نظر موسى بن نصير وغيره من المسؤولين، وولفتت إليه أنظار رجاله من العرب والبربر ، فكان أسوة حسنة لهم في الشجاعة والإقدام .

ج . وكان طارق يتحلّى : بالإرادة القويّة الثابتة ، فإقدامه على العبور إلى الأندلس لفتحتها ، على رأس سبعة آلاف مقاتل فقط ، دليل واضح على قوّة إرادته وثباتها . وإقدامه على محوذي المعركة الحاسمة على رأس اثني عشر ألف مقاتل فقط ، لمصاولة القوط ، وهم أضعاف أضعاف قوته ، بقيادة ملك القوط لندريق وحشد من قاداته ، على أرض الأندلس التي يعرفها القوط لأنها أرضهم ، ويجعلها المسلمون لأنها ليست بلادهم ، دليل واضح جليّ على قوّة إرادة طارق وثباتها . وتغلغل طارق بالعسق في الأندلس ، وهو في نحو تسعة آلاف مقاتل ، دليل واضح على قوّة إرادة طارق وثباتها .

إن تمتّع طارق بمزية : الإرادة القويّة الثابتة ، قد لا نحتاج إلى دليل .

د . وكان طارق يتمتّع بمزية : تحمّل المسؤولية ، وكان لا يتحمّلها حسب ، بل يحبّها ، فهو يتحمّل المسؤولية ويحبّها ، ولعلّ قبوله فتح الأندلس ، بقوة لا تزيد على سبعة آلاف مقاتل ، خير دليل على تحمّله للمسؤولية وحبّها ، وعدم التملص منها ، والتهرب من عواقبها .

هـ . وكان طارق يتحلّى بمزية تمتّع : بنفسية لا تتبدّل ، في حالتي النصر والمزيمة ، والسرّاء والضراء ، واليسر والعسر .

لقد كان أحد رجال البربر ، قدّمه جدّه إلى مصاف القادة المرعوسين ، ثم أصبح والياً على منطقة طنجة الواسعة وقائداً على حاميتها من البربر . واستمر نجبه في الصعود ، فتولّى قيادة مستقلة ، لما ارتبط مباشرة بموسى بن نصير . وفي الأندلس ، أصبح قائداً فاتحاً ، تخضع البلاد المفتوحة من الأندلس لسلطته المباشرة . وعبر موسى إلى الأندلس ، فأصبح طارق من جديد قائداً مرموفاً ، ثم بدأ نجبه بالهبوط ، حتى سُحب من قيادته بأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وأصبح رجلاً بلا غد ، لا يعرف مستقبله ولا مصيره . وحلّ في الشام ، بعد أن قطع المسافة الطويلة الشاسعة بين الأندلس ودمشق ، برفقة مولاة موسى بن نصير ، فما عرف أحد من المؤرخين وغيرهم ، أن نفس طارق تبدّلت في حالتي العزّ والذل ، والسلطة وبلا سلطة ، والقيادة وبدون قيادة ، بل بقي نفساً صابراً محتسباً ، لم يفتّر بمظاهر السلطان ، ولا استكان لمظاهر الخذلان ، لأنه لم يكن يعمل لنفسه في جهاده وجهوده ، بل كان يعمل لله من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين العليا ، وليس لمصلحته الشخصية مكاناً ولا مكانة حتى يفرح إذا ربحت ، ويحزن إذا خسرت ، وهذا هو سر صبره الجميل وبقاء نفسه ثابتة لا تبدل .

و . وكان طارق يشتت بمزية : سبق النظر ، وهذه المزية تجعل القائد يتوقع ما سيقوم به العدو قبل وقوع الأمر بوقت كافٍ ، ويتخذ التدابير الضرورية لإحباط ما يقوم به العدو . أي أن سبق النظر ، هي عملية اكتشاف نيات العدو المقبلة ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بإحباط النشاط المعادي في الزمان والمكان المناسبين .

وقد ظهرت مزية سبق النظر في طارق ، بصورة جليّة وواضحة ، في استنجد طارق بموسى ، حين علم باقتراب اللريق وقواته المتزوّقة من مواضع المسلمين ، قبل اشتباك المسلمين بالقوط في معركة لكّه* ، وهي المعركة

الأندلسية الحاسمة ، فأرسل موسى إلى طارق خمسة آلاف مقاتل مدداً ، وبهذا المدد قويت نفس طارق ونفوس من معه . وبهذه التجددة التي انضمت إلى جيش طارق ، استطاع طارق إحراز النصر على القوط .

وتكرر استنجاد طارق بموسى بعد تغلغله بالعمق في الأندلس ، فعرض ميمنة المسلمين ومسيرتهم وخطوط مواصلاتهم لخطر معادٍ عظيم . وقد سبق طارق النظر ، فاستنجد بموسى ، فبادر موسى إلى نجدة بنفسه ، وعبر إلى الأندلس ، وقضى على الخطر الداهم الذي كان يهدد المسلمين قبل عبوره ، وقضى بالتعاون مع طارق على المقاومات القوطية التي أخذت تشتد شيئاً فشيئاً بالتدريج .

وما كان بإمكان طارق أن يتصور على القوط في المعركة الحاسمة ، لو لم يسبق النظر فيستنجد بموسى ، فيصلى الله عليه ، فيقوى المسلمون به مادياً ومعنوياً ، ويحرزون النصر المؤزر على القوط .

وما كان بإمكان طارق أن يتصور بجيشه المعرض جناحه وخطوط مواصلاته إلى تعرض معادٍ ، لو لم يسبق النظر ، فيستنجد بموسى ، فيعبر موسى بنفسه على رأس قوات ضاربة ، يزيل بها الخطر الملحق بجيش طارق ، ويقضي بالتعاون مع طارق على مراكز المقاومة القوطية ، أو على أخطر مراكزها في جبال الأندلس على أصح تعبير .

ز . وكان يتمتع بمزية : معرفة النفسيات والقابليات لرجاله ، فأكثرهم من البربر ، عاش معهم ، وعاشوا معه . أما العرب الذين كانوا في جيشه ، فقد كان أكثرهم معه في طليعة يعمل في مجال الدعوة ، فلما عبر إلى الأندلس ، استمروا على عملهم في مجال الدعوة ، وتحملوا أعباء الجهاد بالإضافة إلى واجبه الأصلي ، فكانوا كالمجاهدين الآخرين ، إن لم يفتؤوا عليهم في طلب الشهادة والاستقلال في سبيل الله . وبهذه المناسبة ، فقد كان علماء

السلف الصالح ، وهم الدعاة إلى الله ، لا يتخلّون عن تحمّل أعباء الجيش بأمانة وإخلاص ، وكانوا حين يذكرون : "أنّ الجهاد فرض ، لا يكفون بهذا الكلام ، بل يطبقونه عملياً على أنفسهم ، وليس سرّاً أنّ نسبة القراء من شهداء معركة اليمامة بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وبين بني حنيفة المرتدين بقيادة مسيلمة الكذاب ، كانت أعلى من نسبة شهداء المسلمين الآخرين ، فقد شهد المعركة من المسلمين نحو ثلاثة عشر ألف مقاتل (٢١٦) ، فاستشهد من المسلمين ألف ومائتا شهيد (٢١٧) ، منهم خمسمائة من القراء (٢١٨) وخدمهم ، أي أنّ خمسة وأربعين بالمئة من الشهداء كان من القراء ، وهم علماء المسلمين ، بينما كان تعدادهم بالنسبة للمسلمين الآخرين قليلاً (٢١٩) ، وهكذا كان علماء المسلمين يُقرون الأقوال بالأفعال ، بل كانوا يقولون قليلاً ، ويفعلون كثيراً ، وهذا هو سرّ استجابة الناس لهم وإقبالهم عليهم .

وبالإضافة إلى معرفة طارق لرجال له في أيام السلم ، فقد تضاعفت معرفته بهم في أيام الحرب ، فليس كأيام الحرب تربط المقاتلين وتعمّق تعارفهم وتكشفهم على حقيقتهم ، بل في يوم الانصاف المباشر بينهم ليلاً ونهاراً في تعاون وثيق ، فتكشف نفسياتهم وقابلياتهم ، ويُعرف الشجاع من الجبان ، والصادق من الكاذب ، والمستقيم من المنحرف ، لأنّ التعامل بين المقاتلين يزداد ، والميلان يُظهر الشجاع ويكشف الجبان .

(٢١٧) جاء في كتاب : فضائل القرآن لابن كثير ص (١٢) ملحق بالجزء التاسع من التفسير ابن كثير مابلى : « التف حول مسيلمة من المرتدين قريب من مائة ألف ، مجهز الصديق أبو بكر لقتاله خالد بن الوليد في ثلاثة عشر ألفاً » .

(٢١٧) الطبري (٥١٩/٢) .

(٢١٨) الطبري (٥١٦/٢) وابن الأثير (١٤٠/٢) .

(٢١٩) انظر التفاصيل في كتابنا : بين العقيدة والقيادة (٢١٢ - ٢١٣) .

وقد كان طارق بما عُرِف عنه ، من اتصال وثيق بالبربر والعرب ، الذين يعملون معه . على معرفة بتقسيمات رجاله وقابلياتهم ، لا تكاد تخفى عليه من أمرهم خافية ، فيستخدم الرجل المناسب للواجب المناسب استناداً على نفسيته وقابليته . ولا يكتلف رجلاً يجهل طوايا نفسه وخبايا قابليته ، إلا بعد اختياره ، لمعرفة الواجب الذي يستطيع التهوؤ به ، رغبة لارغبة ، وطوعاً لا كرهاً . وباقتدار لا بعجز ، لذلك استطاع طارق أن يحقق النصر بقواته القليلة ، على القوط بقواتهم المتفوقة ، لأنه يستخدم الرجل المناسب للواجب المناسب بموجب نفسيته وقابليته لا بموجب عوامل أخرى .

ح . وكان يتحلى بمزية : الثقة المتبادلة ، فقد كان رجلاً مستقيماً صادقاً أميناً ، مجاهداً حفاً ، شجاعاً مقداماً ، آتفاً مألوفاً ، يطبق أوامره على نفسه ، كما يطبقها على رجاله . إن لم يكن يحرص على تطبيقها على نفسه أكثر من حرص أي رجل من رجاله . وقد كان يردّد دائماً : اعملوا ما أعمل ، فلا يطالب أحداً من رجاله أن يعمل غير ما يعمل هو شخصياً ، إذ يبدأ بالعمل أولاً ، ثم يطالب الآخرين أن يقتضوا الكارِه في عمله لا في قوله ، فإذا كان المجوم ، كان أول المهاجمين ، أمام رجال الصولة في المجوم ، مستهدفاً قائد العدو بالذات ، غير مكترث بما حول ذلك القائد من حماة وحماية .

لقد كان في مزاياه يستحق أن يثق به رجاله ، فأولوه ثقتهم الكاملة ، واستحق أن يثق به رئيسه المباشر ، وهو موسى بن نصير ، ورئيسه الأعلى ، وهو الخليفة في دمشق . فأولوه ثقتهم الكاملة ، وجعلوه قائداً من قادة الفتح ، وكنّوه بمهتة فتح الأندلس ، وكان ذلك المنصب القيادي وتلك المهتة في الفتح . بالنسبة لطارق باعتباره من البربر لا من العرب . وبالنسبة لتنظيم الحاكم يومذاك ، من الغرائب المستحدثة التي لا سابقة لها ، ولكن مزايا طارق جعلته موضع ثقة رؤسائه ، كما جعلته موضع ثقة مرءوسيه .

وكان طارق ، يبادل رجاله ثقة بثقة ، والثقة المتبادلة هي العمود الفقري لكل نصر ، وانتصارات طارق وفتوحه دليل على ثقته برجاله ، ودليل على أنهم كانوا يستحقون تلك الثقة .

ط . وكان يتحلى بمزية : المحبة المتبادلة . فقد كانت مزاياه تجعله محسوباً من رجاله . كما أنه كان يبادلهم حباً بحب ، كما كان يبادلهم ثقة بثقة .

وكان طارق محبوباً من رؤسائه أيضاً ، ولولا ذلك لنحوه عن منصبه القيادي ، وولوا مكانه من يحبون .

ولعل أحسن دليل على حب رجال طارق لطارق ، ما وصف به مؤرخي الرومي طارقاً ، فقد ذكروا أن سليمان بن عبد الملك أراد أن يوتي طارقاً على الأندلس ، فاستشار سليمان مؤرخاً في تولية طارق ، وقال له : كيف أمره بالأندلس ؟ ، فقال : « لو أمر أهلهم بالصلة إلى أي قبيلة شاءوا ، لاتبعوه ولم يروا أنهم كفروا » (٢٣٥) .

لقد كان طارق يحب رجاله ويحبهم رؤسائهم ، وكان رؤساؤه ورجاله يبادلونه حباً بحب ، مما جعل التعاون بين القيادة والرجال تعاوناً وثيقاً ، لأنه نابع من القلب ، وليس بسبب إغراء ووعد وضغط وإكراه .

ي . وكان يتمتع بمزية : الشخصية القوية النافذة ، فما كان للثقة أن يخترق الحدود والقيود ، المؤدية إلى منصب القيادة ، لو لم يكن ذا شخصية قوية نافذة .

وقد كان موسى بن نصير الذي وكل طارقاً القيادة ، مستعزماً من عبدالعزيز بن مروان الذي كان على مصر ، وكان موسى معنياً بإقناع الخليفة وعبدالعزيز بن مروان بقبليته قائداً ، وأنه قادر على فتح مناطق شاسعة .

وتزويد الخلافة ومصر بالمغانم ، محاولاً تخفيف الانطباع السيئ الذي كونه عنه الخليفة بسبب العمل الذي اتهم به في العسرة . لذلك كان موسى معنياً باختيار القادة القادرين من ذوي الكفاية العالية ، ومنهم طارق ، لتحقيق ما يصبو اليه من فتوح ومعانم ، ولا يكون القائد القادر إلا ذا شخصية قوية نافذة ، لأنها إحدى مزايا كفاية القائد العالية ، أما القائد الإمعنة المتردد الذي يخاف المسؤولية ، فلا مكان له بين قادة الفتح في تلك الأيام .

لـ . وكان طارق يتمتع بمزية : القابلية البدنية ، ولا نصوص تشير إلى ذلك في المصادر المعتمدة . ولكن يمكن استنتاج أن طارقاً كان يتحلل بهذه المزية ، من سير أعمال طارق في ميادين القتال .

فقد ولّاه موسى على مقدمته في تحسيرة فتح طنجة ، وولّاه على مقدمته أيضاً بعد عبور موسى إلى الأندلس ، ولا يتولى قيادة المقدمة إلا قائد يتسم بالنشاط وسرعة الحركة والتنقل من مكان إلى آخر على عجل ، ولا يكون ذلك كما ينبغي إلا لقائد ذي قابلية بدنية متميزة .

كما أن تولية طارق على جيش من جيوش المسلمين ، متوجه لفتح الأندلس ، بما في ذلك من مصاعب ومشاق ، دليل على أنه كان يتمتع بقابلية بدنية متميزة .

وتحمل أعباء الحرب ، من حركة مستمرة وتقل مستمر ، وقاتل بما فيه من صولات وجولات ، في مختلف فصول السنة بما فيها من حرّ وبرد وأمطار ، لا ينهض بأعبائها إلا من كان ذا قابلية بدنية متميزة .

وإقدام طارق على ممارسة القتال في مقدمة الصفوف الأولى ، ومهاجمة قادة القوط قبل غيرهم . واتقضاص طارق على أمير إسبانية وهو في ماء النهر ، وأخذ أخذاً بالقوة ، وحمله قسراً إلى معسكر المسلمين ، أدلة واضحة على تمتع طارق بمزية القابلية البدنية المتميزة .

وأكد أتين بوضوح ، أن قابليته البدنية الخارقة ، كانت من أسباب إقدام موسى على توليته منصب القيادة المرموق .

ل . الماضي الناصع المجيد ، من سمات القائد الناجح المتنصر ، ولاشيء عن ماضي طارق في المصادر المعتمدة التي بين أيدينا . فقد برز طارق لأول مرة سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) حين تولى مهمة قيادة مقدمة موسى في مسيرته لفتح طنجة ، ثم وكلاه على طنجة بعد فتحها وجعله قائداً لحاميتها من البربر ، ولم يبق مع طارق إلا القليل من العرب الذين كانت مهمتهم نشر تعاليم الإسلام بين البربر (٢٢١) . ومن الواضح أن ماضيه المجيد مرئى على سجاياء إنساناً وقائداً ، فقد تقدم بتلك السجاياء لا بحسبه ونسبه ، فهو قائد عصامي بحق . ولا يسلو أنه كان من أشراف البربر أو رؤسائهم وملوكهم ، فقد كان مع موسى أنظام كسيلة ومالك السوس الأقصى ، فولى طارقاً القيادة دونهم ، فلو كان موسى يولي ذوي الحسب والنسب من البربر ، لولى هؤلاء دون طارق ، ويلو أن سجاياء طارق ومزاياء قدمته ، حين أخترت سادة البربر وأشرافها .

إن طارقاً كان أول جدٍ ليعقبيه في الأندلس ، فكان موضع فخرهم واعتزازهم ، كما كان موضع فخر المسلمين وتاريخهم .

والإسلام كان أباه ، وحسبه بالإسلام فخراً وماضياً مجيداً ، وحاضراً حميداً .

(٢٢١) ابن حبيب (٢٢٢) وفتح مصر والمغرب (٢٠٤ - ٢٠٥) وذكر بسلام الأندلس (رقم ٨٥ ج ص ٨٢ - ٨٤) وابن الأثير (٤/١٥٤) ووليات الأعيان (٢٢٠/٥) والبيان المغرب (٤٢/١) والتويزي (٢٢/٢٢) وابن حلسون (٤٠٢/٤) و (٢٢٠/٦) و (٤٢٧) وفتح الطيب (٢٢٩/١) والسلاوي (١/١٩٦).

٢ - في تطبيق مبادئ الحرب (٣٣٣) :

أ . اختيار المقصد وإدامته (٢٢٣) :

كان مقصد طارق في عملية الإنزال ، ثم الانطلاق شمالاً في الجزيرة الأندلسية ، واضحاً جلياً هو : فتح الأندلس ، والبقاء فيها ، أسوةً بالبلاد التي فتحها المسلمون قبل الأندلس . وقد كان هذا المقصد ، من اختيار موسى ، وكان على طارق مهمة وضعه في حيز التنفيذ العملي ، وإدامة تحقيقه بمرحلة متعاقبة ، تبدأ : بحشد القوة الكافية للإنزال ، وإعداد وسائل نقل الجيش الإسلامي من البر الإفريقي إلى البر الأندلسي ، وإجراء عملية العبور ، وإنزال الجيش الإسلامي إلى البر الأندلسي ، واتخاذ رأس جسر من القوة الإسلامية النازلة ، وتأمين خطية رأس الجسر وتطويره ليصبح قاعدة أمامية متقدمة للمسلمين ، وتحقق تلك القاعدة وحمايتها ، والانطلاق منها انسياحاً في البلاد لفتح ... الخ ... كما جرى عملياً في الفتح .

ومن الواضح ، أن الفتح هو المقصد الذي جرى اختياره ، ولكن إدامة هذا المقصد يجري بمرحلة ، لكل مرحلة من مراحل مقصد واضح أيضاً ، كالرأسد بصب في النهر الكبير ، والرافد يمثل مقصد كل مرحلة ، والنهر الكبير يمثل المقصد الرئيس وهو : الفتح ، وتلك الروافد ، تدل على النهر الكبير ، الذي هو المقصد الرئيس . وهذا فإن مقاصد مراحل

(٢٢٢) مبادئ الحرب : هي المبادئ الجوهرية التي ينبغي في القائد السجية السليمة في تصرفاته الحربية . وهي العناصر الأساسية التي يتكون منها مسلك القائد في أعماله القيادية بصورة طبيعية وغير متكلفة .

(٢٢٣) اختيار المقصد وإدامته : في كل حركة حربية ، من اللام اختيار المقصد وتعميره بوضوح ، والمقصد النهائي هو تحطيم إرادة العدو على القتال . ويجب أن توجه كل صفحة من صفحات الحرب نحو هذا المقصد الأعلى ، ولكن لكل صفحة من تلك الصفحات مقصد محدود ، يجب أن يعبر بوضوح .

عملية الفتح بمجموعها تتفق مع المقصد الرئيس وتنبهه ، ولا تتناقض معه وتضعفه في حال من الأحوال .

لقد كان طارق يعرف حتى المعرفة مقصده ، وقد بذل قصارى جهده لتحقيقه ، وسهر بدأب وعزم على إدامته ، بما عُرف عنه من أمانة وإخلاص .
ب . التعرض (٢٢٤) :

كان طارق قائداً تعرضياً في كل عملياته القتالية التي خاضها في الأندلس ولا نعلم أنه خاض معركة دفاعية واحدة في الأندلس ، منذ حلّ فيها إلى أن غادرها .

وكان في اتخاذه مبدأ : التعرض ، متسلّكاً له في قيادة رجاله ، موفّقاً ناجحاً ، فقد انتصر على القوط . ولم يهزم في أية معركة خاضها ، وأجبر القوط على الرغم من تفوقهم العددي والعُدديّ على المسلمين ، على اتخاذ مسلك الدفاع ، فلم يفلحوا حتى في مسلك الدفاع الذي اتخلّوه ، ودأبوا على الانسحاب من مواضعهم الدفاعية إلى مواضع دفاعية جديدة ، لأنهم لم يستطيعوا الثبات أبداً أمام زخم تعرض المسلمين .

ج : المباغنة (٢٢٥) :

(٢٢٤) التعرض : هو الهجوم على العدو اسلحه ، ولا يتم الحصول على النصر الا بالتعرض وحده ، أما الدفاع فلا يؤدي الى النصر .

(٢٢٥) المباغنة : أهم مبادئ الحرب وأصلها اثرأ في الحرب ، وتأثيرها المعنوي عظيم جداً ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثته من شئل متوقع في تفكير الفائد الخصم . وحده هي بعض الوسائل التي يمكن بها الحصول على المباغنة : أ - بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية ، وبكتمان جسمية القوات الاحتياطية ب - بالنقل السريع للقوات من مكان الى آخر ، تمهيداً لانزال القرية على موضع لا يتوقعه العدو ج - باستخدام الأرض التي يصعب استخدامها لوعودتها مثلاً أو لأنها مغمورة بالمياه ، أو بعبور الموانع التي تعتبر غير قابلة للعبور . د - باستخدام اسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب لعبية جديدة .

المباغنة ، هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له ، والكتمان من أهم الوسائل التي تؤدي إلى المباغنة .

لقد طبق طارق مبدأ المباغنة ، في كثير من عملياته العسكرية ، فقد عبر من سبّعة ، وفيها كثير من عيون القوط وعمالهم ، ولم يعبر من ميناء إسلامي معروف مثل طنجة ، لأن القوط كانوا يتوقعون عبور المسلمين من طنجة ، باعتبار أن المسلمين طهروا المنطقة من عيون القوط وعمالهم ، ولم يكونوا يتوقعون عبور المسلمين من سبّعة ، لأنها كانت تعج بالرتل الخامس (٢٢٦) من عملاء القوط وعيونهم ، فاستطاع طارق كتمان حركة عبوره ، فباغت القوط بهذا العبور .

كما جرى عبور المسلمين لآل الأندلس وكان الظلام الدامس ، حجاباً سائراً للسراكب والقوارب التي استخدمها المسلمون في العبور .

وحين وجد طارق ، أن الجزيرة الخضراء ، لا تحلو من مقاومة قوطية ، وقد تعرقل الإنزال قواته التي تقوى الله في ذلك ، فتركها خسائر في الأرواح ، مما قد يؤدي إلى إخفاق عملية الإنزال دون مسوغ منطقي معقول ، أقدم طارق فوراً على توجيه رجاله بوسائل نقلهم البحري إلى منطقة جبل طارق ، وأجرى إنزال قواته هناك بدون أية مقاومة قوطية تذكر ، لأن تلك المنطقة كانت خالية تماماً من القوط ، وكان القوط يفكرون أن المسلمين لا يتولون قواتهم في تلك المنطقة الوعرة ، لصعوبة الإنزال عليها ، لأنها صحيرية شديدة الوعورة ، تعرقل الإنزال ، وتؤدي التنازلي عليها من الرجال .

ونطبق طارق مبدأ المباغنة كثير جداً ، نكتفي بالأمثلة التي أوردناها . خفية أن يطول الحديث .

(٢٢٦) الرتل الخامس : كتابة عن الجواسيس والوكلاء والعيون والارصاد والمولين واصحاب المسالسخ الشخصية ، واصحاب العلاقة الدينية والعنصرية والمذهبية السخ

د . تحشيد القوة (٢٢٧) :

عبر طارق على رأس سبعة آلاف مجاهد ، وقبل المعركة الحاسمة التي خاضها على القوط بقيادة للريق ، أمده موسى بخمسة آلاف مجاهد ، فخاض المعركة الحاسمة باثني عشر ألف مجاهد . ولما أكمل طارق فتح طليطلة ، أصبحت قوات المسلمين في خطر محقق ، لتزايد وطأة المقاومة القوطية ، ولانكشاف جناحيها الأيمن والأيسر ، ولتعرض خطوط مواصلاتها للانقطاع ، فقدم موسى على رأس قوات ضاربة من المسلمين ، لترصين موقف قوات طارق في الأندلس ، واستئناف الفتح ، وهكذا اهتم طارق بتطبيق مبدأ : الحشد ، بما يناسب ظروفه الراهنة (٢٢٨) .

وإذا نوقش أسلوب تطبيق طارق لمبدأ : تحشيد القوة ، على الطريقة العسكرية الحديثة ، من عسكري مختص بمثل هذه البحوث والدراسات ، فربما يتورط بإصدار استنتاجات خاطئة ، وبخاصة إذا نوقش أسلوب طارق لهذا المبدأ ، اعتماداً على الناحية المادية من التحشد حسب ، إذ أن حشد سبعة آلاف مجاهد للعبور من أجل تحقيق الفتح ، وحشد اثني عشر ألف مجاهد للمعركة الحاسمة التي خاضها طارق على القوط بقيادة للريق ، حشد قليل لا يناسب الموقف الراهن ، إذ ما جدوى حشد سبعة آلاف مجاهد لمواجهة مملكة وشعب وبلاد شاسعة ، وما جدوى حشد اثني عشر ألف مجاهد لمواجهة مائة ألف قوطي " أو ثمانين ألف قوطي " ، وكيف يمكن أن ينتصر واحد في

(٢٢٧) تحشيد القوة : هو حشد أكبر قوة أدبية ودينية ، وأعظم قوة معنوية ومادية ، لاستخدامها في المكان والزمان الحازمين .

(٢٢٨) كان تطبيق مبدأ : تحشيد القوة ، بالنسبة للمسلمين ، قياساً على الناحية المادية في القوة وحدها ، غير كاف ، لأن التفوق المادي كان دوماً إلى جانب القوة ، ولكن التفوق المعنوي كان إلى جانب المسلمين ، فانتصرت الفئة القليلة على الكبيرة بأذن الله .

المجوم على سبعة في الدفاع عن بلده ؟ والمعروف أن المهاجم ينبغي أن يكون خمسة أمثال المدافع على الأقل ، ليتمكن أن يكون المجوم ناجحاً ! .

لقد كان تفوق القوط على المسلمين (مادياً) فواشاً ساحقاً ، فكان المسلمون مقصرون في تطبيق مبدأ ، تحشيد القوة ، من الناحية المادية . ولكن المسلمين كانوا متفوقين على القوط (معنوياً) فواشاً ساحقاً .

وكان نابليون يقول : « إن الجيش يتألف من ٧٥٪ معنوياً ، ومن ٢٥٪ مادياً » ، وآخر ما استقر عليه آراء الخبراء العسكريين العالميين ، بعد تطور الأسلحة وظهور الأسلحة النووية ، هو : « إن الجيش يتألف من ٥٠٪ مادياً و ٥٠٪ معنوياً » ، فلا يزال للمعنويات وزن مرموق حتى في العصر الحديث ، الذي يمكن أن تطلق عليه : العصر المادي ، لأن اهتمام الناس عامة بالناحية الروحية المتمثلة بالدين ، في هذا العصر ، أقل بكثير من اهتمامهم بهذه الناحية في القرون الخالية .

وقد كان اهتمام المسلمين بالدين الحنيف عظيماً ، في القرن الأول الهجري ، الذي كان غير القرون بلا مرأ . من ناحية التمسك بالدين والاهتمام به : « غير الناس قرتي » ثم الذين يكتونهم ، ثم الذين يكتونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم بدينه ، ويمينه شهادته ، كما قال عليه الصلاة والسلام (٢٢٩) . واهتمام المسلمين بالدين ، رفع معنوياتهم ، لأن أحدهم كان يحرص على الموت ، كما كان يحرص غيرهم على الحياة ، وكان كل فرد منهم يشئ أن يموت قبل صاحبه لينال الشهادة ، وكان كل فرد من غيرهم يشئ أن يموت صاحبه قبله ، كما قال خالد بن الوليد لأحد

(٢٢٩) رواه عن ابن مسعود ، الشيخان البخاري ومسلم ، والامام الترمذي ، والامام احمد بن حنبل في مسنده ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (١٢/٢) .

قادة الروم في معركة اليرموك الحاسمة ، لذلك كانت معنويات المسلمين عالية جداً في ذلك القرن . وهذه المعنويات اكتسحت أمامهم عدوهم المادي ، وقادتهم إلى النصر .

إن تطبيق المقاييس المادية الشائعة في هذا العصر كثيراً ، على أسلوب تطبيق طارق وأمثاله من القادة المسلمين مبدأ : تحشيد القوة ، لا يخلو من عاذير تؤدي إلى استنتاجات خاطئة . ومن المهم في هذا المجال ، أن لا ننسى القرن الذي حارب فيه طارق ، والمعنويات العالية التي كان يتحل بها المسلمون المجاهدون يومذاك ، وأثر المعنويات العالية في إحراز النصر .

وصدق الله العظيم : (كَيْمٌ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٢٣٠) .

ولعل انتصار المسلمين شرقاً وغرباً ، بالرغم من تفوق عدوهم عليهم مادياً ، في القرن الأول الهجري ، خير دليل على أن المقاييس المادية وحدها ، لا تصلح في التطبيق على المسلمين ، في ذلك القرن بالذات ، للحكم لهم أو عليهم في تطبيق مبدأ : تحشيد القوة . وإلا فكيف نعلل انتصارهم بالقليلة القليلة في الأندلس ، على الكثرة الكثيرة ، في القرن الأول الهجري ، فلما أصبحوا كثرة كثيرة بعد قرون من فتح الأندلس واستيطانهم في ربوعها . هزموا وخسروا ما فتحه أجدادهم ، وطُرد من طُرد منهم ، وشُرِد من شُرِد ، وقُتل من قُتل ، ونُصِر من نُصِر منهم قسراً ؟

إن انتصار المسلمين في القرن الأول الهجري ، قرن الفتوح والانتصارات كان انتصار عقيدة بلا براء .

٥. الاقتصاد في المجهود (٢٣١) :

إذا كان بالإمكان حدوث اختلاف بين الباحثين ، حول تطبيق طارق مبدأ : تحشيد القوة ، فليس بالإمكان حدوث مثل هذا الاختلاف في تطبيق طارق مبدأ : الاقتصاد في المجهود ، إذ أن تطبيقه كان مثالياً حقاً ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد تمّ الإنزال بسبعة آلاف مجاهد ، وتم بهذه القوة الصغيرة نسبياً بالنسبة للقوات القوطية المتفوقة على قوات المسلمين فواغاً بعيداً : تأسيس رأس جسر للمسلمين في البر الأندلسي ، وتكوين قاعدة أمامية متقدمة للمسلمين في منطقة جبل طارق وحمايتها ، والانطلاق شمالاً ، وفتح المنطقة الشاسعة بين جبل طارق ووادي لكثة* ، كل ذلك جرى بسبعة آلاف مجاهد حسب .

وجاء المدد من موسى إلى طارق قبل خوض المسلمين معركة وادي لكثة* ، وهي المعركة الأندلسية الحاسمة ، وكان المدد خمسة آلاف مجاهد فقط ، فخاض طارق المعركة الحاسمة بالثي عشر ألف مجاهد ، وانتصر على القوط انتصاراً حاسماً ، بعد أن تكبد المسلمون ثلاثة آلاف شهيد .

وانطلق جيش طارق شمالاً ، من وادي لكثة* ، حتى تمّ فتح طليطلة وعدد كبير من المدن الأندلسية الكبرى ، بقوات إسلامية لا تزيد على تسعة آلاف مجاهد .

ونتحقق هذه الانتصارات المتعاقبة للمسلمين والفتوح ، بمثل قواته القليلة في عددها وعددها . الكثيرة بمعنوياتها ومددها ، يمكن اعتباره مثلاً

(٢٣١) الاقتصاد بالمجهود : هو استخدام أسفر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو إلى محل آخر ، أو مد قوة معادية أكبر منها ، مع بلوغ الغاية المتوخاة .

إن الاقتصاد بالمجهود ، يدل على الاستخدام المتوازن للقوى ، والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على التحشد المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين .

رفيعاً لتطبيق مبدأ : الاقتصاد في المجهود ، ينبغي أن يكون أسوة حسنة في هذا المجال .

و . الأمن : (٢٣٢)

أمن طارق حماية قواته في مراحل عملياته للفتح كافة ، وبذل جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواته ، واستطاع الحصول على المعلومات الضرورية عن القوط عدداً وعدداً وتنظيماً وقيادة ، مستفيداً من شتى المصادر لجمع تلك المعلومات ، وبذلك طبق مبدأ الأمن .

وهناك أمثلة كثيرة على تطبيق مبدأ : الأمن ، عملياً ، في عمليات طارق العسكرية ، تحقيقاً لمقصده الرئيس في فتح الأندلس ، فعملية طريف بن مالك المعافري الاستطلاعية إلى بئر الأندلس ، هي في جوهرها لجمع المعلومات الفضيلة عن القوط ، وطبيعة أرض الأندلس ، وكان طارق يبدأ أعماله العسكرية بالاستطلاع ، فيكون على بيّنة من أمره ، ولا يخطو خطوة إلا في موضع أمين ، فهو ~~تحت إشرافه~~ ~~يقبل في التودد~~ لا في الظلام .

وقد وكلاه موسى على مقدمته في عملية فتح طنجة ، ووكلاه على مقدمته بعد عبوره إلى الأندلس ، ومعنى ذلك أن طارقاً خير جداً : بجمع المعلومات عن العدو ، وبحرمان العدو من جمع المعلومات عن قوات المسلمين ، وبحماية المسلمين من مباغطة العدو لها بالمكان أو الزمان أو الأسلوب .

إن تعداد الأمثلة العملية ، على تطبيق مبدأ : الأمن ، في عمليات طارق الحربية ، قد يطول بدون جدوى ، إذ أن تطبيقه لهذا المبدأ ، لا يحتاج إلى

(٢٣٢) الأمن : هو توفير الحماية للقوة ومواصلاتها ، لوقايتها من المباغطة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن القوة وتسليحها وتنظيمها وتعدادها وقيادتها ، وعن الأرض التي ستجرى عليها المعارك القادمة .

دليل ، ويكفي أن نذكر أنه استطاع مباغتة القوط في كثير من المواقف ، دون أن يستطيع القوط مباغتته في موقف واحد .
ز . المرونة (٢٣٣) :

كانت قوات طارق ، تتحرك إلى أهدافها ، بكفاية وسرعة ، بل كانت سرعتها في بعض الأحيان تخرج عن حدودها ، فتصبح اندفاعاً لاحتكاك سريعة ، كما جرى في حركة قوات طارق بعد المعركة الخامسة ، حتى تم لها فتح طليطلة ، حيث كان اندفاعها سريعاً ، وكان سببه : الحرص على تثبيت تجمعات القوط ، لكي لا تصبح قوات ضاربة مؤثرة من جهة ، ومطاردة لفلول القوط لإجبارها على الاستسلام من جهة ثانية .

وكانت عقلية طارق متفتحة مرة : فإذا أعد خطة من الخطط ، فرأى الموقف الراهن يقتضي تبديلها أو تحويرها ، لم يتأخر أبداً عن التبديل أو التحوير ، فلان خطته الموقف الراهن الجديد ، ولا يبقى مصيراً على خطته الأولى ، لسبب أو لآخر ، دون مسوغ مقبول .

فقد أبحر طارق من سبتة ، بسبب رغبته في إيجاد مكان ملائم للإنزال في منطقة الجزيرة الخضراء على الساحل الأندلسي ، ولكن طارفاً تحلى عن الإنزال في ذلك المكان ، حين وجد جماعة من القوط حاولت منعه من الإنزال ، فأبحر منه ليلاً إلى مكان وعمر على الشاطئ ، هو جبل طارق ، وتمكن

(٢٣٣) المرونة : ان المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية مبدأ : قابلية الحركة ، أصبح يسمى في الوقت الحاضر مبدأ : المرونة . ذلك لأن : قابلية الحركة ، تدل على الحركة المادية ، وهي عملية نسبية ، لا يعبر عنها تعبيراً صحيحاً ، الا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو . ان المرونة ، تعني أكثر من ذلك ، انها لاتتضمن قوة الحركة حسب بل قوة العمل السريع كذلك ، فعلى القائد ان يكون مرناً الفكر ، وعليه ان يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته ، وان تكون خطته بشكل يمكنه من أن يعقل بسرعة عمليات قوائمه ، حين تضطره الظروف غير المتوقعة الى هذا التمدد .

من الإنزال المفاجئ في المكان الجديد ، دون أن يراه أحد على الشاطئ (٢٣٤) .
وهكذا استبدل طارق خطة جديدة بخطة الأولى ، فنجح في إنزال
رجاله بدون مقاومة معادية تذكر ، ونجح في مباغتة العدو بهذا الإنزال .
والأمثلة على تبديل خطط طارق أو تحويلها ، يغني عنها المثال السابق ،
للدلالة على تمتع عقلي طارق بالمرونة المطلوبة .

ح . إدامة المعنويات (٢٣٥) :

كانت الثقة والمحبة متبادلتين بين طارق ورجاله ، ليس بالنسبة لرجاله
من البربر ، بل بالنسبة لرجاله من العرب أيضاً قادة وجنوداً ، فقد كانت
لطارق مزايا إنساناً وقائداً ، تجعله موضع ثقة رجاله ومحبتهم ، كما كان
يادهم ثقة بثقة وعبة ومحبة ، لذلك كان التعاون بين القيادة والرجال وثيقاً .
وكانت عوامل رفع المعنويات بحيش المسلمين عامة ، متيسرة إلى أبعد
الحدود في القرن المجري الأول ، وهي : العقيدة الراسخة أولاً ، والقيادة
القادرة ذات الكفاية العالية ثانياً ، والانتصارات الباهرة ثالثاً وأخيراً .

لقد كان المسلمون متسكين بالإسلام ، وأثر الإسلام في رفع المعنويات
معروف ، ومنه : الحياة المستمرة للشهداء ، والأجر العظيم للمجاهدين .
وكان المسلمون يومئذ يقودهم : أكثرهم تديناً وأعظمهم كفاية ، وأفضلهم
سجاياء ، وأحدهم سيرة ، لذلك كانت الثقة بين الرئيس والمرؤوس متبادلة ،
والتعاون بين القادة والجنود وثيقاً . وكانت الانتصارات باهرة ، بفضل العقيدة

(٢٣٤) ابن الكردبوس (٤٦) ، وانظر البيان المغرب (٩/٢) الذي يذكر أن طارقاً
أجرى إنزال رجاله في منطقة جبل طارق .

(٢٣٥) المعنويات : الصفات التي تميز الجيش المدرب عن العصابات غير
المدربة : بها تظهر الطاعة القائمة على الحب ، وتبرز الشجاعة في القتال ،
والصبر على تحمل المشاق ، وتبرز كل المزايا التي تجعل المقاتل مطيعاً
باسلا صبوراً .

المنشأة البناءة والقيادة الرصينة القادرة . لذلك كانت عوامل تيسر المعنويات العالية بين جيوش المسلمين واضحة للعيان ، وهي التي يسرت النصر لطارق منذ إزال قواته على البر الأندلسي ، إلى قبل المعركة الحاسمة ، بسبعة آلاف مجاهد فقط ، ويسرت له النصر على لذريق ومن معه في المعركة الحاسمة ، وكانوا في نحو مائة ألف مقاتل إلى ثمانين ألف مقاتل ، بجيش من المسلمين تعدادهم اثنا عشر ألفاً ، ويسرت له فتح المنطقة الأندلسية الممتدة من منطقة وادي لكه إلى طليطلة بقواته التي تبلغ تسعة آلاف مجاهد ، وكان لمعنويات المسلمين وإدامتها أثر حاسم في إحراز هذه الانتصارات (٢٣٦) .

ط . الأمور الإدارية (٢٣٧) :

مهما تكن خطة العمليات دقيقة ، فزعة معقولة ، فلا توفي ثمراتها المرتبة إذا تعذر تنفيذها من الوجهة الإدارية ، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك بالقول : إن نجاح كل خطة من خطط العمليات مرهون بنجاح خطتها الإدارية .

والواقع أن القوط كانوا متفوقين إدارياً على المسلمين ، فأرزاقهم وكسائهم ومساكنهم متيسرة لهم بشكل أفضل مما هي متيسرة لدى المسلمين ، لأن القوط يقاتلون في بلادهم ، والمسلمين يقاتلون بعيداً عن بلادهم ، وكانت وسائل نقل القوط أفضل مما كان بحوزة المسلمين منها ، وبخاصة قبل خوض المسلمين معركة الأندلس الحاسمة في وادي لكه ، فاستعان المسلمون بمراكب يليان للعبور ، وغنم المسلمون خيول القوط ، فأصبحوا فرساناً بعد المعركة الحاسمة ، وكان أكثرهم قبلها من المشاة . كما استغنى المسلمون في عبور

(٢٣٦) انظر التفاصيل في بحث المعنويات (١٣ - ٢٨) - في كتابنا : الاسلام والنصر - بيروت - دار الفكر - ١٣٩٢ هـ .
(٢٣٧) الأمور الإدارية : الفداء ، الكساء ، السكن ، الطبابة ، البيطرة ، التنقل ، السلاح ، التجهيزات السخ

المدد الذي بعث به موسى إلى طارق ، بدلاً من سفن يلبان ، وعبروا بالسفن التي صنعها لهم موسى في مصانع السفن بثونس .

وكان كل مجاهد يتسلح بأسلحته الخاصة به التي تعود إليه ملكيتها ، كما كان يتجهز بالملابس الخاصة به أيضاً . ومع ذلك كان لدى كل قائد مستودع للسلاح والتجهيزات ، يُسلح بها من لا يستطيع أن يسلح نفسه ، ويجهز بها من لا يستطيع أن يجهز نفسه بما يحتاج من تجهيزات ، وغالباً ما يكون هؤلاء من قراء المسلمين المعدمين ، الذين لم يسلحهم ويجهزهم أغنياء المسلمين ، فقد كان الأغنياء يجاهدون بأموالهم كما يجاهدون بأنفسهم ، ومن الجهاد بالأموال تسليح الغزاة وتجهيزهم وحملهم أيضاً .

وكانت مشكلة الغذاء بالنسبة للمسلمين غير معقدة ، فقد كانوا يكتفون بأبسط الغذاء كالتمر والسويق (٢٣٨) ، فإذا غنموا ما يؤكل قمعوا به ، ولا صبروا . أما السكن ، فكانت النكبة كافية لهم ، فهي مسكنهم في الصحراء وفي التنقل من مرحلة إلى أخرى ، فإذا وجدوا مكاناً مريحاً آووا إليه ، وإذا لم يجدوا كانت الخيام هي المأوى .

وكان في جيش المسلمين عامة من يداوي الجرحى ويسهر على شفائهم ، وبخاصة من نساء المجاهدين . وكان هناك من يداوي حيوانات المجاهدين من البياطرة ، الذين مارسوا معالجة الحيوانات مدة من الزمن وراثياً مع آبائهم وأجدادهم ، أو بالتعلم من الذين يمتنون البيطرة .

لقد كانت الأمور الإدارية بصورة عامة ، في جيش المسلمين ، أقل كفاية وإتقاناً ، مما هي عليه في جيش القوط ، ولكنها لم تكن مهلة في جيش المسلمين . ولعل طبيعة المسلمين زهداً وتقشفاً ، في أيام الفتوح ، هي التي

(٢٣٨) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمي بذلك لانسباقه في الحلق . (ج) : أسوقة .

سهلت عليهم نواقص الأمور الإدارية ، وزادت من صبرهم عليها ، إذ لم يكونوا قد اعتادوا ترف العيش ولا تعودوا عليه .

ي . التعاون (٢٣٩) :

كان التعاون وثيقاً بين طارق ورجاله في عمليات الفتح ، منذ بدايتها إلى أن سحب طارق من جبهة القتال في الأندلس إلى دمشق ، فقد كان طارق كما ذكرنا يتق برجاله ويتقون به ، وكان يحبهم ويحبونه . وكان يتمتع بمزايا قيادية تجعله قريباً من قلوب رجاله أثيراً عليهم ، لذلك كان التعاون وثيقاً بين القيادة ورجالها ، لأنه ينطلق من أسس رصينة ، ولا ينطلق من خوف أو رغبة ، ولا من سلطة أو رهبة .

وكان التعاون وثيقاً أيضاً ، بين طارق وممثليه المباشر موسى بن نصير ، فقد لبى موسى ككل مطالب طارق ، فبادر إلى إرسال المدد إليه فوراً بعد طلبه ، فوصل المدد ، إلى طارق في المكان والزمان المناسبين ، أي في ساحة القتال ، قبل الاشتباك في المعركة الجاسية - معركة وادي لكة* . ولما استجد طارق بموسى ثانية بعد فتح طليطلة وتعرض قوات المسلمين إلى خطر محقق ، من جرّاء تغلغها بالعمق في الأندلس ، بادر موسى بالعبور على رأس المدد ، وبذل قصارى جهده للقضاء على مواطن الخطر الذي كان محدقاً بقوات طارق في الأندلس ، ولم يتأخر موسى عن معاونة طارق والتعاون معه ، تحقيقاً للفتح .

كما صنع موسى السفن محلياً ، فأنشأ مصنعاً حربيّاً لصنع السفن ، واستطاع أن يحمل المدد على سفنه لا على سفن بليان ، كما جرى في عبور جيش طارق إلى البر الأندلسي ، في بداية الفتح .

(٢٣٩) التعاون : توحيد الطاقات المادية والمعنوية كافة ، لبلوغ الغرض ، وهو احراز النصر على العدو واجباره على الاستسلام دون قيد ولا شرط .

ولم يقتصر طارق ، على وضع مبدأ : التعاون ، في حيز التطبيق العملي ،
 بينه وبين رجاله ، وبينه وبين رئيسه المباشر موسى بن نصير ، بل وضع هذا
 المبدأ في حيز التطبيق العملي ، بينه وبين يليان ومن معه ، فاستفاد من
 سفنهم في العبور ، وسخرهم عبوناً وأرصاداً ومصدراً لاستقطاب المعلومات
 الضرورية عن القوط وعن طبيعة الأرض في الأندلس ، واستفاد منهم أولاً
 في مسيرته عبر الأندلس ، كما كان طارق يستشير يليان ويتقبل آراءه ، وبخاصة
 بعد نجاح يليان في اجتياز تجربة إخلاصه لطارق ، وثبات إخلاصه ، وقناعة
 طارق بذلك : « فهربوا إلى طليطلة - يريد القوط - وغلقوا سدائن
 الأندلس . وأقبل يليان إلى طارق ، فقال له : قد فرغت بالأندلس ، وهؤلاء
 أدلاء من أصحابي ، فرق معهم جيوشك . وخذ أنت إلى طليطلة ، وفرق
 جيوشه من إستجة » (٢٤٠) ، فقبل طارق نصيحة يليان ، وأرسل
 جيوشه إلى مالقة والبصرة ومرومية ومقرطبة (٢٤١) .

كما تعاون طارق مع يهود الأندلس الذين كانوا متعلمين من القوط
 وملكهم ثغماً شديداً ، فأنصفهم المسلمون بما عرف عنهم من عدل وتسامح ،
 وأزاحوا عنهم ما كانوا يعانونه من اضطهاد الملك والقوط ، فاستفاد منهم
 طارق عبوناً وأرصاداً ، ينقلون له الأخبار عن القوط ونواياهم ، ويكشفون
 له ما يبشئته القوط للمسلمين ، وقد تفرقنا إلى ذلك ، وكان يهود الأندلس
 متطوعين في نقل تلك المعلومات عن القوط للمسلمين ، ولم يثبت لدى أنهم
 عاونوا في القتال ، بل اقتصر تعاونهم على جمع المعلومات عن القوط ، ونقلها
 للمسلمين نكابة بالقوط وتقرباً من المسلمين .

(٢٤٠) أخبار مجموعة (٩ - ١٠) .

(٢٤١) الرازي نشر جاينجوس (٦٩) وأخبار مجموعة (٩ - ١٠) وفتح الأندلس
 (٩) وابن الأثير (٥٦٣/٤) والبيان المغرب (٩/٢) و (١١) والتويرى (٢٢١/٢٧)
 ونفع الطيب برواية الرازي (١/٢٦٠ - ٢٦١) .

لقد طَبَّقَ طارق مبدأ : التعاون ، تطبيقاً سليماً .

ع . نقطة الضعف :

تغلغل طارق بقواته القليلة نسبياً تغلغلاً بالعمق في الأندلس ، امتدَّ من جبل طارق حتى طُلَيْطلة ، فعَرَّضَ بحقَّ تلك القوات إلى خطر عظيم ، لأنَّه كَشَفَ جناحيها : الأيمن والأيسر . وعَرَّضَ خطوط مواصلاتها للانقطاع فأصبح خطر القوط يهدِّد قوات طارق ، ليس من أمام ، باعتبار أنَّ العدو في الجبهة أمام المسلمين ، بل من يمين الجيش الإسلامي ، ومن يساره ، ومن خلفه ، وأصبح مهدِّداً بقطع خطوط مواصلاته ، التي تربطه بقاعدة المسلمين الأمامية المتقدمة في جبل طارق ، وقاعدة المسلمين الأمامية في سَبْتَة وطنجة ، وقاعدة المسلمين الرئيسة في القيروان .

لذلك قرَّر موسى بن نُصَيْرٌ ، أن يَتَوَلَّى ثلاثي الأمر بنفسه ، بالعبور على رأس قوات المدد ، وبطل قصارى جهده بما عرف به من سمات قيادية متميزة ، للقضاء قضاءً نهائياً على مواطن الخطر التي كانت مهدِّدة بقوات طارق في الأندلس ، وحماية جناحيهما الأيمن والأيسر حماية كافية ، وتأمين خطوط مواصلاتها بقاعدتها الأمامية المتقدمة ، وبقواعدها الأمامية على البر الإفريقي القريب من الشواطئ الأندلسية ، وبقاعدة المسلمين الرئيسة في إفريقية والمغرب في القيروان .

وأسرع موسى بإتزال قواته على البر الأندلسي في منطقة جبل طارق ، ثم دخل الجزيرة الخضراء وأقام فيها أياماً للراحة .

وكان مجرد وصول موسى على رأس قواته إلى البر الأندلسي ، قد أثار في معويات المقاومة القوطية ، وجعلها تحسب حساب هذه القوات الإسلامية الجديدة . وتربَّث في التعرُّض بقوات طارق ، ريثما ينكشف الموقف وتتضح الأمور .

وزحف موسى إلى شَدُونَة ، فاستعاد فتحها ، وكان طارق قد فتحها بعد المعركة الحاسمة مباشرة ، ويبدو أن القوط استعادوها من المسلمين .

وتحرك موسى من شَدُونَة إلى قَرْمُونَة ورعواق ، ففتحهما أيضاً ، وبذلك أمنت خطوط مواصلات المسلمين من الجزيرة الخضراء وجبل طارق إلى قُرْطُبَة ، وكان طارق قد فتح قَرْمُونَة ، ويبدو أن المقاومة القوطية استعادتها من المسلمين ، ففتحها موسى ثانية .

ومن الواضح ، أن سقوط شَلُونَة وقَرْمُونَة بعد فتحها من طارق لأول مرة ، عرض خطوط مواصلات طارق للانقطاع ، مما يكبدُها خسائر فادحة بالأرواح ويجبرها على الاستسلام ، فكان من أول ثمرات عبور موسى إلى البر الأندلسي ، استعادة فتح هاتين المدينتين من جديد ، تأميناً لخطوط مواصلات قوات طارق في الأمام ، وترصيداً لتوقفها في الثبات ، وقضاء على مراكز المقاومة القوطية في مؤخرة قوات المسلمين .

واتجه موسى نحو الغرب ، ليقتح مدينة إشبيلية كبيرة مدائن الأندلس بعد طليطلة إذ ذلك ، ففتحها موسى بعد بضعة أشهر من الحصار ، وكان طارق قد فتح هذه المدينة لأول مرة ، ويبدو أن القوط استعادوها من المسلمين ، فاستعادها طارق إلى المسلمين بعد قتال مرير .

وسار موسى على رأس قواته إلى ماردة ، وكان الحاربيون من فلول القوط قد تجمعوا فيها ، لأنها بلد بعيد صعب المنال وعر المسالك ، فبقى موسى محاصراً البلد بقية الصيف والشتاء التالي ، ولم يسلم البلد إلا بعد عشرة أشهر من الحصار الصعب المديد ، مما يدل على صلاحية عود المقاومة القوطية في هذا البلد المنيع .

وكان الطريق بين ماردة إلى طليطلة جلياً وعرّاً ، وكان مغلوماً بالمقاومة القوطية المتنامية ، فتوجه موسى إلى طليطلة ، وتوجه طارق من طليطلة باتجاه

ماردة ، فالتقى القائدان في وسط الطريق بين طليطلة وماردة ، بعد مقاومة شديدة وقاتل متواصل ، فقد كانت المقاومة القوطية قد اتخذت من المواقع الجبلية جيوباً للمقاومة ، وساعدت وعورة المنطقة على نجاح هذه المقاومة ، ولكن قوات طارق وموسى كبّدوا المقاومة القوطية خسائر فادحة ، دون أن يستطيعوا استئصال شأفتها من الجذور .

وكانت المعركة التي شهدتها موسى وطارق في طريق ماردة - طليطلة معركة قاسية ، أطلق عليها معركة : السّواقي ، ثبت المسلمون هجوم القوط ثباتاً راسخاً ، وصبروا على مقاومة الهجوم صبراً جميلاً ، ثم ردّوا على هجوم القوط بهجوم مُقابل ، فانتصر المسلمون على القوط .

ويبدو أن اشتباك المسلمين بالقوط في معركة السّواقي ، شجّع نفراً من بقايا القوط وأنصارهم في طليطلة على نقض طاعة المسلمين ، فانتهزوا فرصة خروج طارق وجنّده منها ، ووثبوا بها . وسيطروا على مقاليدها ، فاضطر موسى على استعادة فتحها من جديد ، ودخولاً دخول المنتصر .

وحين كان موسى محاصراً ماردة انتفضت إشبيلية من جديد ، فوجّه موسى ابنه إلى إشبيلية ففتحها للمرة الثالثة ، ثم نهض إلى لبّنة (٢٤٢) وباجة ، ففتحها أيضاً . وقد سار عبدالعزيز بن موسى بعد ذلك على رأس جيشه لاستكمال فتح الأندلس غرباً : البرثغال حالياً ، فكانت له فتوح في غربي الأندلس (٢٤٣)

(٢٤٢) لبّنة : قصبه كورة بالأندلس كبيرة ، يتصل عملها بعمل اكشونية ، وهي شرق من اكشونية وغرب من قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة ايام اربعة واربعون فرسخاً ، وبينها وبين اشبيلية اثنان واربعون ميلاً ، وهي برية بحرية غزيرة الفضائل والتمر والزروع والشجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣١٩) .

(٢٤٣) عبدالعزيز بن موسى بن نصير ترجمته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الأندلس والبحار ، وفيه تفاصيل فتوح عبدالعزيز .

وبذلك أبعاد موسى الخطر الذي يهدد جناح قوات طارق الأيسر ، بفتح
عبدالعزیز بن موسى .

كما بعث موسى ابنه عبدالأعلى (٢٤٤) إلى جنوبي الأندلس وجنوب
شرقي الأندلس ، وكان ذلك بعد استعادة فتح إشبيلية للمرة الثانية ، فاستطاع
عبدالأعلى أن يستعيد فتح مالقة والمشيخة ، وكان التعاون بين الأخوين في
الفتح وثيقاً .

وكما أبعاد موسى الخطر الذي يُهدد جناح قوات طارق الأيسر بفتح
عبدالعزیز بن موسى ، أبعاد موسى الخطر الذي يُهدد جناح قوات طارق
الأيمن بفتح عبدالأعلى بن موسى ، وبهذه الجهود المكثفة التي بذلها موسى
بمعاونة طارق الذي ثبت في طليطلة بالرغم من إحاطة القوط به إحاطة السوار
بالمعصم ، وبمعاونة ولدي موسى اللذين حذا غريباً وشرقاً ، فأمتنا جناحي
قوات طارق المكشوفين : الأيمن ، والأيسر ، كما أصبحت خطوط
مواصلات قوات طارق آمنة ^{بإتقان} ، ولصحب المستلمون القانتحون في الأندلس
بعيدين عن الخطر ، قريبين من الأمن ، وبذلك استطاع موسى بمعاونة طارق ،
الانطلاق شمالاً لاستكمال الفتح .

أليس هذا الذي حدث في معركة السواقي ، بين فلول القوط وقوات
موسى بن نصير ، بمعاونة طارق ، وفتح موسى ثانية المدن الأندلسية التي
فتحها طارق قبله تم انتفضت ، وفتح موسى طليطلة ثانية بعد انتفاضها
مستهزة فرصة معادرتها من طارق بوقت قليل ، دليلاً قاطعاً على أن المسلمين
بقيادة طارق قد تغلغلوا في الأندلس بالعمق أكثر مما ينبغي ، وأنهم بعد

(٢٤٤) عبد الأعلى بن موسى بن نصير : ترد ترجمته المفصلة في كتابنا : قادة
فتح الأندلس والبحار ، وفيه تفاصيل فتوح عبد الأعلى .

تغلغلهم الذي لا يتناسب مع حجم قواتهم ، أصبحوا في خطر محقق جسيم ، فكان عبور موسى هو للراء هذا الخطر المحقق الجسيم ؟

ثم أليس بقاء طارق في طليطلة دون التحرك لفتح جديد ، ودون التوجه للقاء موسى ، بالرغم من مرور مدة طويلة من الزمن على عبور موسى إلى الأندلس ، هو لتثبيت حشود المقاومة القوطية في أماكنها ، دون التعرض بقوات موسى وقوات طارق لأطول مدة ممكنة ، ولحماية طليطلة بالذات من هجمات المقاومة القوطية واحتمال استعادتها من المسلمين ؟

ثم أليس حركة طارق لقاء موسى ، في طريقه إلى طليطلة ، وهو طريق جبلي وعمر ، فيه حشود المقاومة القوطية المتربصة بالمسلمين ، كان لمعاونة قوات موسى ، على اجتياز هذا الطريق المحفوف بالمخاطر بأمن وسلامة ، وضمان إحراز النصر على القوط إذا اشتبكوا بالمسلمين ، لأن اشتباكهم بقوات موسى وقوات طارق ، أصعب عليهم بخير من اشتباكهم بقوات موسى وحدها ؟

لقد كان تغلغل طارق بقواته القليلة نسبياً ، بالعمق في الأندلس ، هو نقطة الضعف ، في قيادة طارق . فقد كان تغلغل قواته عمقاً لا يتناسب مع حجمها في حال من الأحوال .

ولا يمكن أن تخفى نقطة الضعف هذه على طارق ، بما عرف عنه من سجايا قيادية علية لا تتكرر إلا نادراً . ويمكن تحليل أسباب وقوع طارق في هذا الحلل الذي كان يمكن أن يأتي على فتوحه ويكبد قواته خسائر فادحة مادياً ومعنوياً ، بأنه لم يكن يعمل وحده في الأندلس ، ولا كان فتحها يهده وحده . فقد كان موسى بن نصير مشغولاً بالمشاورات الإنسانية ، مطلقاً على موقف طارق اطلاعاً مفصلاً ، فكان لا يشعرون في إعداد قواته بالرجال ، ويحرص على مصير قوات طارق حرص طارق عليها . كما كان مصير فتوح

طارق لا تهم طارقاً وحده ، بل تهم موسى بالدرجة التي تهم طارقاً ، إن لم يكن مصيرها يهم موسى أكثر مما يهم طارقاً ، وبخاصة وأن الخليفة يحاسب موسى على مصير قوات طارق ومصير فتوحه ، لو لحق بقوات طارق وفتوحه ضرر من جراء إهمال موسى في المدد أو تقصيره ، لذلك بادر موسى إلى قيادة المدد بنفسه رغم شيخوخته ، مبالغة في حرصه على معاونة طارق والتعاون معه ، وقطع دابر الخطر الذي تعانیه قواته ، والعمل على إكمال الفتوح إلى نهايتها المرجوة ، التي يطمحها موسى كما يطمحها طارق . ومن الواضح جداً ، أن موسى ، كان بإمكانه أن يوكل أحد أبنائه قيادة المدد ، أو يوكل هذا المدد أحد قادته المرموسين ، وكان أولاد موسى قادرين على تحمل أعباء قيادة المدد عن أيهم الشيخ ، وكان قادة موسى المرموسون مجربين في الفتوح والمعارك وقادرين على تحمل أعباء قيادة المدد أيضاً ، ولكن موسى قرر أن يتحمل مسئوليته كاملة ، بعد أن وجد مبلغ ما يجني بقوات طارق من أخطار جسيمة فزع نفسه في معارك واضحة الأخطار ، ولكن حرصه على مصير المسلمين والفتح غطى على ما توقعه من مشقات وأخطار ، فآثر سلامة المسلمين وراحتهم على سلامته وراحته .

لقد كان طارق ، يستند على ركن ركين في قيادته ، فقد كانت الثقة متبادلة إلى أبعد الحدود ، بين طارق وموسى رئيسه المباشر في القيادة ، لذلك كان يُقدَّم على النهوض بواجبه قائداً ، حتى إذا كان النهوض به لا يخلو من الأخطار ، لأنه كان يعلم علم اليقين ، أن هناك من يشاركه في تحمل تلك الأخطار مشاركة تبدها تبديداً ، وتجعلها أثراً بعد عين .

ولو أن الثقة لم تكن متبادلة بين طارق وموسى ، لاختلف الأمر اختلافاً جذرياً ، ولما أقدم طارق على مجازفة عسكرية دون مسوغ ، ولكنه كان يعلم أن موسى لا يمكن أن يتخلى عنه ، وأن المدد سيجعل من المجازفة نصراً لا مآلاً .

وكان هناك ما يسمّى بطارق اندفاعه في العمق الأندلسي ، من الناحية العسكرية الفنية البحث ، فبعد خروج طارق من المعركة الحاسمة ، معركة وادي لكة ، متصراً على القوط بقيادة ملكهم للريق انتصاراً حاسماً ، كان عليه أن يطارد فلول القوط بتماس شديد ، وألا يفسح لهم المجال للتجمع تحت لواء واحد بقيادة واحدة من جديد ، لذلك طارد فلولهم حول ساحة المعركة الحاسمة ، وكبدهم خسائر فادحة بالأرواح في مطاردته التي نهضت بها سراياه فهوذاً موقفاً . وقد لجأ قسم من القوط إلى مدينة شذوقة القريبة جداً من ساحة المعركة الحاسمة ، فاقتضى الموقف العسكري ، أن يفتح طارق هذه المدينة ، ليظهرها من فلول القوط الذين احتموا بها . وكان فلول القوط قد انسحبوا إلى إستيجة . فطاردهم طارق إلى هذه المدينة ، وفتحها ، وبدد فلول القوط التي لجأت إليها .

وبعد فتح إستيجة ، انسحب القسم الأكبر من فلول القوط إلى طليطلة ، باعتبارها أكبر مدنها وعاصمة ملكهم في الأندلس . والاحتواء بها ، والتعاون مع حاميتها المحلية في صد المسلمين عن فتحها . كما انسحب بعض فلول القوط ، إلى المدن المجاورة لمدينة إستيجة ، بأعداد أقل من الأعداد التي أخذت طريقها إلى طليطلة . فكان على طارق أن يطارد الفلول في معاقلة الجديد ، وعلى رأسها مدينة طليطلة ، فتوجه على رأس القسم الأكبر من رجاله إلى طليطلة ، وفرق السرايا إلى المدن المجاورة لأستيجة ، عاملاً بنصيحه بليان ، لأنها تحقق هدفه الحيوي في مطاردة فلول القوط أينما وجدوا وحيثما اتجهوا ، كما تحقق هدفه في الفتح ؛ وهكذا فرض الموقف الراهن نفسه على طارق ، فازداد تغلغه في عمق البلاد ، وتوسعت جبهته ، وكان هذا التغلغل والتوسع في الجبهة لا مفر منه ، بالنظر للموقف العسكري الراهن ، على الرغم من خطره الناهم على قوات المسلمين .

لقد اضطرَّ طارق على اتخاذ هذا المسلك اضطراراً ، وهو يعلم حق العلم عاذهيره . ومن الواضح ، أن طارقاً ، بعد انتصاره على القوط في المعركة الحاسمة ، وكانت قوات القوط متفوقة على قوات المسلمين تفوقاً ساحقاً في تلك المعركة ، كما ظهر لنا من دراسة المعركة وهو يرى انسحاب فلول القوط بأعداد ضخمة من ساحة المعركة في اتجاهات مختلفة ، على غير هدى وبصيرة غالباً ، وعلى هدى وبصيرة نادر ، فكان الموقف الراهن ، يقضي عليه أن يطارد القلول القوطية ، مستفيداً من حالة انهيارها المادي والمعنوي نتيجة لقتل ملكها أولاً ، ولغزيمتها ميدانياً ثانياً ، إذ لا يمكن أن يستمر هذا الانهيار طويلاً ، فمن الواجب استغلاله بأقصى ما يمكن في مطاردة سريعة مدبّرة ، خوفاً من أن يستعيد القوط تماسكهم المادي والمعنوي ، ويتجاوزوا مدة الانهيار الذي يعانونه ، والذي لا يمكن إدامته وتعميق آثاره ، إلا بالمطاردة الفورية ، وهذا ما طبقه طارق عليه ، فقادته إلى التغلغل عميقاً ، وإلى توسيع جبهة المسلمين ، بدون أن يترك تعداد المسلمين في حينه .

والواقع أن طارقاً كان أعمى مسلحاً لآلافهما : أن يكتفي بانتصاره في المعركة الحاسمة ، ويتخذ موضعاً دفاعياً مناسباً ، وربما تصل إليه الامدادات ، ثم يستأنف مسيرته لاستكمال ما بدأه من فتوح .

ومحذور هذا المسلك ، أن تستعيد فلول القوط رشدهم ، الذي فقدوه من جراء خيبتهم وقتل ملكهم ، وجسارة خسائرههم بالأرواح والأموال ، وحينئذ يمكن أن يهاجموا قوات طارق في مواضعها الدفاعية ، ويمكن أن يستعيدوا ما فقدوه من مدن أندلسية من المسلمين ، وبخاصة وأن التفوق العددي والعُددي مع القوط على المسلمين . وحتى في حالة وصول المدد إلى المسلمين ، وهم بهذه الحالة ، من تجمع القوط واستعادة معنوياتهم ، فإن انتصار المسلمين عليهم يكون أصعب بكثير من حالتهم في تفرقهم وانهيار معنوياتهم ،

مما يجعل اتخاذ هذا المسلك من طارق ، غير مأمون العواقب ، ولا مضمون النتائج .

والمسلك الثاني الذي كان أمام طارق ، هو مطاردة قلول القوط بسرعة وبتماس شديد ، وهذا المسلك هو الذي اتخذه طارق ، وطبقه عملياً في مسيرة الفتح .

لقد كان أمام طارق مسلكان صعبان ، أحلاهما مرّ ، فاختار المسلك الذي يناسب المجاهدين الصادقين في القرن الأول الهجري ، خير القرون ، وقرن الفتح الإسلامية المجيدة . وما كان بإمكانه أن يختار المسلك الأول ، مسلك الدفاع ، لأنه كان قائداً تعرّضياً لا قائداً دفاعياً ، ولا تنطبق مقاييس طارق على مقاييس القادة في العصر الحديث ، فقد كانت أسبقية المقاييس بالنسبة لطارق وقادة الفتح الاسلامي قاطبة . للمقاييس الروحي ، فأصبحت أسبقية المقاييس اليوم للمقاييس المادّي . وشتاك بين المقياسين .
ولكل عصر مقاييسه المعبرة ، ولكل زمان دولة ورجال .

٥ - مجمل السمات :

(١) سماته الخاصة :

ذكاء خارق ، وكياسة واتزان وحصافة وحسن التدبير وحسن السياسة ، والقبليّة على استقطاب الثّقّة به إنساناً وقائداً ، ونسبه البربري الذي أثر عليه نسبه إلى الإسلام ، فهو طارق بن الإسلام بحق لطارق بن البربر نسباً ، وإيمانه الراسخ العميق بتعاليم الدّين الحنيف . وتجربة عمليّة ناجحة في القيادة ، يقود رجاله من الأمام ويكون قدوة حسنة لهم بالأعمال لا بالأقوال ، يستأثر دون رجاله بالخطر ويؤثرهم بالأطمئنان ، يبذل جهداً في جهاده أكثر من أيّ رجل من رجاله ، حريص غاية الحرص على أرواح رجاله ، يتحكى بالضبط المتين ، ويتحمّل المسئولية كاملةً ويحبّها ، ويسلّح قصارى جهده في رفع

معنويات رجاله ، يهتم بأمن جيشه كل الاهتمام ، سبق النظر ويعد لكل ما يُحتمل وقوعه ما يناسبه من حلول ، لا يجتأحه الغرور في حالة النصر ولا يستخفي في حالة الانتحار ، يُقدر المواقف العسكرية تقديرًا واقعيًا صائبًا ، يتميز بالشجاعة النادرة والإقدام .

(ب) سماته العامة :

كان ذا قرار سريع صحيح ، يتميز بالشجاعة الشخصية ، وكان ذا إرادة قوية ثابتة ، له نفسية رصينة لا تتبدل في حالتي النصر والهزيمة ، يتحمل المسؤولية وبحبها ولا يتهرب منها ويلقيها على كواهل الآخرين ، يتمتع بمزية سبق النظر ، وعلى معرفة مفصلة بخصائص رجاله وقابلياتهم ، يثق برجاله ويثقون به ويثق برؤسائه ويثقون به ، يحب رجاله ويحبونه ، وكان ذا شخصية قوية نافذة ، يتمتع بالقابلية البدنية المتميزة ، وله ماضٍ ناصع مجيد في ميدان الجهاد .

وكان يعرف مبادئ الحرب بالفطرة ، ويطبقها في عملياته العسكرية تطبيقًا ناجحًا ، ومن المعلوم أن مبادئ الحرب لا تتغير ، ولكن أساليب الحرب هي التي تتغير .

تلك هي سمات طارق الخاصة والعامة ، التي قدّمته لتستلم منصب القيادة ، ثم جعلت منه قائلاً لامعاً من أبرز قادة الفتح الإسلامي ، لا يُذكرون إلا ويذكر معهم .

وسمات قيادة طارق تشابه إلى حد بعيد سمات قيادة خالد بن الوليد ، فإذا كان خالد بطل فتوح المشرق ، فطارق ، بطل فتوح المغرب . وإذا كان خالد بطل العرب المسلمين ، فطارق بطل البربر المسلمين .

وإذا كان خالد من بني غزوم من قريش ، فإن طارقاً لم يكن من بني غزوم ولا من قريش ، وإذا كان لنسب خالد أثر في تسنمه القيادة ، فلا أثر لنسب طارق في تسنمه القيادة ، وهو بحق القائد العصامي الذي بنى مجده بمزاياه وكفائاته ، وهو أجدت الأول لعقبه وعقب عقبه ، يعتزون بالانتساب إليه ، ويفخرون بسجاياه وفتوحه .

تلك هي مجمل سماته الخاصة والعامة ، ولعلها تفيد الذين يؤثرون الإيجاز على الإطناب ، ولعلها تفيد الذين لا يتسع وقتهم للدراسة الشروح والتفصيلات .



مرکز تحقیقات و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران



طارق في التاريخ

يذكر التاريخ لطارق ، أنه فتح شطر الأندلس ، وكان أول قائده بدأ بفتح الأندلس فتحاً مستداماً .

ويذكر له ، أنه شارك موسى بن نصير في فتح ولاية طنجة الواسعة الأرجاء من المغرب .

ويذكر له ، أنه فتح مدينة سبتة المغربية سلماً ، بعد أن استعصى فتحها على الفاتحين عتوة .

ويذكر له ، أنه كان إدارياً لامعاً ، برز في إدارته الحازمة على ولاية طنجة المغربية .

ويذكر له ، أنه كان سياسياً حكيماً ، استمال يُلَيَّان بالحنى ، حيث عجز السيف عن استمالته .

ويذكر له ، أنه أول قائد غير عربي ، تسمَّ منصباً قيادياً كبيراً ، بمجهوده وجهاده ومزاياه ، لا ينييه وحبه وكفاياته حسب .

ويذكر له أنه كان قائداً لامعاً ، من ألمع قادة الفتح الإسلامي ، في القرن الأول الهجري ، قرن الفتح والانصارات .

ويذكر له ، أنه أول مَنْ نشر العربية لغةً والإسلام ديناً ، في الفردوس العربي المفقود .

ويذكر له ، أنه كان من أشجع الشجعان ، لا يبالى أوقع الموت عليه ، أو وقع هو على الموت .

ويذكر له ، أنه في سماته القيادية يشابه خالد بن الوليد ، فهو خالد فتوح المغرب ، كما كان خالد بن الوليد قائد فتوح المشرق ، وكان طارق يظل غير العرب المسلمين ، كما كان خالد يظل العرب المسلمين .

ويذكر ، أنه في مزايده القيادية ، يشابه المثنى بن حارثة الشيباني ، فهو بطل فتوح الأندلس ، كما كان المثنى بطل فتوح العراق .

ويذكر له ، أنه غنم مغنم جسيمة في الأندلس ، ولكنه لم يخلّف لإرضاء ولا داراً ، ولم يورث درهما ولا ديناراً .

ويذكر له ، أنه كان محبوباً من البربر ، تتوجه حشودهم بأمره إلى الجهاد ، بلون سؤال ولا جواب .

ويذكر له ، أنه لمع سنوات معدودات فاتحاً ، ثم سطع حتى بهر الناس شرقاً وغرباً ، ولكنه انطفأ فجأة كما لمع فجأة ، فاندثر إنساناً ، وبقيت فتوحه لا تتدثر أبداً .

ويذكر ، أنه بقدر حديث المؤرخين عنه قائداً ، بقدر إغفال الحديث عنه إنساناً ، فطارق القائد معروف جداً ، وطارق الإنسان مجهول جداً .

ويذكر له ، أن فتوحه الأندلسية ، قوبلت بالعقوق ، وقضى أيامه بعد رحيله من الأندلس إلى دمشق ، مقنوراً ~~بجهول المكاة والمكان~~ .

ويذكر له ، أنه احترق بنار مولاه موسى ، فتحمل ما تحمله موسى ثابثاً صابراً محتسباً ، دون أن يقترب ما يستحق عليه العقاب .

ويذكر له ، أنه لم يحاسب كما حوسب غيره في تصرفه بالأموال ، بل كانت جريمته الأولى والأخيرة ، أنه ذو شعبية طاغية في المغرب والأندلس ، فيخشى على السلطة من شعبيته وعواقبها ، ويخشى من الناس أن يستغلوه في مصالوة السلطة ، ويخشى من استجابته للناس ، فيضع السلطة في اختبار عسير .

ويذكر له ، أن الخروج على السلطة ، كان يدور في خلد حاسديه من الطامعين في ولاية الأندلس ، ولا يدور في خلد طرفة عين ، لأنه كان أكبر من المناصب ، تسعى إليه ولا يسمى إليها ، ويعتبرها تكليفاً لا تشرifa .

ويذكر له ، أن السُّلطة أقصته عن القيادة ، اعتماداً على ما سمعته عنه لا على ما تحققته منه ، فذهب ضحية الوشاية والافتراء ، لا ضحية الواقع واليقين ، وغسر الفتح بإقصائه قائداً لا يتكرر إلا فادراً ، وكانت الخسارة بإقصائه قائداً وإنساناً لا تعوض .

رحم الله القائد الفاتح ، البطل المجاهد ، الإداري الحازم ، السياسي البارع ، النقي ، الذكي الأملعي ، طارق بن زياد فاتح شطر الأندلس .



مسائل لغوية في مذكرات جمعية

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضو المجمع)

« القسم الثاني »

(تعقيب على قراراتِ لمجمع القاهرة) (*)

في السنة المجمعية ١٩٨٠ - ١٩٨١ م ناقشت لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي مجموعة القرارات العلمية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، من الدورة الاولى الى الدورة الثامنة والعشرين . وكان من جملة تلك القرارات : (ثامنها) المعني بكيفية كتابة ماسماه « الأعلام الأجنبية » (كذا) النصراية الواردة في كتب التاريخ « مثل بطرس وبقطر وبولس ويعقوب وأيتوب . والقرار (التاسع) الذي أعلن فيه المجمع المذكور الموافقة على « إدخال أربعة حروف الى العربية » هي پ و ج و ژ و گ . وقد حررت المذكرة الآتية تعقياً على هذين القرارين :

★ ★ ★

(*) مذكرة مقدمة الى لجنة اللغة العربية بتاريخ ١١/٤/١٩٨١ م .

بعد الاطلاع على محضر جلسة يوم ٢٨ - ٣ - ١٩٨١ م والمشاركة في مناقشات جلسة يوم ٤ - ٤ - ١٩٨١ م ، رأيت من الراجح أن أضع أمام أنظار الزملاء المحترمين أعضاء اللجنة مقتطفات مما دونه السلف في بيان الطريقة التي درجوا عليها في كتابة الكلمات الأعجمية بالعربية ؛ وفي تحديد موقفهم من الأصوات التي لا يوجد في الحروف العربية ما يبدل عليها دلالة تامة ، عسى أن يكون في ذلك ما ينير النهج ويوضح السبيل .
والله ولي التوفيق .
قال سيويه :

« أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هـن فروع ؛ وأصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي : النون الخفيفة ؛ والهمزة التي بينَ بينَ ؛ والألف التي تُمال إمالةً شديدة ؛ والشين التي كالجيم ؛ والصاد التي تكون كالأزاي ؛ وألف التفخيم - يعني بلغة أهل الحجاز - في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة .

« وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عريته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر ، وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف ؛ والجيم التي كالكاف ؛ والجيم التي كالشين ؛ والصاد الضعيفة ؛ والصاد التي كالسين ؛ والطاء التي كالطاء ؛ والظاء التي كالظاء ؛ والباء التي كالفاء .

« وهذه الحروف التي تمتثلها اثنين وأربعين (١) - جيدها ورديتها - أصلها التسعة والعشرون ، لاتبين إلا بالمشافهة (٢) .

(١) كلما في الأصل المنقول منه ، وهي (٤٢) .

(٢) الكتاب : ٤٠٤/٢ - طبعة بولاق - .

وقال ابن دريد :

« اعلم ان الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفاً ؛ مرجعهم الى ثمانية وعشرين حرفاً وهذه الحروف تزيد على هذا العدد اذا استعملت فيها حروف لا تتكلم بها العرب الا ضرورةً ، فاذا اضطرّوا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها . فمن تلك الحروف : الحرف الذي بين الباء والقاف مثل (پور) اذا اضطرّوا اليه قالوا : (فور) ، ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم والكاف - وهي لغة سائرة في اليمن - مثل (جمل) اذا اضطرّوا اليه قالوا : (كمل) بين الجيم والكاف ، ومثل الحرف الذي بين الباء والجيم وبين الباء والشين مثل (غلامي) فاذا اضطرّوا قالوا : (غلامج) ... (غلامش) . وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب عنها .

« فأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جداً ؛ فيقولون : (الكوم) يريدون (القوم) ؛ فتكون القاف بين الكاف والقاف ، وهذه لغة معروفة في بني تميم ، قال الشاعر :

ولا أكون لكبر الكوم كد نصجت ولا أكون لباب الدار مكفول (٣)

وقال حمزة بن الحسن :

« ومنها اربعة احرف جارية في العربية على اللسن أهلها ولم يخصصوها بصور ، وهي : النون الغنة ؛ والهمزة ؛ والواو والياء اللينتان .

« فالنون الغنة هي التي تخرج من الغنة ، وهي مثل نون (مُنْذِر) ، لأنها ليست من مخرج نون (رَسَن) .

« والهمزة مثل (قرأ) و (رفا) ومثل أول حرف من (أحمد) ، لأنها ليست من مخرج ألف (حامد) .

« والواو والياء في (عمود) و (بعير) ، لأنهما ليستا من مخرج باء (برئند) و (زبد) وواو (واصل) و (صواب) » (٤) .

وقال الجواليقي :

« اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها . فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً ، وربما أبدلوا ما بعدد مخرجها أيضاً . والإبدال لازم ، لئلا يُدْخِلُوا في كلامهم ما ليس من حروفهم

« فمما غيروه من الحروف : ما كان بين الجيم والكاف ، وربما جعلوه جيماً ؛ وربما جعلوه كافاً ؛ وربما جعلوه قافاً لقرب القاف من الكاف ، قالوا : (كُرْبِج) ؛ وبعضهم يقول : (قُرْبِج) .

« وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والقاف ، وربما أبدلوه باء ، قالوا : (فالثود) و (فيرنند) ، وقال بعضهم : (بيرند) .

« وأبدلوا السين من الشين ؛ فقالوا للصحراء : (دَسْت) وقالوا : (سَروايل) و (اسماعيل) وأصلهما (سروال) و (اشماويل) ، وذلك لقرب السين من الشين في الهمس » (٥) .



(٤) التنبيه على حدوث التصحيف : ٨٢ - طبعة بغداد - .

(٥) المغرب : ٦ - ٧ طبعة دار الكتب المصرية - .

وبعد :

هذه مقتطفات مما كتبه الأقدمون في هذا الموضوع ، وقد تضمنت النصّ الصريح على أن الحروف التسعة والعشرين هي الاصول الراسخة الثابتة التي لا يُسمح فيها بالعبث والتلاعب بزيادة أو نقصان ، على الرغم من اعتراف الجميع واقرارهم بوجود أصوات في العربية نفسها لم يخصّها العرب بحرفٍ دالّ عليها ، مع أن بعضها مما « يستحسن في قراءة القرآن والأشعار » كما يقول سيبويه ، وعلى الرغم من اعترافهم أيضاً بوجود اصوات في غير العربية حوّلها العرب عند التكلّم بها الى أقرب الحروف من مخارجها ولم يضعوا لها حرفاً معيناً ، بل ربما أبدلوا ما بعدّه مخرجه أيضاً كما يقول الجواليقي . وكان هذا الابدال ضرورياً لازماً ، لضمان حماية العربية من أن يدخل فيها ما ليس من حروفها الأصلية المقررة .

ولم أجد في كل تلك النصوص : وفي استقراء السلوك العملي للسلف في التعريب ؛ ما يبيح لنا إضافة حرفٍ او حروف الى العربية ، أبداً ما كانت الحجج المدّعاة . وليس من العناد أو التزمّت الذميمة أن نقول : إن ما جاء في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الفقرة ٩) من قبول إدخال حروف في العربية مما ينبغي رفضه جملة وتفصيلاً .

كما أننا نرفض ... أيضاً ... إقحام اسمي (يعقوب) و (أيوب) في عداد الأعلام الأجنبية - نصرانية او غير نصرانية - (الفقرة ٨) ، لأنهما من الأعلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، ولم يتم دليل قاطع على كونهما غير عربيين في نجارهما العريق ونسبهما البعيد .

أما ما يقال من حاجة البحث العلمي المعاصر الى استعمال أصوات غير عربية فيما يترجم إليها من اللغات الأخرى ؛ فيكفي في سدد ذلك اختيار رموز لتلك الأصوات تكون على شاكلة الرموز المستعملة في الحساب والهندسة والكيمياء ، على أن تظل رموزاً وعلامات - ك (الأكسافات) في داخل اللغة الفرنسية - ولا تعد حروفاً بأي وجه من الوجوه .

والله تعالى من وراء القصد .



« من معاني الباء »(*)

قدّم أحد الزملاء في لجنة الاصول مذكرةً أورد فيها عبارات فشا استعمالها في هذه الأيام ، على غرار : اتخذوا القرار بالاجماع ، وحرسوا المبنى بالتناوب ، وجاء إليّ بسرعة ، وخرج من الغرفة بهدوء ، وقال : انهم يريدون بذلك معنى الحال ، أي « مُجمعين » و « متناوين » و « مُسرّعا » و « هادئاً » . وعلى غرار : ضربه بشدة ، ودفع الباب بعنف ، وربت على كتفه بلطف ، وانتهره بقسوة ، وقال : انهم يريدون بذلك معنى المفعول المطلق ، أي « ضرباً شديداً » و « دفعاً عنيفاً » و « ربتاً لطيفاً » و « انتهاراً أقاسياً » .

وختم مذكرته قائلاً : « ولا يبدو أن هذا الوجه من استعمال الباء من صميم ماجرى عليه أسلافنا في أساليبهم ، وهو لا يكاد يُشبهه أيّاً من الوجوه الأربعة عشر التي عدّها النحاة لمعاني الباء وما قدّموه من أمثلة لها ، وإن يكن هو الأقرب من مدلول المصاحبة ، ولكنه لا يشبه تمام الشبه » .

وقد حررتُ هذه المذكرة تعقياً على ذلك .



تحدّثتُ مذكرة الزميل الفاضل عن مسألة الاستعمالات الجديدة للباء ، بما يراد به معنى الحال تارة ومعنى المفعول المطلق تارة أخرى ، وهي استعمالات رأى الزميل الكريم انها من المستحدثات الجديدة التي لا تنفق مع « صميم ماجرى عليه أسلافنا في أساليبهم » ، وطُلب من لجنة الاصول دراسة هذا الموضوع لإثبات رأيي فيه :

ان استقراء تراثنا اللغوي الأصيل يرشدنا بجزم ويقين الى أن هذا النحو

من الاستعمال ليس جديداً في العربية ؛ ولا ينبغي أن يعدّ من مستحدثات المعاصرين ، وحسبنا أن نعلم ورود مثله مكرراً في القرآن الكريم وهو أفصح الكلام وأصدق الحديث :

١ - قال تعالى : (وإذا جاؤكم قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرّ جوابه) (١) . وقد ذهب كلٌّ من ابن فارس (٢) والرضي الاسترابادي (٣) والزبيدي (٤) الى أن الباء في قوله : (بالكفر) للمصاحبة .

٢ - وقال تعالى : (ومن يُردّ فيه بالحادِ بظلمٍ نُذِقْهُ من عذابِ أليمٍ) (٥) . واختلف المفسرون واللغويون في قوله : (بالحاد) ، فذهب الزمخشري (٦) والفخر الرازي (٧) الى كونه حالاً ؛ أي مُراداً عادلاً عن القصد ، وذهب ابو عبيدة (٨) ومكي بن ابي طالب (٩) الى زيادة الباء هنا ؛ أي إلحاداً بظلمٍ . ولكنهم اتفقوا على أن باء (بظلمٍ) بمعنى مع .

٣ - وقال تعالى : (قيل يا نوحُ اهبط بسلام منا وبركات) (١٠) : أي مع سلامٍ (١١) .

٤ - وقال تعالى : (ادخلوها بسلام آمنين) (١٢) : أي مع السلامة من كل الآفات) (١٣) .

- | | |
|---|--------------------------|
| (١) سورة المائدة/٦١ . | (٢) الصاحبى : ٧٧ . |
| (٣) شرح الكافية : ٣٢٧/٢ . | |
| (٤) تاج العروس / باب الألف اللينة : الباء . | |
| (٥) سورة الحج/٢٥ . | (٦) الكشف : ١٠/٣ . |
| (٧) تفسير الرازي : ٢٥/٢٣ . | (٨) مجاز القرآن : ٤٨/٢ . |
| (٩) مشكل اعراب القرآن : ٤٩١/٢ . | |
| (١٠) سورة هود/٤٨ . | |
| (١١) تاج العروس/باب الألف اللينة : الباء . | |
| (١٢) سورة الحجر/٤٦ . | |
| (١٣) تفسير الرازي : ١٩٢/١٩ . | |

٥ - وقال تعالى : (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) - (١٤) :
أي مَعَ سَلَامٍ (١٥) .

٦ - وقال تعالى : (خذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) - (١٦) . (فخذوها بِقُوَّةٍ) - (١٧) ، (يا يحيى خذِ الكتابَ بِقُوَّةٍ) - (١٨) . وقد اتفق المفسرون على أن المراد بذلك هو الأخذ بجِدِّ واجتهاد وطاعة ونشاط وعزيمة قوية ونية صادقة (١٩) . وزاد بعضهم الأمر ايضاحاً فصَّرح بأن الباء في قوله : (بقوَّة) « في موضع الحال : أي خذ الكتاب مجتهداً مجتهداً » (٢٠) أي وأنتم قادرون على أخذه أقوىاء على العمل به (٢١) .

٧ - وقال تعالى : (والذين آمنوا واتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بَايَمَانَ) - (٢٢) . وقد شرح الطبرسي ذلك بجلاء فقال : « الذرية تقع على الصغير والكبير . . . فان حُمِلَت الذرية في الآية على الصغار كان قوله : (بايمان) في موضع نصب على الحال من المفعولين ، أي اتَّبَعْتَهُمْ بَايَمَانَ مِنَ الْآبَاءِ ذُرِّيَّتَهُمْ أَلْحَقْنَا الذرية بهم في أحكام الاسلام . . . وإن جُعِلَت الذرية للكبار كان قوله : (بايمان) حالاً من الفاعلين الذين هم ذُرِّيَّتَهُمْ ، أي أَلْحَقْنَا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ في أحكام الدنيا والثواب في الآخرة » (٢٣) .



- (١٤) سورة ق/٣٤ . (١٥) تفسير الرازي : ١٧٩/٢٨ .
(١٦) سورة البقرة/٦٣ و ٩٣ ، وسورة الاعراف/١٧١ .
(١٧) سورة الاعراف/١٤٥ . (١٨) سورة مريم/١٢ .
(١٩) تفسير الطبري : ٢٢٦/١ و ٤٢٢ ، و ٥٨/٩ و ١١٠ ، و ٥٤/١٦ وتفسير الرازي : ١٠٨/٣ ، و ٢٣٧/١٤ و ٤٥/١٥ و ١٩١/٢١ والكشاف : ٢٨٦/١ و ١١٦/٢ و ١٢٩ و ٥٠٤ ومجمع البيان : ١٢٨/١ ، و ٤٧٧/٢ و ٤٩٦ و ٥٠٦/٣ .
(٢٠) مجمع البيان : ٥٠٦/٣ .
(٢١) مجمع البيان : ١٢٨/١ ، و ٥٠٦/٣ .
(٢٢) سورة الطور / ٢١ . (٢٣) مجمع البيان : ١٦٤/٥ - ١٦٥ .

وهكذا يتجلى بوضوح ان قول القائل : دفع الباب بعنف ؛ وخرج من المكان بهلوه ؛ وضرب بشدة ، داخل في هذا الاطار الكبير من استعمالات الباء .

ولعل تشكيك زميلنا الكريم في فهم معنى المصاحبة من ذلك راجع الى كونه يريد من المصاحبة معناها الحسي الذي يعني مصاحبة جسم لجسم ، كقول القائل : دخل عليه بثياب السفر ؛ وخرج بعشيرته ؛ واشترى الفرس بصرجه ولجامه ؛ كما مثل الزمخشري (٢٤) ، إذ تكون مصاحبة الدفع لانف والضرب للشدة والخروج للهلوه ؛ خارجة عن صميم هذا المعنى المحدد الدقيق .

ولكننا إن فهمنا المصاحبة بنحو أعمق وأوسع ، أي بما يشمل الجواهر والأعراض أو الأعيان والصفات - سواء أكان ذلك كله استعمالاً للفظ في معناه حقيقة أم كان بعضه من المجاز - أصبح دخول تلك الأمثلة بأجمعها في باب المصاحبة مقبولا ومستساغا وجاريا على سنن العربية .

إن فهم المصاحبة بمعناها الواسع الذي أشرنا اليه هو الذي حمل بعض اللغويين على عد الباء في الآيات الكريمة التي سبق ذكرها ؛ في معنى الحال ، كما صرح به مكِّي بن أبي طالب (٢٥) والزمخشري (٢٦) في تفسير قوله تعالى : (بالكفر) و (به) في الآية الاولى ، أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ، وتقديره : متلبسين بالكفر . وكما ذهب إليه الزمخشري (٢٧) والفخر الرازي (٢٨) من أن (بالحاد) و (بظلم) في الآية الثانية حالان . وكما

(٢٤) الفصل : ٢٨٥ .

(٢٥) مشكل اعراب القرآن : ٢٣١/١ .

(٢٦) الكشف : ٦٢٦/١ .

(٢٧) الكشف : ١٠/٢ .

(٢٨) تفسير الرازي : ٢٥/٢٢ .

ذهب إليه الزمخشري أيضاً في تفسير (بسلام) في الآيات ٣ و ٤ و ٥ من كونها بمعنى «سالمين» (٢٩) ، وأيّد ذلك الرازي قائلاً : «الباء للمصاحبة في معنى الحال ، أي سالمين مقرونين بالسلامة» (٣٠) .

ومن أصرح شواهد ذلك قول الزبيدي : ان الباء «للمصاحبة في نحو : رجع بخفيّ حنينٍ ويسمى الحال» (٣١) .

ولعلّ من جملة شواهد هذه الحقيقة ذهاب مَنْ ذهب إلى عدّ الالتباس والمخالطة من معاني الباء ، وفي ذلك يقول ابن منظور :

« وفي التنزيل العزيز : (فسبح بحمد ربك) الباء هاهنا للالتباس والمخالطة ، كقوله عز وجل : (تَنبُتُ بِالدُّهْنِ) أي مُخْتَلِطَةٌ مُتَبَسِّة به . ومعناه : اجعل تسبيح الله مختلطاً ومتبساً بحسده » (٣٢) .

والاستفاد من كل ما تقدّم ان الحالية في أمثال هذه الموارد داخلة في صميم معنى المصاحبة ، بل هي جزء أصيل من معناها الواسع ، سواء أكانت وصفاً مباشراً للفاعل أم له ولما فعل . وربما كان هذا هو السبب في إهمال النحاة النصّ على بقاء الحال كما نصّوا على واو الحال .

أمّا موضوع المفعول المطلق فيما جاء على غرار : ضربه بشدة ودفع الباب بعنف وانتهره بقسوة ، فهو من قبيل : إرادة الإلحاد بظلم وأخذ الكتاب بقوة ، مما ورد في التنزيل الحكيم ، أي إرادة فائلة وأخذاً قوياً ، إذ كان وصفاً للفعل أو تبييناً له . وربما يرجع إهمال المعجميين والمفسرين

(٢٩) الكشف : ٣٩٢/٢ ، و ١١/٤ .

(٣٠) تفسير الرازي : ٢٥/٢٣ .

(٣١) تاج العروس/باب الألف اللينة : الباء .

(٣٢) لسان العرب : با .

والنحاة لذكر المنعول المطلق باسمه ... هنا — كما ذكروا الحال ؛ الى الاكتفاء
بذكر المعية والمصاحبة والالتباس والمخالطة .



وخلاصة القول :

ان الأمثلة التي اوردها الزميل الفاضل في مذكرته لم تخرج على حدود
معنى المصاحبة المنصوص عليه ؛ وأعني به ذلك المدلول الشامل للحال والمعية
والالتباس والمخالطة ، وقد جرى قائلوها في استعمالاتهم هذه على ما ثبتت
سلامته من أساليب العربية وتراكيبها الصحيحة المليحة .
وفوق كل ذي علم عليم .



« في الاشتقاق والقياس » (*)

لابد لي بادىء بدء من الاعتراف الصريح بأن هذا الحديث الذي تستمعون اليه اليوم ليس مؤهلاً لأن يُسمّى بحثاً أو دراسة أو محاضرة ، بل لا يستحق في حقيقته أكثر من اسم « مذكرة » .

وإذا كنّا قد سرنا في عملنا المجاعي على نظام أو تقليد متفق عليه ، هو تقديم المذكرات الى اللجان المختصة والهيئات المعنية في الجمع ، وقيام تلك اللجنة او الهيئة بدراسة كل مذكرة منها ، ومناقشتها باسهاب ، وتحديد الموقف من مضمونها او المقترح الذي تحمله بقرار يتخذ بالاجماع أو الأكثرية . فاني قد أجزتُ لنفسي الخروج على هذا التقليد المتبع ، والتوجه بهذه المذكرة الى مجلس الجمع ، لأنها تحمل افكاراً او ملاحظات لا تخص في جانبها العملي التطبيق بلجنة معينة من تلك اللجان العاملة ، ولأن هذه الأفكار او الملاحظات - بعد استيفاء مناقشتها والوصول الى الصحيح فيها او الراجح - بحاجة الى قرارات ملزمة يخضع لها الجميع . وليس لنا في كل هذه الأحوال الا هذا المجلس الموقر للبحث والحسم والالتزام .

وقبل الدخول في غمرة الموضوع لابد من التمهيد له بالإشارة الى ما تعلمونه جميعاً من أن بناء اللغة العربية وصرحها الشامخ الضخم ، قد قام - وما زال قائماً - على دعامتين رئيسيتين ربّما لا يكون لهما ثالث ، وربّما كان ولكنه ليس يستواهما ودرجتهم من الناحية العملية . وهاتان الدعامتان هما : الاشتقاق والقياس ؛ اللذان يرجع اليهما فضل ما نشاهده في العربية من سعة ومرونة ونمو وتطور مستمر .

(*) مذكرة مقدمة الى مجلس المجمع العلمي العراقي بتاريخ ٢٤/٥/١٩٨٨ م .

ولكن هاتين الدعامين - لكونهما الأساس والقاعدة - لم يثركما كما يتوهم البعض عرضة للرغبات الفردية والاستحسانات الذوقية او ما نسميه في أحسن الفروض الاجتهادات المتضاربة . بل كان الاشتقاق - ويجب أن يظل - خاضعاً لكل الخضوع لمقاييسه المقررة وموازينه الثابتة ، وكان القياس - ويجب أن يظل - أيضاً - مقيداً لكل التقييد بضوابطه الخاصة ومعايره الأصلية .

ولا أريد أن أثقل عليكم فأحدثكم عما أوردته السلف في معاني الاشتقاق ؛ وتقسيمة الى صغير وكبير ؛ او أصغر وأكبر ؛ او صغير وكبير وأكبر ، لأن ذلك بعيد كل البعد عما نعلم به اليوم من شؤون وشجون ترتبط بقضايا الترجمة ووضع المصطلح وسلامة الاستعمال وصحته .

ولكن الشيء الذي يجب ذكره وتأكيدُه والنصُّ عليه بكل صراحة ووضوح : ان دائرة الاشتقاق في سلبه وإيجابه محدودة حصراً فيما ورد له أصل في اللغة ، ولا يشمل ما لم يكن له أصل . وهذا مما أجمعت عليه الكلمة وأغلق فيه باب النقاش والجدل والاجتهاد .

وكان الخليل بن أحمد - لما أبدع نظام التراكيب العربية على أدق وجه وأثبتته - قد جعل للثنائي المضاعف وجهين ، وللثلاثي الصحيح ستة وجوه ، وللرباعي الصحيح أربعة وعشرين وجهاً ، وللخماسي الصحيح مائة وعشرين وجهاً . ثم قرر بعد وضع هذا النظام في ضوء جميع الاحتمالات الممكنة لكل واحد منها ؛ أن اللفظ العربي ينقسم الى مهمل ومستعمل ؛ وأن بعض تلك التقليلات والوجوه مهملٌ وبعضه مستعمل ، وأن المراد بالاهمال والاستعمال ما أثير عن العرب استعمالهم إياه وما لم يؤثر . فكان ذلك هو الحجر الأساس لوضع ضوابط اللغة وحمايتها من القوضى والعبث والتخريب .

وجاء اللغويون بعد الخليل فتلقوا ما قاله ورتبه ووضع قواعده وأصوله بالقبول التام والتسليم المطلق ، ولكنهم رأوا أن بعض ما افترضه الخليل مهملًا

قد ثبت استعماله ؛ فأضافوه الى المستعمل واستدركوا ذلك عليه ، فأنشأت دائرة الاستعمال وزاد عدد تراكيبه . وكان منشأ تلك الاضافة والاستدراك ما سُمِعَ من أفواه عرب البادية وما أُثِرَ من مثل سائر او بيت شعر لأحد الشعراء الذين يصبح الاستشهاد بشعرهم ؛ مما فات الخليل سماعه فظنّه مهملًا . وأسفرت حصيلة ذلك عمّا نراه ماثلاً من زيادة ختمتها المعجمات المتأخرة عن العين في عدد التراكيب المستعملة ، كما أسفرت أيضاً عن الاتفاق على اهمال مجموعة من التراكيب لم يؤثّر عن العرب استعمالها مطلقاً .

ومنتحنتنا هذه الغلبة الكبرى وتلك الجهود العظيمة نتيجة مسلّمة لاختلاف فيها ولا جدال ؛ هي أن المستعمل من الألفاظ هو الذي يصح اخضاعه للاشتقاق والتفريع ، وأن المهمل منها لا يجوز استعماله بأي وجه من الوجوه ، بل إن استعماله خطأ صرف وغلط محض .

وقد وقع بعض المتحشّنين في اللغة من المعاصرين في وهم كبير عندما دعا الى إثراء اللغة العربية وتوسيعها من طريق الارتجال ، ظاناً أن الارتجال الذي ذكره علماء اللغة والنحو هو استعمال التراكيب المهملة التي أجمعت المعجمات على إهمالها ، ومتصوراً أن المنقول هو المستعمل والمرتجل هو المهمل ، وأن العرب ماداموا قد أجازوا لأنفسهم الارتجال ؛ فلماذا لا نجيز لأنفسنا اليوم أن نفعل مثل ذلك فنرتجل ما نشاء .

والحقيقة أن المنقول والمرتجل شيء ؛ والمهمل والمستعمل شيء آخر .

قال ابن مالك في رجز الألفية :

ومنه منقول كفضّل وأسد وذو ارتجال كسعاد وأدَد

وقال ابن عقيل في شرح البيت :

« ينقسم العَلَمُ الى مرتجل والى منقول . فالمرتجل : هو ما لم يسبق له

استعمال" قبل العَلَمِيَّة في غيرها كسُعَاد وأُدَد . والمقول : ما سبق له استعمال" في غير العَلَمِيَّة . والنقل إما من صفة كحارث ؛ او من مصدر كفضّل ؛ أو من اسم جنس كأسد (١) .

ويتضح من ذلك ان الارتجال انما يصح في دائرة ضيقة جداً هي أسماء الأعلام خاصة : وان المراد به صوغ اللفظ ذي الجذر المستعمل المأثور على بناء لم تستعمله العرب قبل العَلَمِيَّة ، كسُعَاد من سَعِدَ يَسْعُدُ ؛ وأُدَد من أَدَّ يَكُودُ .

ونعود الآن الى لبّ الموضوع بعد الفراغ من مسألة التراكيب المهمة وعدم جواز استعمالها على كل حال ؛ فنذكر أن المستعمل من تلك التراكيب لم يترك هملًا ولم يُلْقَ حبله على غارب مستعمليه وفيهم الجهالة باللغة وأنصاف المتعلمين ، بل كان له من قيود الضبط بالأوزان والصيغ ما يعيّن موارد الاستعمال بدقة ويُرشد الى الحروف الأصلية والزائدة في كل بناء ووزن . وقد دلّنا النتائج التي كشف عنها الاستقراء والاحصاء والتتبّع على أن من تلك الأبنية ما هو شاذ أو نادر ، ومنها ما هو قليل ، ومنها ما هو كثير شائع وإن اختلفت هذه الكثرة في مراتبها ودرجاتها .

وكان لهذا الاستقراء والتتبّع للشذوذ والندرة والقلّة والكثرة ؛ دورُه المهم والفعال في وضع قواعد القياس وتعيين مجالات الرجوع اليه والحكم بصحته ، وربط كل ذلك بمقدار الاستعمال ومداه ؛ في ضوء ما بلغ خبره من شواهد الاستعمال في كلام العرب الأقدمين .

ولكننا اليوم وبعد هذه القرون المتصادية الحافلة بالدرس والمتابعة ، عندما نواجه مسألة القياس وضوابطه لغرض الاعتماد عليه والافادة منه في انطلاقتنا

الشيخ محمد حسن آل ياسين

المعاصرة ، تصدعنا الخلافات العنيفة في هذا الموضوع ، فتقعد بنا عن المضي في طريق التطور اللغوي المنشود : إذ نجد أن بعض المعنيين قد ضيق دائرة القياس إلى حد التزمّت الخائق ؛ بدعوى أن الكثرة لم تثبت إلا في عدد محدود جداً من تلك الصيغ المأثورة ، وأن آخرين قد فتحوا الباب على مصراعيه إلى حد التحلل والانفلات ؛ بدعوى أن القياس هو أساس اللغة وقانونها العام .

والحقيقة أن هذين المنهجين كليهما غير سليمين من الشوائب ، وأن الإفراط والتضيق في ذلك موقفان بعيدان عن الموضوعية ؛ وأن الصواب إنما هو في الالتزام بالمنهج الوسط الرافض لكلا هذين الطرفين أو التطرفين .

ومن المستحسن هنا أن أروي لكم بعض أقوال السلف في القياس ليزداد الأمر وضوحاً وجلالة ؛ ونكون على علم تامّ بنظرة أولئك العلماء الرواد وموقفهم من هذه المسألة :

١ - قال سيويه :

« أعلم أنه ليس كلُّ حرفٍ يظهر بعده الفعلُ بِحَذَفٍ فيه الفعلُ ، ولكنك تُضمير بعده ما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع ؛ وتُظهر ما أظهرها ، وتُجري هذه الأشياء على ما أُجروا فقف على هذه الأشياء حيث وقفوا ، ثم قسْ بعدهُ » (٢) .

وقال في موضع آخر من كتابه :

« فاستعمل من هذا ما استعملت العربُ ، وأجيزُ منه ما أجازوا » (٣) .
وقال في موضع آخر :

(٢) الكتاب - طبعة بولاق - : ١٣٤/١ .

(٣) الكتاب : ٢٠٦/١ .

« كان عيسى بن عمر يقول : يا مطراً ، يشبهه بقوله يارجلأ ولم نسمع عربياً يقوله ، وله وجهٌ من القياس » (٤) .

وقال في موضع آخر : « فلا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس » (٥) .

وروى عن الخليل قوله : « كلُّ شيءٍ من ذلك عدلتُهُ العربُ تركته على ما عدلتُهُ عليه ، وما جاء تماماً لم تُحدثِ العربُ فيه شيئاً فهو على القياس » (٦) .

وقال في موضع آخر من كتابه :

« وإذا جاء شيءٌ مثل بُرّةٍ لم تجمعهُ العربُ ثم قستَ ألحقتَ التاء والواو والنون ، لأن الأَكثرَ ممّا فيه هاء التانيث من الأسماء التي على حرفين جُمِيعٌ بالتاء والواو والنون ، ولم يُكسّرْ على الأصل » (٧) .

وقال في موضع آخر : « فعليه تقيس على الأكثر » (٨) .

وقال أيضاً : « وقالوا الحِجَار ، فجاء به على الأكثر والأقيس » (٩) .

وقال أيضاً : « هذا الأقلُّ نوادرٌ تُحفظُ عن العرب ولا يُقاس عليها ، ولكن الأكثرُ يُقاس عليه » (١٠) .

وقال في موضع آخر : « وهذا من الشواذ ، وليس ممّا يُقاس عليه ويطرَد » (١١) .

(٤) الكتاب : ٣١٣/١ . (٥) الكتاب : ٣٩٨/١ .

(٦) الكتاب : ٦٩/٢ . (٧) الكتاب : ١٠٠/٢ .

(٨) الكتاب : ١٠١/٢ . (٩) الكتاب : ١٧٨/٢ .

(١٠) الكتاب : ٢١٥/٢ - ٢١٦ . (١١) الكتاب : ٣٩٢/٢ .

٢ - قال ابن فارس :

« أجمع أهل اللغة - إلا من شذَّ منهم - أن لِّلُغَةِ العرب قياساً ، وأن العرب تشقُّ بعض الكلام من بعض » .

« وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لأن في ذلك فساد اللُّغة وبطلان حقائقها » (١٢) .

٣ - قال ابن جنِّي :

« اعلم أنَّ من قوة القياس عندهم اعتقاد النحويين أنَّ ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب ، نحو قولك في قوله : كيف تبني من ضَرَبَ مثل جعفرٍ : ضَرَبَ ؛ هذا من كلام العرب ، ولو بنيت مثله ضَيَّرَبَ أو ضَوَّرَبَ أو ضَرَوَّبَ أو نحو ذلك لم يُعْتَقَد من كلام العرب ، لأنَّه قياس على الأقل استعمالاً والأضعف قياساً » (١٣) .

وقال في موضع آخر من كتابه :

« اعلم أنَّك إذا أدَّك القياسُ إلى شيءٍ ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيءٍ آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه . فإن سمعت من آخر مثل ما أجزَّته فأنت فيه مُخَيَّرٌ تستعمل أيهما شئت . فإن صحَّ عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت كنت على ما أجمعوا عليه » (١٤) .

وقال أيضاً :

« ألا ترى أنَّك لم تسمع أنت ولا غيرك اسمَ كلِّ فاعلٍ ولا مفعول ،

(١٢) الصاحبى : ٣٣ - طبعة السلفية - .

(١٣) الخصائص : ١١٤/١ .

(١٤) الخصائص : ١٢٥/١ - ١٢٦ .

وانما سمعت البعض فقست عليه غيره ، فاذا سمعت قام زيد أجزت
ظرف يشر وكرم خالد » (١٥) .

وروى عن المازني قوله : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام
العرب » (١٦)

وقال ابن جني أيضاً : « ان الشاعر اذا اضطرر جاز له أن ينطق بما يبيحه
القياس وإن لم يرد به سماع » (١٧) .

وقال في الباب الذي سماه « اللغة المأخوذة قياساً » :

« ألا ترى أنهم يقولون في وصايا الجمع : إن ما كان من الكلام على
فعل فتكسیره على أفعل ككُلب وأكُلب وكعُب وأكُعُب وقُرُخ
وأقُرُخ . وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثي فتكسیره في القلة على أفعال
نحو جبَل وأجبَل وعُنق وأعناق وإيل وآبال وعَجِر وأعجاز ورُبِع
وأرباع وضيع وأضلاع وكَبِد وأكباد وقُفِل وأقفال وحِمْل وأحمال . فليت
شعري هل قالوا هذا ليُعَرَف وحده او ليُعَرَف هو ويُقاس عليه غيره ،
ألا تراك لو لم تسمع تكسير واحد من هذه الأمثلة بل سمعته منفرداً أكنت
تحتشم من تكسيره على ما كُسِرَ عليه نظيره ؟ لا ؛ بل كنت تحمله عليه
وذلك كأن تحتاج الى تكسير الرَجَز الذي هو العذاب فكنت قائلاً لا محالة :
أرْجَز ؛ قياساً على أحمال ؛ وإن لم تسمع أرجزاً في هذا المعنى
ولا يحتاج أن يتوقف الى أن يسمعه ؛ لأنه لو كان محتاجاً الى ذلك لَمَا كان
لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وتقبلوها وعمل بها المتأخرون
معنى يُمَاد ولَمَا أَقْنَعَهُمْ أن يقولوا : اذا كان الماضي كذا وجب أن
يكون مضارعُه كذا واسمُ فاعيله كذا واسمُ مفعوله كذا واسمُ مكانه

(١٥) و (١٦) الخصائص : ٣٥٧/١ .

(١٧) الخصائص : ٣٩٦/١ .

كذا واسم زمانه كذا ، ولا قالوا : اذا كان الكبير كذا فتصغيره كذا ، واذا كان الواحد كذا فتكسيره كذا ، دون أن يستوفوا كل شيء من ذلك فيوردوه لفظاً منصوباً معيناً لا مقيساً ولا مستنبطاً ... لكن القوم بحكمتههم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربين : أحدهما مالا بد من تقبله كهيته لا بوصية فيه ولا تنبيه عليه نحو حجر ودار ومنه ما وجدوه يتدارك بالقياس وتخف الكلفة في علمه على الناس ففطنوه وفصلوه .

« فلما رأى القوم كثيراً من اللغة مقيساً منقاداً وسموه بمواسمه وغنوا بذلك عن الإطالة والإسهاب فيما ينوب عنه الاختصار والإيجاز . ثم لما تجاوزوا ذلك الى مالا بد من إيراد نص ألفاظه التزموا والزموا كلفته إذ لم يجدوا منها بداً ولا عنها منصرفاً . ومعاذ الله أن ندعي أن جميع اللغة تستلزم بالادلة قياساً ، لكن ما أمكن ذلك فيه قلنا به ونهينا عليه » (١٨).

والخلاصة المستفادة من مجموع هذه النصوص ان القياس دعامة رئيسة لهذا الكيان اللغوي الضخم ، وان ما استعمله العرب وكان غير شاذ أو نادر في كلامهم جاز القياس عليه ، وأتينا لسنا بحاجة الى تقديم جداول إحصائية تنظم (النسبة المئوية) لكل بناء ووزن لتحديد في ضوء تلك النسبة موقفنا من صحة القياس وبطلانه في كل واحد منها ، لأن الكثرة المرادة في كلامهم هي المقابلة للنسبة والشذوذ كما هو صريح الفقرات ٤ و ٩ و ١٠ من أقوال سيويه الواردة فيما تقدم نقله من كتابه .

★ ★ ★

وعندما تصبح مسألة القياس قانوناً ثابتاً وأصلاً مسلماً من أصول اللغة ، يحين وقت إيراد السؤال الرئيس المترتب على ذلك فنقول :

ما هي الأبنية والأوزان التي يجوز القياس عليها وما هي الاخرى التي لا يُستَحج بذلك فيها ؟

إنَّ الجواب الشافي على هذا السؤال المهم هو الذي ينير معالم الطريق اللاحظ الذي يجب أن يسير عليه العاملون في حقول التعريب والترجمة ووضع المصطلحات وتأليف المعجمات ، بما يمنحهم من قدرة على الانتقاء الجيد والاختيار الصحيح للألفاظ ، وبما يمنح اللغة العربية نفسها من إثراء وتطوير ورفدٍ لدفق الحياة والنمو فيها .

وإذا كانت بعض الصيغ والأبنية لأسماء الفاعل والمفعول والمكان والزمان والمصادر والجموع مما اُتفق على قياسه معظمها في القديم والحديث ، فإن أكثر الأبنية الماثورة عن العسرب لم يثبت فيها بعد ولم يُحسم النزاع بشأنها حتى اليوم . فطلت خاضعة للاجتهادات الفردية والآراء الشخصية ؛ بل مثار الخلاف والجدل وربما يكون حاداً وعنيفاً بين المعنيين .

وهنا نصل الى بيت القصيد وقلب المشكلة ، اذ لابد من حسم النزاع والوصول الى الرأي القاطع او الراجح في كل ذلك ، بعد الوقوف على تلك الاجتهادات المختلفة ونخائها بدقة وتسمييص ، وليس من سبيل الى تحقيق هذا الأمل الا قيام المجلس الموقر بأعضائه الأفاضل ولجانه المعنية ؛ ببحث كل بناء من تلك الأبنية وصيغة من تلك الصيغ ، تمهيداً لإصدار قرارٍ ثابت وصريح بشأن كل واحد منها

ومن المستحسن - هنا - أن أضرب بعض الأمثلة على ما أعنيه فأقول :

١ - تحديد الموقف من الفعل الثلاثي اللازم الذي نريد تعديته ، هل يجوز لنا أن نزيده لنجعله متعدياً ؟ ، وهل تكون هذه الزيادة بالهمزة في أوله أو بتضعيف عينه أو بكليهما ؟ ، وما هي الضوابط لذلك ؟ .

٢ - تحديد الموقف من الفعل الثلاثي عندما نريد التكثير به ، هل نصوغه على مثال فعل المضعف إن كان متعدياً وافْعَوْ عَلَ إن كان لازماً او على مثال آخر ؟ ، وما هي الضوابط لذلك ؟ .

٣ - تحديد الموقف من اشتقاق الأفعال من أسماء الأعيان ، هل يجوز ذلك ؟ وما هي ضوابطه ؟ .

٤ - تحديد الموقف من صيغ الكثرة في اسم الفاعل : كفَعَلْ ومِفْعَعَلْ وفِعْعِلْ وفَعْعُولْ ومِفْعَعِلْ وقِيْعَعِلْ وفَعْعَالْ وفُعْعَالْ وغيرها ، ما هو القياسي منها ؟ وما هي ضوابط ذلك ؟ .

٥ - تحديد الموقف من أسماء المكان وخصوصاً المكان الذي يكثر فيه الشيء ، هل ذلك قياسي ؟ وما هي ضوابطه ؟

٦ - تحديد الموقف من المصادر وما يُراد به الكثرة منها خاصة ، ما هو القياسي منها ؟ وما هي ضوابطه ؟

٧ - تحديد الموقف من الصيغة التي طرحها أحد الزملاء في هذا المجلس وهي صيغة فَعْعُلُونْ ؛ فقد تحسّس لها مَنْ تحسّس ورفضها مَنْ رفض ، ولم نسمع رأياً قاطعاً في ذلك .

٨ - تحديد الموقف من الكلمات التي ارتأى بعض زملائنا أن تُرَكَّب من جزئين عربيّ وأعجميّ ؛ كذَوَيْهِ وَجَزَرَيْنِ وَجُبَيْنِ ، هل يصح ذلك أو لا يصح ؟ .

٩ - وأخيراً ؛ تحديد الموقف من مسألة مهمة وخطيرة من مسائل اللغة الأساسية ؛ لِسًا لها من علاقة وثيقة جداً بالمصطلحات عامة وبما يتألف منها من أكثر من كلمة واحدة بالخصوص ، وأعني بها مسألة النَّحْتِ التي أعرض عنها المجمع إعرافاً تاماً وطوى عنها كشحاً ، في حين أن

العرب القدماء قد أجازوا لأنفسهم ذلك واستعملوه - وإن يكن على نطاق ضيق - منذ أقدم العصور ؛ منحوتاً من كلمتين ومن جملة أيضاً .

ولا أريد في هذه العجالة أن أغوص في أعماق هذا الموضوع أو ادخل في تفاصيله ، ولكنني أود أن أروي لكم نصين أصليين فيه لتقفوا على حقيقة أمره :

قال الخليل بن أحمد :

« يُشْتَقُّ فِعْلٌ مِنْ جَمْعٍ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِثْلَ حَيٍّ عَلَى ... تَقُولُ مِنْهُ : حَيْعَلٌ يُحْيِيْعِلُ حَيْعَلَةً ؛ وَقَدْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْحَيْعَلَةِ أَيُّ مِنْ قَوْلِكَ حَيٍّ عَلَى . وَهَذَا يُشَبِّهُ قَوْلَهُمْ : تَعَبَشَمَ الرَّجُلُ وَتَعَبَقَسَ ؛ وَرَجُلٌ عَيْشَمِيٌّ [وَعَيْقَسِيٌّ] إِذَا كَانَ مِنْ عَيْدٍ شَمَسٍ أَوْ مِنْ عَيْدٍ قَيْسٍ ، فَأَخَذُوا مِنْ كَلِمَتَيْنِ مُتَعَابِقَتَيْنِ كَلِمَةً وَاشْتَقَوْا فِعْلاً ... أَخَذَ الْعَيْنَ وَالْيَاءَ مِنْ عَيْدٍ وَأَخَذَ الشَّيْنَ وَالْيَمِيمَ مِنْ شَمَسٍ وَاسْقَطَ الدَّالَ وَالسِّينَ فَبَنَى مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ كَلِمَةً ، فَهَذَا مِنَ النَّحْتِ ، وَهَذَا مِنَ الْحُجَّةِ فِي قَوْلِهِمْ : حَيْعَلٌ حَيْعَلَةٌ » (١٩)

وقال ابن فارس :

« اعْلَمْ أَنَّ لِلرَّبَاعِيِّ وَالْخُنَّاسِيِّ مَذْهَباً فِي الْقِيَاسِ يَسْتَنْبِطُهُ النَّظَرُ الدَّقِيقُ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ مِنْهُ مَنْحُوتٌ . وَمَعْنَى النَّحْتِ أَنَّ تَأْخُذَ كَلِمَتَانِ وَتَنْحِتَ مِنْهُمَا كَلِمَةً تَكُونُ آخِذَةً مِنْهُمَا جَمِيعاً بِحِظِّ . وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ مِنْ قَوْلِهِمْ : حَيْعَلٌ الرَّجُلُ إِذَا قَالَ حَيٍّ عَلَى ، وَمِنْ الشَّيْءِ الَّذِي كَانَتْهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ عَيْشَمِيٌّ . . . فَعَلِيَ هَذَا الْأَصْلُ بَشِينًا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَقَابِيِسِ الرَّبَاعِيِّ فَقُولُ : إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ضَرَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْمَنْحُوتُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَالضَّرْبُ الْآخَرُ : الْمَوْضُوعُ وَضِعاً لَا مَجَالَ لَهُ فِي طَرُقِ الْقِيَاسِ » (٢٠) .

(١٩) العين : ٦٠/١ - ٦١ .

(٢٠) مقاييس اللغة : ٣٢٩/١ .

والمستفاد من هذين النصين أن النَّحْتَ تركيب عربي أصيل لا تشويه شائبة ولا يعترده ريب ، وإن بالإمكان الاعتماد عليه واللجوء إليه عندما تمس الحاجة ويقتضي الموقف ذلك ، على أن تُوضَّع له من الحدود والقيود ما يجعله بمنأى عن عبث العابثين وإساءة المسيئين من جهلة أو متجاهلين .

وحسبنا أن تقف في المعجمات على الكلمات الآتية — وهي أمثلة لم تبلغ حدَّ الاستقصاء — ليتضح لنا براعة السلف وإجادتهم في الاستفادة من النَّحْت :

لقد قالوا :

البَسْمَانَةُ ، وهي منحوتة من بسم الله ، والفعل منها بِسَمَلٌ يُبَسْمَلُ .
الْحَمْدَلَةُ ، وهي منحوتة من الحمد لله ، والفعل منها حَمْدَلٌ يُحْمَدَلُ .
السَّيْحَلَةُ ، وهي منحوتة من سبحان الله ، والفعل منها سَبَحَلٌ يُسَبَّحَلُ .
الْهَيْلَلَةُ أو التَّهْلِيلُ ، وهي منحوتة من لا إله إلا الله ، والفعل منها هَلَّلَ وَهَيْلَلَ .

الْحَوَلَقَةُ أو الحَوَلَقَةُ ، وهي منحوتة من لا حول ولا قوة إلا بالله ، والفعل منها حَوَلَقَ وَحَوَلَقَلْ .

الْحَسْبَلَةُ ، وهي منحوتة من حسبي الله ، والفعل منها حَسَبَلْ .
الْخَيْعَلَةُ ، وهي منحوتة من حيَّ على الصلاة ، والفعل منها خَيْعَلْ .
الْبَرْقَلَةُ ، وهي منحوتة من البرق الذي لا مطر معه ، والفعل منها بَرَقَلْ .
التَّكْبِيرُ ، وهي منحوتة من الله أكبر ، والفعل منها كَبَّرْ .
التَّعْقِيرُ ، وهي منحوتة من عقرك الله ، والفعل منها عَقَّرْ .
التَّغْوِثُ ، وهي منحوتة من واغوثاه ، والفعل منها غَوَّثْ .

العبدري ، وهي منحوتة من عبد الدار ؛ اسم قبياة .

ويحضرني الآن من استعمالات المعاصرين : (البرمائي) و (الدرّ عسي) .



وفي الختام اكرر دعوة الزملاء الأفاضل كافة - أفراداً ولجاناً - الى حشد الطاقات وبذل الجهود لدراسة هذه الموضوعات بشمول واستيعاب ؛ وعرض ذلك بعد الفراغ منه على المجلس الموقر لبيت في كل موضوع منها بقرار صريح ملزم يخضع له الجميع ، يوحدهم بعد اختلاف ، ويجمع آراءهم بعد تشتت ، ويوفر الكثير الكثير من الوقت والجهد لكل العاملين في هذا الميدان .

والله تعالى هو الموفق والمسدد والهادي الى سواء السبيل .



« صيغة فعّالان والنسبة إليها »(*)

بتاريخ ٢٠ - ٦ - ١٩٨٨ م قدّم أحد الزملاء مذكرة الى مجلس المجمع بشأن الكلمات التي يتراد في آخرها ألف ونون وباء نسبة ، كـ « رقباني » و « شعرائي » و « رباني » و « روحاني » . وقد رأى الزميل الفاضل ان هذه الصيغة قياسية ، ودعا المجلس المؤتمر الى اقرار ذلك ، مستنداً عليه بما ورد على هذه الزئنة في كتاب المقتضب للمبرد وكتاب المخصص لابن سيده . وبقرار مجمع اللغة المصري في هذا الموضوع وإن لم تقف على نصّه . ولما كان الزميل الكريم قد خاطب بذكره مجلس المجمع ، رأيت من المفيد أن اعقب على ذلك وأن اخاطب بتعقيبي المجلس المؤتمر أيضاً ، لكي يتضح الأمر للزملاء الأفاضل على نحو أجلى وأشمل وأكثر تفصيلاً والله ولي التوفيق .



ان هذه الصيغة التي نعتى بأمرها في هذه المذكرة تتضمن حروفاً أصلية واخرى زائدة ، والزائد فيها — كما أسلفنا — هو الألف والنون والياء المشدّدة في آخرها . ومن المفروض — بل المسلّم القطعي — أن تكون هذه الحروف قد زيدت لغرض معين ، إذ لازيادة في اللغة بلاغرض ، وقديماً قالوا في هذه الزيادات : « أن قوة اللفظ تؤذن بقوة المعنى » (١) .

ولذلك كان من اللازم أن نعتى — أولاً — بالسؤال عن سبب زيادة هذه الحروف ، وان نعتى — ثانياً — بالجواب الشافي المحدّد على هذا السؤال

(*) مذكرة مقدمة الى مجلس المجمع العلمي العراقي بتاريخ ١٠/٦/١٩٨٨ م .

(١) شرح المفصل لابن عيسى : ٥٦/٦ .

في ضوء الموارد التي استعمل العرب فيها هذا البناء ، ثم نبحث في المرحلة الثالثة قياسية الصيغة أو عدم قياسيتها .

وخلاصة مايستفاد من المصادر الأصلية في بيان الغرض من ذلك ان الألف والنون قد زيدت في هذه الكلمات وما شاكلها للدلالة على المبالغة والتأكيد ، وان الياء التي تلي الألف والنون هي ياء النسب . وقد نص على ذلك عدد من اللغويين الذين عني ابن منظور بنقل آرائهم وأقوالهم في معجمه ؛ كما توضحه المقتطفات الآتية :

أ - قال في لسان العرب (ركب) :

« وفي الحديث : أبغني ناقة حنّانة ركبانة . أي تصلح للحلب والركوب ، الألف والنون زائدتان للمبالغة ، ولتعطيا معنى النسب الى الحب والركوب » .

ب - وقال في تركيب (ركب) :

« الرباني : الذي يعبد الرب ، زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب » .

ج - وقال في تركيب (روح) :

« وفي الحديث : الملائكة الرُّوحانيون ، يروى بضمّ الراء وفتحها ، كأنه نسب الى الرُّوح أو الرُّوح وهو نسيم الريح . والألف والنون من زيادات النسب » .

د - وقال في تركيب (وحد) :

« الوحداني . . . منسوب الى الوحدة والانفراد ، بزيادة الألف والنون للمبالغة » .

هـ - وقال في تركيب (بر) :

« وورد : مَنْ أَصْلَحَ جَوَانِيَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ بَرَانِيَهُ ، قالوا : البرّانيّ العَلَانِيَةُ ، والالف والنون من زيادات النّسب » .

و- وقال في تركيب (بحر) :

« دَمٌ بِحَرَانِيّ : شديد الحمرة ؛ كأنه قد نُسِبَ الى البحر وهو اسم قعر الرّحم . . . وزادوه في النسب ألفاً ونوناً للمبالغة » .

ز - وقال في تركيب (حرر) :

« الحَرَرَى - فَعَلَى - من الحَرَّ ، وهي تأنيث حَرَّان ، وهما للمبالغة » .

ح - وقال في تركيب (شعر) :

« شَعْرَان : اسم جَبَلٍ بالموصل ، سُمِّيَ بذلك لكثرة شجره » .

ط - وقال في تركيب (رحم) :

« الرّحْمَن . . . بُنِيَتْ الصفة على فَعْلَان لأن معناه الكثرة » ، وهو « بناء من أبنية المبالغة » .

ي - وقال في تركيب (فلم) :

« الفَيْلَمَانِيّ : منسوب بزيادة الألف والنون للمبالغة » ، والفَيْلَم : الأمر العظيم .

ك - وقال في تركيب (كلم) :

« رَجُلٌ كَيْلَمَانِيّ : كثير الكلام ، فعُبِّرَ عنه بالكثرة » .

ل - وقال في تركيب (جوا) :

جَوَانِي : « منسوب الى جَوَّ البيت وهو داخله ، وزيادة الألف والنون للتأكيد » .

وهكذا يتَّضح بما يكفي ويقنع ان زيادة الألف والنون في هذه الموارد انما يراد بها الكثرة والمبالغة والتأكيد ؛ وان الياء التي تلي ذلك انما هي ياء النسبة الى هذا المزيد .



أما موضوع قياسيّة هذه الصيغة - وهو الذي يهنا كثيرا في عملنا المجسمي لارتباطه المباشر بشؤون التعريب والمصطلحات - فلم تتفق كلمة اللغويين عليه ، بل صرَّح بعضهم بشذوذه ، وذهب بعضهم الى القول بندرته . ونورد فيما يأتي تلك الأقوال لنكون على بيّنة تامة من الأمر :

١ - ان سيبويه - وهو أول من بحث هذا البناء - لم يشر الى قياسيته بنفسه أو ايجاب ، وانما اكتفى بقوله :

« فمن ذلك قولهم في الطَّوِيلِ الجُمَّةُ : جُمَانِي ؛ وفي الطَّوِيلِ اللّحِيَّةُ : اللّحِيَانِي ؛ وفي الغليظ الرّقْبَةُ : الرّقْبَانِي . فَإِنْ سَمَّيْتَ بِرَقَبَةٍ أَوْ جُمَةٍ أَوْ لِحِيَةٍ قُلْتَ : رَقَبَتِي وَلِحِيَتِي وَجُمَّتِي وَلِحَوْرِي ، وذلك ان المعنى قد تحوّل . انما أردتَ حيثُ قلتَ جُمَانِي : الطَّوِيلِ الجُمَّةُ ؛ وحيثُ قلتَ اللّحِيَانِي : الطَّوِيلِ اللّحِيَّةُ ، فلما لم تكن ذلك أَجْرِيَّ يجرى نظائره التي ليس فيها ذلك المعنى » (٢) .

٢ - وذكر المبرّد هذه الصيغة في جملة صيغ النسب ولكنه لم يشر الى القياس وعدمه ، قال :

(٢) كتاب سيبويه : ٨٩/٢ .

« باب ما يقع في النسب بزيادة لما فيه من المعنى الزائد على معنى النسب : وذلك قولك في الرجل تنسبه الى أنه طويل اللحية : لِحْيَانِي ، وفي طويل الجُمَّة : جُمَانِي ، وفي طويل الرَقَبَة : رَقَبَانِي ، وفي كثير الشعر شعْرَانِي . فانما زِدْتُ لما أخبرتك به من المعنى ، فإنَّ نسبتَ رجلاً الى رَقَبَة أو شعْرٍ أو جُمَّة قلت : جُمِّي وشُعْرِي ورَقَبِي ، لأنك تزيد فيه ما تزيد في التَّسَبُّ الى زيد وعمرو » (٣) .

٣ - أمّا ابن سيدة فقد تَرَدَّد في الأمر ولم يجزم بموقف معيّن منه ، فذكر أولاً ان هذه الصيغة مما شَدَّ من قوانين النسب ، ثم روى بعد ذلك اطراد هذا البناء في بعض الحالات ، قال :

« وليست قوانينُ النسب ممّا نعترضه في كتابنا هذا ، غير أنّي أذكر منه ما شَدَّ . . . فمما شَدَّ . . . قولهم في النسب . . . الى العظيم القُحْد : قُحْدَانِي ، والى عظيم الرأس : رُؤَاسِي ، والى الجُمَّة : جُمَانِي ، والى الرقبة : رَقَبَانِي ، والى الأنف : أُنَافِي ، والى اللحية : لِحْيَانِي ، والى العَضُد : عَضْدَانِي وعَضَادِي . . . وقد حكى بعضُ اللغويين ان الاضافة الى عِظْم كلِّ عَضْوٍ على هذا مُطَرَّد ، أعني فُعَالِيّاً . وقالوا في النسب الى البِلسَم : بِلَسْمَانِي » (٤) .

٤ - وأمّا ابن يعيش فقد ذهب بقطعهم ويقين الى شذوذ هذا البناء وعدم جواز القياس عليه ، وفي ذلك يقول :

« وقالوا في الطويل الجُمَّة وهو الشعر : جُمَانِي ، وفي الطويل اللحية : لِحْيَانِي . . . وقالوا في الغليظ الرقبة : رَقَبَانِي ، زادوا الألف والنون للمبالغة دلالة على هذا المعنى ، وهو خارج عن قياس النسبة ، ولذلك لا يستعمل

(٣) المختضب : ١٤٤/٣ . (٤) المخصص : ٢٤١/١٣ - ٢٤٢ .

إلا فيما استعملته العرب ، ولو نسبت إلى نفس الرقة لم تقل فيه إلا رقبتي .
واعلم أن هذه الأسماء التي ذكرنا شذوذها إذا نسبت إليها في غير هذا الموضع
الذي شدت فيه أجريتها على القياس ولم تستعمل فيه الشذوذ « (٥) » .

٥ - وأما الصغاني فقد أعلن بضرر قاطع : أنه « من شواذ النسب » (٦) .

٦ - وتعددت روايات ابن منظور بهذا الشأن ، ولكنها لا تخرج عن
دائرة « على غير قياس » (٧) و « من نادر معدول النسب » (٨) .

★ ★ ★

وإذا جاز لي أن أتفضل فأدلي بدلوي في هذه المسألة ، فاني أرجح جواز
استعمال هذه الصيغة عند الحاجة الماسة إلى ذلك ، لعدم النص على شذوذها
في كلام سيويه والمبرد ، وعقد كل منهما باباً في كتابها لها . ولكن هذا الاذن
في القياس لن يعني الخروج بأي حال من الأحوال عن المجال المحدد الخاص
بهذا البناء وهو (الكثرة والمبالغة والتأكيد) .

غير أن الذي يلفت النظر ويثير الانتباه في الأمر أن الياء المشددة الملحقة
بمعظم الكلمات الواردة على هذه الزنة - وقد سماها الجميع « ياء النسبة » -
لا تدل على نسب حقيقي ، ولا تحمل أي معنى من معاني الانتساب ، لأن
النسب كما ذكر اللغويون : « يكون بالآباء ، ويكون إلى البلاد ، ويكون في
الصناعة » (٩) ، وليس في كثير من ألقاظ هذا البناء ما ينطبق عليه هذا .

ولنأخذ الكلمات الآتية مثلاً على ذلك :

- (٥) شرح المفصل : ١٢/٦ - ١٣ .
- (٦) العباب : (شعر) .
- (٧) لسان العرب : (رقب) و (نبج) و (نظر) .
- (٨) لسان العرب : (رقب) و (روح) و (جم) .
- (٩) لسان العرب : (نسب) .

الشَّعْرَانِيّ : كثير شعر الرأس والجسد طوله .

الوَاحِدَانِيّ : منسوب الى الواحدة والافراد .

الرَّقَبَانِيّ : الغليظ الرقبة .

الْمُخْبِرَانِيّ : ذو مخبر ، والمنظَرَانِيّ : ذو منظر حسن .

الجُسْمَانِيّ والجُسْمَانِيّ : ضخيم الجثّة .

السَّيْلَانِيّ : الطويل السبلة .

المُسْحَلَانِيّ : الطويل .

يومٌ "جَوْلَانِيّ وجَيْلَانِيّ" : كثير التراب والريح .

الدُّخْمَانِيّ والدُّخْمَسَانِيّ : العظيم مع سواد .

رَجُلٌ "زُهْمَانِيّ" : اذا كان شعبان .

ان هذه اليباءات كما يرى المتأمل فيها ليست نسبة الى شي بالمعنى الحقيقي للنسبة ، وانما هي مبالغة في الوصف وتأكيده ، بل لم ترد في معناها العام على معنى « فَعْلَان » الذي يستعمل « فيما يُبَيِّنُ » في وَصْفِهِ « (١٠) . ولذلك تكون تسميتها بيباء النسبة والحاقةا ببحث النسب محض مجاز رأى فيه اللغويون ما يسوغه من شبه أو قرب فأطلقوه عليه .

وقد وقفت في تركيب (جون) في لسان العرب على نص رجباً كان هو الحل الأمثل لهذا التردد في اليباء ، قال :

« وفي حديث أنس : جئت الى النبي (ص) وعليه بُرْدَةٌ جَوْنِيَّةٌ ، منسوبة الى الجَوْن وهو من الألوان ، ويقع على الأسود والأبيض . وقيل : اليباء للمبالغة ، كما يقال في الأحمر : أَحْمَرِيّ » .

ويبدو لي أن قوله : « وقيل اليباء للمبالغة » هو التفسير السليم لليباء الملحقه به

« فَعْلَان » أي انها مبالغة في تأكيد الوصف الذي يُولِغ به أولاً بالألف والنون ، ونظيرها في الاستعمال اللغوي قولهم : نَسَابَة وَعَلَامَة ، جمعوا فيها بين الصيغة الدالة على المبالغة وهي « فَعَال » والهاء الدالة على المبالغة أيضاً . وهذا هو نفسه ما تستعمله العامة اليوم مريدةً به الوصف لا النسب ، في قولهم : طُولَانِي ، عَرَضَانِي ، وَسَطَانِي ، طَرَفَانِي ، دَحْلَانِي ، أبيضَانِي ، أحمرَانِي ، وما أشبه ذلك . والعامة مهملتا تغلغل فيها التحريف ودخلها التبايل والتغيير لم تنشأ من فراغ ولم تُوجد بلا أصل ، وانما هي مستقاة في الأعم الأغلب من اللغة أو اللغات النصحى في جذرها البعيد البعيد .

والله تعالى هو العالم ، وفوق كل ذي علم عليم .



مُعْجَمُ الْأَمْرَاضِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ

الدكتور نوري صمودني الفيلسفي

كلية الاداب - جامعة بغداد

مفذر ريف داود العاني

كلية الشريعة - جامعة بغداد

من خلال متابعة المفردات الطبية التي تناثرت في المعجمات العربية تتوثق صورة المعرفة العلمية التي تداخلت في حياة الناس وعرفت في أوساطهم وأدركوا أسبابها ووقفوا على تأثيرها . وانصرفوا الى ايجاد الوسائل الكفيلة بالوقاية منها أو معالجتها بما يتوصلون اليه من عقاقير ، وهذا يؤكد وجود المعرفة الطبية التي تتحسس الظاهرة من خلال المشاهدة وتعتمدها منهجاً وتتابع تأثيرها وهي تأخذ مراحلها وتتسع صورها وتضع الحلول الناجعة لها . . . هو ما لفته الحياة العربية واستمدت أصولها من تجربتها الموعلة في القدم وهي - شأنها شأن الأمم الأخرى - تبحث عن المعرفة باعتبارها وسيلة من الوسائل الكفيلة بضمان الحياة والوقوف على أسبابها إسهاماً في البناء الحضاري الذي يعطي الحياة نمطها المناسب وصورتها المطلوبة . ومن الطبيعي ان يثير الطب اهتمام الانسان لما كانت تبعثه مخاوفه في نفسه من عقابيله التي تفتك به أو يقع فريسة لها أو يتعرض لها بشكل جماعي . . وان الألم الذي يصاحب بعض الامراض والاثار التي يتركها والمخاوف المفزعة التي هزت وجوده الانساني وحملته على ايجاد العوامل التي تذهب عنه المخاوف وتخفف عنه الآلام وتمنحه القدرة على مزاوله اعماله التي اصبحت لازمة من لوازم من حياته .

لقد كان التوثق من المرض محاولة أساسية من محاولات الحفاظ على الصحة ومرحلة من مراحل الوقوف على الاسباب التي يتسرب منها المرض ليصبح ما بعدها نهياً لكل ما يفقده المقاومة ويتركه طعماً لعلل تورثه السقام

والكسل . . . ومن الطبيعي ان تأخذ المفردات مساحتها في الاستعمال اللغوي وتصبح جزءاً من المعجم العربي الذي اعتمد في تثبيت اصول اللغة فنثرت في كل باب من أبوابه ودخلت في كل فصل من فصوله وهي تأثير عند الحديث أو الاستشهاد مما جعلها موزعة غير مجموعة .

بمثل المصطلح المعجمي البداية الأولية لكل محاولة تنهض بموضع المصطلحات ولأن الأسس المعتمدة التي سار بموجبها اللغويون القدامى قد استنبطوها من القواعد الاساسية التي ظلت قاعدة لكل اشتقاق وبداية لكل محاولة ولهذا أصبح استقرار مفردات المعجم العربي على وفق الموضوعات محاولة جادة على طريق العمل لان هذه المفردات توفر المادة التي انتهت تجربتها اللغويين القدامى فهي الخزين الاول وقد دعوت الى هذا العمل قبل ثماني سنوات في جلسة من جلسات المجمع العلمي لاعتقادي ان هذه المفردات التي زخر بها المعجم تعتبر عن الخزين الثر والاستعمال الصحيح والقاعدة المستخدمة ولانها ظهرت في عصر مبكر واستخدمت في مجالات العلوم والحضارة والفن واتسعت قاعدتها حتى أصبحت قاعدة لكل محاولة وان اية تجربة في وضع المصطلح لاعتتماد هذا الخزين تظل ناقصة لانها تفقد مجموعة ربما اهتمت الى المعاني التي تبحث عنها أو نجتهد في ايجاد صيغ لاتوافق المطلوب ولاتحقق المراد فيضيع الجهد . ويتبدد الوقت .

إن التعريف بالمصطلحات المعجمية العربية والانصراف لاستخراجها وتصنيفها وتحديد التصريف اللغوي المعتمد في صياغتها والجانب الصوتي المعتمد يقدم مادة جديدة تشيع على السنة المتخصصين فثري لغتهم وتغني معاجم اللغات الاخرى بما تقدمه من ناحية وتؤكد لاصحاب تلك المعاجم ان المعجم العربي كان سباقاً في الميدان وعملياً في ايجاد الصيغ التي كانت - تفرضها طبيعة الحياة متتبعين من الخصائص اللغوية التي تمتلكها العربية

وموحدين القواعد التي يجلبون فيها صورة واحدة تيسر للمعنيين الصياغة المعتمدة في كل حالة مشابهة تقع في هذا الاطار .

فاصحاب المعاجم قدموا هذه المصطلحات التي يمكن تنسيقها على وفق الاغراض التي اصبحت الحاجة ملحة اليها فالزراعة والصناعة والطب والصيدلة والكيمياء والحضارة والحرب والعمارة والملابس والاكوان والاصوات وغيرها ظلت تمارس في نطاق الحياة العربية وعرفت مصطلحاتها في كل وسط ولكنها لم تأخذ جانب الاختصاص الذي يعطي لكل مصطلحاته وقد آن الاوان لجرد هذه المصطلحات ووضعها موضع العمل لتعاد لها صيغتها المشروعة وتأخذ حجمها في الاستعمال .

ومن خلال حجمها وتوحيدها وتنسيقها يمكن استخراج الصيغ الصرفية التي اعتمدتها ليتوفر عليها بعض الدارسين الذين يعيدون لها صورتها ويهتدون الى النظريات اللسانية التي كانت بداية لمثل هذه الاشتقاقات .

ان هذه المحاولة واحدة أخرى من المحاولات التي تهدف الى وضع المصطلحات بين أيدي المتخصصين لعلهم يجدون فيها صورة لما يبحثون عنه ونأمل ان نكون خدمنا ترائنا عن طريق توفير المصطلح لكل جانب من جوانب المعرفة .

١ - الامراض العامة

اللفظ	المرض
خذأ	— الخَدَأُ ، ضَعْفُ النَّفْسِ
دَوَاءٌ	— اِئْدَاءُ : اسم جامع لكل مرض وعيب في الرجال ظاهر أو باطن . اِئْدَاءُ : المرض .
أَرَبٌ	— أَرَبَ الرَّجُلُ : قُطِعَ لِرَبِّهِ . وَأَرَبَ عَضْوُهُ اِي سَقَطَ . وَأَرَبَ الرَّجُلُ : تَساقطت أعضاؤه .

- سهب** - **المُسَهَّب** : المتغير اللون من حب أو فزع أو مرض .
- شجب** - **الشَّجَب** : العنت يصيب الانسان من مرض أو قتال .
- غلب** - **الغَلَب** : غلظ العنق وعظمها ، وقيل غلظها مع قصر فيها ، وقيل مع ميل يكون من داء أو غيره .
- وصب** - **الْوَصَب** : الوجع والمرض ، **والمَوْصَب** بالشديد ، : الكثير الاوجاع ، **الْوَصَب** : دوام الوجع ولزومه .
- الأَوْصَاب** : الاسقام ، الواحد : **وَصَب** .
- سبت** - **المَسْبُوت** : الميت والمغشي عليه ، وكذلك العليل اذا كان ملقى كالنائم يُغْمَضُ عينه في اكثر احواله ، **مَسْبُوت** .
- سكت** - **السَّكْنَةُ** ، بالفتح : داء .
- علث** - **التَّعْلِيثُ** : اختلاط النفس ، وقيل : بدء الوجع .
- غلت** - **المُغْلِيْتُ** : المقارب من الوجع ، ليس يُضْجَع صاحبه ، ولا يُعْرَق .
- حشرج** - **الحَشْرَجَة** : الغرغرة عند الموت وتردد النفس .
- خلج** - **الْخَلَجُ** ، بالتحريك : أن يشنكي الرجل لحمه وعظامه من عمل يعمله أو طول مشي وتعب ، وقيل : انما يكون الخلج من تقبض العصب في العضد حتى يعالج بعد ذلك فيستطلق .
- خمج** - **الْخَمَج** : بفتح الميم : الفتور من مرض أو تعب .
- فلج** - **الفَالَج** : ريح يأخذ الانسان فيذهب بشقه . وقيل : يرخي بعض البدن .
- هيج** - **التَّهْيِيج** : شبيه الورم في الجسد . ورجل مهيج : ثقيل النفس وهيج وجه الرجل ، وهيج الرجل : انتفخ وتقبض .

- ولج** — **الوالجية** : وجع يأخذ الانسان .
- أنح** — **رجل أنوح** : كثير التنحنح . وأنح أنحاً وأنيحاً وأنوحاً : اذا تأذى وزخر من ثقل بجسده من ممرض أو بهر .
- برح** — **البرحاء** : الشدة والمشقة ، وخص بعضهم به شدة الحمى ، وبرحاءاً في هذا المعنى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى : أصابته البرحاء . وقيل : اذا تمدد المحموم للحمى ، فذلك المطوى ، فاذا ثاب عليها ، فهي الرخصة ، فاذا اشتدت الحمى فهي البرحاء . وفي الحديث : برحت في الحمى : اي أصابني منها البرحاء .
- سطح** — **السطيح** : المنبسط البطني القيام من الضعف . والسطيح : الذي يولد ضعيفاً لا يقدر على القيام والقعود ، فهو أبداً منبسط .
- شقح** — **الشقيح** : الناقية من المرض .
- خضد** — **الخضد** : وجع يصيب الانسان في اعضاءه لا يبلغ ان يكون كسراً وخضد البدن : تكسره وتوجعه مع كسل .
- حمد** — **حمدت الحمى** : سكن فورانها . وحمدت المريض : أغمى عليه او مات .
- بهر** — **البهر** : انقطاع انفس من الاعياء ، والبهر بالضم : تناع النفس من الاعياء . ويقال : بهر الرجل اذا عدا حتى غلبه البهر وهو الربو ، فهو مبهور وبهير .

- جش** - الجَشَر والجُشْرَة . خشونة في الصدر وغلظ في الصوت وسعال . وقيل بَحَحَ في الصوت . ورجل مَجْشُور : به سعال الجُشْرَة : الزُّكام .
- وجنب جاشر : متنفخ . وتَجَشَّر بطنه : انتفخ .
- حرر** - الحرَّة : حرارة في الحلق . فان زادت فهي الحرَّوة ، ثم التَّحْتَحَة ثم الجَتَّاز ثم الشرَّق ثم القُوق ثم الحرَّض ثم العسَّق ، وهو خروج الروح .
- حضر** - حُضِر المريض واحتُضِر اذا نزل به الموت . ويقال للرجل بصيبه اللِّم والجَنون .
- دغر** - الدَّغَر : غَمَز الحلق من الوجع الذي يُدْعَى العُدْرَة . ودعَر الصبي يدغره دغراً ، وهو رَفَع ورم في الحلق . العُدْرَة : وجع يهيج في الحلق من الدم .
- دور** - الدُّوَار والدَّوَّار : كالدُّوران يأخذ في الرأس .
- صور** - في راسه صُورٌ اذا وجد فيه اكالاً وهميماً ، وفي راسه صُورٌ اي ميل . وخص بعضهم به امالة العنق . الصُّورة : الحكمة من انتفاش الخنطين في الرأس . والصُّورة «ايضاً» شبه الحكمة يجدها الانسان في راسه حتى يشتهي ان ينقل .
- ضرر** -- الضَّرِير : المريض المهزول .
- غير** - يقال : اصابه غَيْرٌ في عرقه اي لا يكاد يبرأ . وغير الجُرْح بالكسر ، يَغْيَرُ غَيْراً : اذا اندمل على فساد ثم انتقص بعد البرء . والناسور بالعربية هو العرق الغيَر . والغَيَر ان يبرأ ظاهر الجرح وباطنه دَوْر .

- نغر - نغر الجرُح نغوراً اذا ورم. ونغرت العين وغيرها من الاعضاء تتغير نغوراً : هاجت وورمت . ونغر جلده اي ورم .
- نشر - عرق ناشز : مرتفع مُنتَهِر ناشز لايزال بضرب من داء .
- نhez - المصدور : الذي بصلره وجع (١) .
- عقبس - العقابيس : بقايا المرض .
- نكس - النكس والنكاس كله : العود في المرض ، وقيل عود المريض في مرضه بعد مثالته .
- ونكس المريض معناه قد عاودته العلة بعد النكح .
- هلس - الهلس والهلاس : شبه السلال . وقيل : شدة السلال من افضال . ورجل مهلوس ، وهلكه الداء بهلكه هلساً : خامره . والمهلوس من الرجال الذي يأكل ولا يرى اثر ذلك في جسمه . والهلاس : السل ورجل مهلوس العقل اي مسلوبه . ويقال : السلاس في العقل والهلاس في البدن .
- حشش - الحشاش والحشاشة : بقية الروح في المريض .
- رعش - الرعاش : رعشة تعترى الانسان من داء يُصيبه لايسكن عنه .
- حرض - رجل حريض وحريض أي فاسد مريض في بنائه . وقيل : المحريض الهائل مرضا الذي لاحي فيرجي ولا ميت فيؤأس منه .
- رمض - الإرماض ، كل ما أوجع . وارتمضت كبده : فسدت وارتمض الرجل ، فسد بطنه ومعدته .

(١) اللفظ وجدناه في - نهز - فثبتناه هنا . ذكر - المرض - عند استشهاد بيت من الشعر .

- جفظ** - المَجْفُظُ : الميت المنتفخ . والمَجْفُظُ : الذي : أصبح على شفا الموت من مرض او شر أصابه .
- ردع** - الرَّدْع : التَّكْس . الرَّدْع : التَّكْس .
- ردع** - الرَّدْع : الوجع في الجسد أجمع .
- قشع** - القُشَاع : داء يؤثِّرُ الانسان .
- هقع** - الهُقَاع . غفلة تصيب الانسان من هم او مرض .
- وجع** - الوجع : اسم جامع لكل مرض مؤلم ، والجمع أَوْجَاع .
- نفع** - نُعْشِغ ، أصابه داء في النعانغ وكل ورم فيه استرخاء نُعْشِغَة .
- كسف** - الكُسُوف في الوجه : الصفرة والتغير .
- رئق** - الرُّنْق : ضعف يكون في البصر وفي البدن .
- شوك** - الشَّوْكَة : داء كالطاعون . والشَّوْكَة : حمرة تَرُقَى الجسد فترُقَى ، وقد شيك الرجل أصابته هذه العلة . الشَّوْكَة : حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد فتسكن بالرُقَى .
- ثقل** - الثَّقَلَة : ما وجد في جسده ثقله اي ثقلاً وفُتُوراً .
- وثقل الرجل ثقلاً فهو ثَقِيلٌ وثاقل : اشتد مرضه وثقل سمعه : ذهب بعضه ، فان لم يبق منه شيء قيل وقُر .
- دخل** - الدَّخَلَ : ما داخل الانسان من فساد في عقل أو جسم .
- طل** - الطَّلَاطِلَةُ والطَّلَاطِلُ هو الداء العضال . وقالوا : رماه الله بالطَّلَاطِلَةِ والحُسَى المداطِية : وهو وجع في الظهر ، وقيل : رماه الله بالطَّلَاطِلَةِ : هو الداء العضال الذي لا يُقَدَّر

له على حيلة ولا دواء ولا يعرف المعالج موضعه والحسي
المماطلة : الرُبْع تماطل صاحبها اي تطاوله ، وقيل الطَّلَاطِلَة :
سقوط النِّهَاء حتى لا يُسْبِغ طعاماً ولا شرباً . الطَّلَاطِلُ :
المرض الدائم .

عقل — العَقَائِل : بقايا المرض . كالعَقَائِل .

عضل — داء عَضَال : شديد مُعْيٍ غالب .

عقل — . . . مرض فلان فاعْتَقِل لسانه اذا لم يقدر على الكلام .
العَقْل : اصْطَكَكَ الرَكْبَتَيْنِ ، وقيل التواء في الرَّجْل وقيل :
هو أن يُفْرِطَ الرُّوحُ في الرجلين حتى يَصْطَكَّ العُرْقُوبَانِ .
وداء ذُو عُقَال : لا يُبْرَأ منه .

عقل — العَقَائِل : بقايا العِلَّة . وقيل هو الذي يخرج على الشفتين
غَبَّ الحُمَى . الواحدة منها جميعاً عُمْبُولَة وعُقْبُول
والجمع العَقَائِل . وقيل العُقْبُولَة والعُقْبُول : الحَلَاء :
وهي قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض .

علل — العِلَّة : المرض .

أرم — الأَرَام : دوار في الرأس .

دوم — الدُّوَام : شبه الدُّوَار في الرأس .

غيم — الغَيْم : شُعْبَة من الثَّلَاب .

نشم — النَّشْم : مثل النَّمَش على القلب .

نوم — يقال : أَخَذَهُ نَوْمٌ ، وهو مثل السَّبات يكون من داء به .

- تنن - التَّنُّ والتَّنُّ ، الصبي الذي قصعه المرض فلا يَبْشِبُ .
 جعن - الجَعْنُ ، وهو وجع الجسد وتكسُّره .
 ضمن - الضَمْنُ والضَّمان والضْمْنَةُ والضَّمانَةُ : الداء في الجسد ، من بلاء أو كبر .
 نقه - الناقه اذا صحَّ وهو في عقب علته .
 حما - الحَصِيُّ : المريض الممنوع من الطعام والشراب .
 رذي - الرَّذِي : الذي اثقله المرض . والسَّال : داء باطن ملازم للجسد لا يزال يَسْلُهُ ويذيه (١) .
 وني - التَّوَانِي والتَّوَنَا ، ضعف البدن .

٢ - الامراض الباطنية والقلبية والصدرية

- | اللفظ | المرض |
|-------|---|
| قفأ | - القَفِيُّ : الذي يأخذه داء في البطن . القَفَأُ : خروج الصدر والفسأ ، دخول الصلب . أَقْفَأَ صدره اذا انخسف صدره من علة . |
| مأأ | - والمَأَاءُ : الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقيل : المَأَلَةُ : ثقل يأخذ الرأس كالزكام من امتلاء المعدة . |
| جلب | - الجَبَّارُ (٢) ، حرقة في الجوف ، وقيل الجَبَّار : حرارة من غيظ تكون في الصدر . |
| جنب | - المَجْنُوبُ : الذي به ذات الجَنْبُ ، تقول منه : رجل مَجْنُوبٌ ، وهي قَرَحَةٌ تصيب الانسان داخل جنبه ، وهي |

(١) اللفظ وجدناه في - رذي فثبتناه هنا .

(٢) اللفظ وجدناه في - جلب - فثبتناه هنا - ذكر هذا المرض عند استشهاده بقول .

— علة صَعْبَةٌ تأخذ في الجنب . وقيل : ذات الجنب هي الدُّبَيْلَةُ ، وهي علة تثقب البطن وربما كَتَنُوا عنها ، فقالوا : ذات الجنب . الدُّبَيْلَةُ والدُّمْلُ الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر الى داخل ، وقلما يَسْلَمُ صاحبها . الجُنَابُ ، ذات الجنب في اي الشقين كان — وزعم انه اذا كان في الشق الايسر اذهب صاحبه .

دوب — الدَّرَبُ داء في المعدة . وقيل : الدَّرَبُ داء في المعدة .
عيب — العَبُّ شرب الماء من غير مص ، وقيل ان يشرب الماء ولا يَتَنَفَّسُ وهو يورث الكُبَادَ ، والكُبَادُ : داء يعرض للكبد ، ومنه الحديث الكُبَادُ من العَبِّ .
عرب — التَّعَرِيبُ : تمريض العرب ، وهو الدَّرَبُ المعدة .
وعَرِبَتْ معدته بالكسر ، عَرَبًا : فَسَدَتْ ، وقيل مما يَحْمِلُ عليها .

قحب — القَحْبُ : سعال الشيخ . القُحَابُ : فساد الجوف .
قلب — الْقُلَابُ : داء يأخذ في القلب .
نحب — النَّحْبُ : السعال .
نقب — الناقبة : قُرْخَةٌ تخرج بالجنب ، . وقيل الثُّقْبُ قُرْخَةٌ في الجنب وتهجم على الجوف ، ورأسها من داخل . الناقبة : داء يأخذ الانسان ، من طول الضجعة .

- حجج** — حجج الرجل حجاجاً ودرم بطنه وارثطلم عليه ، وقيل الحجج الانتفاخ حيشا كان من ماء او غيره .
- سجج** — السَّجَجُ : داء في البطن قاسر .
- ذبيح** — الذَّبِيحَةُ ، بفتح الباء : داء يأخذ في الحلق وربما قتل يقال أخذته الذَّبِيحَةُ والذَّبِيحَةُ . وقيل الذَّبِيحَةُ قُرْحة تخرج في حلق الانسان .
- والذَّبِيحَةُ : وجع يأخذ في الحلق من الدم . وقيل : هي قُرْحة تظهر فيه فينسد معها ويتقطع النفس فَتَقْتُلُ .
- كشج** — الكَشَجُ : داء يصيب الكَشَجُ .
- نفخ** — النفخة : انتفاخ البطن من طعام ونحوه . النفخة والنَّفْخُ : الورم وقيل : النَفْخُ نفخة الورم من داء يأخذ أخذاً . ورجل أنْفَخَ بَيْنَ النَفَخِ : للذي في خَصْبِيهِ نفخ .
- برد** — الإبردة : بكسر الهمزة والراء : علة معروفة من غلبة البرد والرطوبة تُفْثَرُ عن الجماع ، ورجل به إِبْرَدَةٌ ، وهو تقطير البول ولا ينسبط الى النساء .
- جسد** — الجُساد : وجع يأخذ في البطن يسمى بيجيدق .
- سود** — السُّود : وجع يأخذ الكبد من أكل الثمر وربما قتل .
- فأد** — فَتَدَ فَأَدَا : شكا فؤاده وأصابه داء في فؤاده ، فهو مَفْؤُود . المَفْؤُود : الذي أُصِيبَ فؤاده بوجع .
- معد** — مُعِد الرجل : فهو مُعُود : ذربت معدته فلم يستمرىء ما يأكله .

أسر — الأحمر (١) ، إذا احتبس الرجل بوله قيل أخذته الأسر ،
وإذا احتبس الغائط فهو الحَصْر . والأسر : تقطير البول
وحزّ في المثانة واضاض مثل اضاض الماخض .

بجر — الباجر : المشتفخ الجوف . البَجْر والبَجَر :
انتفاخ البطن — البُجْرَة : العقدة في البطن خاصة ، وقيل
البجرة العقدة تكون في الوجه والعنق .
وقيل : العجزة نفخة في الظهر ، فإذا كانت في السرة فهي بُجْرَة .

بحر — البَحْر : داء يورث السل . وأَبَحَرَ الرجل إذا أخذه السلّ .
ورجل بَحِير وبَحَر : مسلول ذاهب اللحم . والسحير :
الذي انقطعت رثته . والأطباء يسمون التغير الذي يحدث
للعليل دفعة في الامراض الحادة : بُحْراناً .

حنجر — المُحَنَجِر : داء يصيب في البطن وقيل : المُحَنَجِر : داء
التَشْيِدْق .

عور — تخرخر بطنه إذا اضطرب مع العظم ، وقيل هو اضطرابه
من الهزال .

عصر — مَخْصُور ، يشتكي خَصْرَه أو خاصرته . وفي الحديث :
فأصابني خاصره ، أي وجع في خاصرتي . وقيل : وجع في
الكليتين .

زحر — الزَّحِير : تقطيع في البطن يُسَمِّي دما . وقيل : الزَّحِير :
استطلاق البطن ، وكذلك الزُّحَار ، بالضم .

(١) اللفظ وجدناه في — أسر — فتبيناه هنا ذكر المرض عند استشهاد بيت
من الشعر .

- سحر** — رجل سَحِرَ وسَحِير : انقطع سَحْرُهُ ، وهو رثته ، فاذا أصابه منه السَّلْ وذهب لحمه ، فهو سَحِير وسَحِيرٌ .
- سور** — السَّرَر : داء يأخذ في السُّرَّة .
- صدر** — المَصْتَوِر : الذي يشتكي صدره .
- صفر** — الصَّفَر : داء في البطن يصفر منه الوجه والصَّغَر والصُّفَار : دود يكون في البطن وشراسيف الاضلاع فيصفر عنه الانسان جداً وربما قتله . والصُّفَار : الماء الاصفر الذي يصيب البطن . ويقال : انه لقي صفرة للذي يعتريه الجنون اذا كان في ايام يزول فيها عقله . والصُّفَار : صفرة تغلواللون والبشرة ، وصاحبه مَصْفُور .
- ضرر** — الضَّرَر ، المريض المهزول .
- نظر** — الخَتان : (١) داء يأخذ الناس . . . ، وقيل انه كائز كام .
- يسر** — الأُسْر : احتباس البول .
- حزز** — الحَزَّازة والحَزَّاز ، كله : وجع في القلب من خوف . وقيل : الحَزَّازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه .
- رزز** — الرُّز : الوجع يجده الرجل في بطنه .
- كزز** — الكُزَّاز : داء يأخذ من شدة البرد وتعتري منه رعدة وهو مكزوز ، وهو تشنج يصيب الانسان من البرد الشديد او خروج دم كثير . الكُزَّاز : داء يتولد من شدة البرد .

(١) اللفظ وجدناه في — نظر — فثبتناه هنا — ذكر هذا المرض عند استشهاده ببيت من الشعر .

- نحر - النَّحْرُ : السعال عامة .
- أيس - الأياس : السَّل .
- كس - الكَيْثُمُوس في عبارة الاطباء : هو الطعام اذا انْهَضَمَ في المعدة قبيل ان ينصرف عنها ويصير دماً ويسمونه ايضاً الكَيْثُوس .
- مغس - المَغْس ، لغة في المغص ، وهو وجع وتقطع يأخذ في البطن .
- يوس - الياس : السَّل . داء الياس يعني الياس بن مُضَر كان أصابه السل فكانت العرب تسمي السل داء الياس .
- طشش - الطُّشَّة : داء يصيب الناس كالزكام . الطُّشَّاش : داء من الأدواء يقال له طشش فهو مَطْشُوش كانه زُكَم .
- عطش - العُطْش : داء يصيب الصبي فلا يَروى ، وقيل : يصيب الانسان بشرب الماء فلا يَروى .
- تعص - التَّعَص : شبيه بالمعص .
- شوص - الشَّوْص : وجع البطن من ريح تنعقد تحت الاضلاع . الشَّوْصَة والشَّوْصَة : والاول أعلى : ريح تنعقد في الضلوع يجد صاحبها كالوخز فيها . والشَّوْصَة : ريح تأخذ الانسان في لحمه تجول ههنا مرة وههنا مرة في الجنب ومرة في الظهر ، ومرة في الحواقي . تقسول شاصتي شَوْصَة ، والشوائص أسماؤها .
- وقيل : هوورم في حجاب الاضلاع من داخل .

- علص** — العِلْوَصُ : التخمة والبشم ، وقيل : هو الوجع الذي يقال له اللَوَى الذي سس (١) في المعدة . وكذلك العلص .
والعِلْوَصُ : وجع البطن مثل العِلْوَز . وقيل : هو الوجع .
وقيل : بل يُراد به اللَوَى الذي هو العِلْوَص .
- قبص** — القَبْصُ والقَبْصُ : وجع يصيب الكبد عن أكل التمر على الريق وشرب الماء عليه . والقَبْصُ في الرأس : ارتفاع فيه وعِظَم .
- قُعص** — القُعَصُ : داء يأخذ في الصدر كأنه يتكسر العُنُق .
- مصص** — الماصَّة داء يأخذ الصبي وهي شعرات تَنْبُت مُنْقَنِيَةً على سَنَاسِنِ القفا فلا يَنْجَعُ فيه طعام ولا شراب حتى تَنْتَفِ من أصولها .
- مغص** — المَغْصُ والمَغْصُ : تقطع في أسفل البطن والمعَى وجع فيه ، وقد مَغَصَ فهو مَمْغُوص . وقيل المَغْصُ غَلظ في المعَى .
- أرض** — الأَرْضُ : الزكام . والأَرْضُ : دوار يأخذ في الرأس عن اللبن فيَهْرَاقُ له الأنف والعينان .
- شحط** — الشَّحْطُ : الاضطراب في الدم .
- نقط** — النَقْطَانُ : شبيه بالسعال .
- نوط** — النَوْطَةُ : ورم في الصدر .
- نطع** — النَّطْعُ : الزكام ، وقيل هو مثل الزكام ، وقيل : هو مثل الزكام والسعال .

(١) وجدناه — سس — بدون نقط .

خضع - - - - - انخفضت رثته : انشقت من داء ، وقيل من داء يقال له :
الخضاع .

رمع - - - - - الرَّمَاع : داء في البطن يصفر منه الوجه .
الرَّمَاع : الذي يشتكي صلبه من الرَّمَاع ، وهو وجع يعرض في
ظهر الساق حتى يمنعه من السَّقي .

قطع - - - - - القَطْع : وجع في البطن ومغس . والتقطيع : مغس يجده
الانسان في بطنه وأمعائه .

لوع - - - - - اللَّوْعَة : وجع القلب من المرض .

جحف - - - - - الجُحاف : وجع في البطن يأخذ من أكل اللحم بحثاً كالجُحاف
وقد جُحِف ، والرجل مجحوف . وقيل : الجُحاف مثنى
البطن عن ثُخمة ، والقَبْض : عن أكل التمر .

حجف - - - - - الحُجاف : ما يعترى من كثرة الأكل أو من أكل شيء
لا يلائم فيأخذ البطن استِطلاقاً ، وقيل : هو ان يقع عليه المشي
والقيء من الثخمة . والمنكوف (١) . الذي يشكى نكفته ،
وهما الغدتان اللتان في رَأْدي اللحين ، وقيل : الحُجاف
والجُحاف مغس في البطن شديد .

خضف - - - - - العَرَب ، وجع المعدة (٢)

(١) اللفظ وجدناه في - - - - - جحف - - - - - فثبتناه هنا ، وذكر هذا - المرض - عند
استشهاده ببيت من الشعر .

(٢) اللفظ وجدناه في - - - - - خضف فثبتناه هنا . وجاء ذكره للمرض عند
استشهاده ببيت من الشعر .

- خلف** — الخِلْفَةُ : الخَيْفَةُ .
- سحف** — السُّحَاف : السَّلُّ ، يقال رجل مَسْحُوف .
- شغف** — الشُّغَاف ، داء يأخذ تحت الشَّرَاسِيف من الشَّقِّ الْإِيمَنِ ، . .
 وإذا وصل الداء الى الشُّغَاف فلازمه مَرَضُ الْقَلْبِ وَلَمْ يَصْح .
 وقيل : ان الشُّغَاف داء في القلب اذا اتصل بالطحال قتل صاحبه .
- خفق** — الْخَفَقَان : اضطراب القلب وهي خِفَّةٌ تَأْخُذُ الْقَلْبَ ، تقول :
 رجل مخفوق .
- خثق** — الْخَثَاقُ وَالْخُنَاقَةُ : داء او ريح يأخذ الناس في الحلق .
- فتق** — الْفَتَقُ : علة او نتوء في مَرَقِ الْبَطْنِ . وقيل : الْفَتَقُ : يصيب
 الْإِنْسَانَ فِي مَرَقِ بَطْنِهِ يَنْفَتِقُ الصَّفَاقَ إِلَى الدَّخْلِ .
- يرق** — الْيَرَقَان : داء معروف يصيب الناس ، ورجل مَيَّرُوق .
- ضأك** — رجل مَضْؤُوك ، مَزْكُوم .
- ضنك** — الضَّنْكَ وَالضَّنْكَ بِالضَّمِّ ، : الرُّكَام .
- بول** — أَخَذَهُ بُولٌ ، بِالضَّمِّ ، اذا جعل البول يعتريه كثيراً .
 الْبُولُ ، داء يكثر منه الْبَوْلُ .
- حبل** — الْحُبَال : انتفاخ البطن من الشراب والتبديد والماء وغيره .
- حثل** — الْحَثَلُ . سوء الرِّضَاع . ويقال أَحْثَلْتُ الصَّبِيَّ اذا أسأت
 غِذَاءَهُ .
- حقل** — الْحَقِثْل : داء يكون في البطن .
- دحقل** — الدَّحْقَلَةُ : انتفاخ البطن .

- سهل** — إسهال البطن : كالخِلْفَة ، واسهال البطن : ان يُسهله دواء .
- نزى** — النَّزَلَة : كالزُّكام .
- تمم** — الغاشية (١) : ورم يكون في البطن .
- حمم** — الحمى والحمّة : علة يستحير بها الجسم ، وحمّ الرجل أصابه ذلك .
- رغم** — الرُّغامي : زيادة الكبد مثل الرُّغامي ، بالغين والعين المهملة .
- صدم** — الصُّدَام : ثقل يأخذ الانسان في رأسه ، وهو الخُشَام .
- نسم** — النَّسَمُ جمع نسمة ، وهو النَّفْس والرَّبْو ، ولا يزال صاحب هذه العلة يتنفس نفساً ضعيفاً .
- هدم** — الحُدَام : الدُّوَار يصيب الانسان في البحر ، وهدم الرجل : أصابه ذلك .
- بطن** — رجل مبطون : يشتكي بطنه .
المبطنون : العليل البطن .
البَطْن : داء البطن .
- حب** — الحَبَن : داء يأخذ البطن فيعظم منه ويرم . والحَبَن : ان يكون السَّقْي في شحم البطن فيعظم البطن لذلك .
وامرأة حبّشاء . والحَبِين : ما يعتري في الجسد فيقيح ويرم والحَبِين : الدُّمَل .

(١) اللفظ وجدناه في — تمم فتبتناه هناك وذكر المرض عند استشهاده ببيت من الشعر .

- حقن -- الحاقن : الذي له بول شديد ، والحاقب في الغائط .
رين -- الرئين : كالصدأ يَغشى القلب .
جوا -- الجوى : مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لا يُستمرأ معه
الطعام . وقيل هو داء يأخذ في الصدر .
حصى -- الحصاة : داء يقع بالمثانة ، وهو ان يكثر البول فيشتد حتى يصير
كالحصاة ، وقيل : الحصو : هو المغس في البطن .
حقا -- الحقوة والحقاء : وجع في البطن يصيب الرجل من أن يأكل
اللحم بحتاً فيأخذه لذلك سلاح .
وقيل : يورث نقعة في الحقوين .
شغا -- الشغبة والاشغاء : ان يقطر البول قليلاً قليلاً .
طسا -- الطنى : ان يعظم الطحال عن الحمى . يقال منه :
رجل طنى ، وهو الذي يُحم غيباً فيعظم طحاله .
غشا -- الغاشية : داء يأخذ في الجوف وكله من التغطية .
وقيل : هو داء او ورم يكون في البطن .

٣ - امراض الكسور والمفاصل

- اللفظ المرض
عدا -- العندأة : العسر والالتواء يكون في الرجل .
وثا -- الوث والوثاءة : هو توجع في العظم من غير كسر .
وقيل : هو الثلك ، وقيل : الوث : شبه النسخ في المفصل .
ويكون في اللحم كالكسر في العظم . والوث : كسر اللحم

لاكسر العظم . الوثيء : المكسور اليد وقيل : هو وصم
بصيب اللحم ولا يبلغ العظم ، فيرم .

عتب - أعْتَبَ العظم : أعْيَتَ بعد الجبر : وهو التَّعْتَاب .
العْتَبَ ، بالتحريك : النقص ، وهو اذا لم يُحَسِّن جَبْرَهُ ،
وبقي فيه ورم لازم او عرج . ويقال في العظم المجبور :
أُعْتِبَ فهو مُعْتَب .

نكب - النَّكَبَ : شبه ميل في المشي .

عنت - عَنَتِ العظمُ عَنَتًا ، فهو عَنِيْتُ : وَهَى وانكسر .

حفلج - الْأَفْجَجَ : هو الذي في رجله اعوجاج .

خفج - الْخَفَجُ : عِيَجٌ في الرَّجُلِ . وخفج فلان اذا اشتكى ساقيه
من التعب .

عنج - الْعِنَاجُ : وجع الصُّلْبِ والمفاصل .

فجج - الْفَجَجُ في القدمين : تباعد ما بينهما ، وهو أَفْجَحَ من الفجج ،
وقيل : الْفَجَجُ في الانسان تباعد الركبتين .

وقيل : الْأَفْسَجُ وَالْفَسْجُكُ معاً المتباعد الفخذين الشديد
الفجج ، ومثله الْأَفْجَسِي . ورجل مُفْجِحُ الساقين : اذا تباعدت
أحدهما عن الأخرى .

فجج - الْفَجَجُ : تباعد ما بين اوساط الساقين في الانسان ، وقيل تباعد
ما بين الفخذين ، وقيل : تباعد ما بين الرجلين ، والنعت أَفْجَحُ
وَالْأَفْجَحُ فَجْجَاء . وَالْأَفْجَحُ : الذي في رجله اعوجاج .
ورجل أَفْجَحُ بَيْنَ الْفَجَجِ : وهو الذي تتداني صُدُورُ قدميه
وتتباعده عقباه وتتفجع ساقاه .

- كسح** — الكُساح : الزَّمانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين . والكَسَح : ثقل إحدى الرجلين اذا مشى جرَّها جرّاً . وقيل الأكسَح الاعرج والمقعّد أيضاً .
والكسح : داء يأخذ في الاوراك فتضعف له الرجل .
- مذح** — المذح : التواء في الفخذين اذا مشى انسحبت احدهما بالأخرى .
- زلخ** — الزَّلْخَة : بتشديد اللام : وجع يَعرِض في الظهر ، وقيل : هو داء يأخذ في الظهر والجنب ، ولا يتحرك الانسان من شدته .
- حيد** — كل ضلع شديدة الاعوجاج حَيْدٌ ، وكذلك من العظم .
- لهد** — اللَّهْد : داء يصيب الناس في أرجلهم وافخاذهم وهو كالانفراج وقيل : اللَّهْد : الصدمة الشديدة في الصدر .
- خزر** — الخُزْرَة : داء يأخذ في مُسْتَدَق الظهر بفقرة القطن .
- فقير** — رجل مفقور وفقير : مكسور الفقار . ورجل فقير : يشتكي فقاره .
- نخر** — نخر العظم ، فهو نخير اذا بلي ورَمَّ .
- فروس** — المفْرُوس : المكسور الظهر . والمفروس والمفزور والقريس الأَحْدَب والقِرْسَة الحَدْبَة ، بكسر الفاء وقيل القِرْسَة : قرحة تكون في الحَدْب . وقيل : أصابته قِرْسَة اذا زالت فقرة من فقار ظهره . وقيل : القِرْسَة : قرحة تكون في العنق فتفرسها اي تدقها . وقيل :
- القِرْسَة : ريح تأخذ في العنق فتفرسها .
- فقرس** — النُقُرس : داء معروف يأخذ في الرجل وقيل : يأخذ في المفاصل .

مشش - المشش: ورم يأخذ في مقدم عظم الوظيف او باطن الساق في إنسيته .

قبض - القَبْضُ : التَّشَجُّع .

هفَض - الهَضُّ والهَضَضُ : كسر دون الهدّ وفوق الرَض ، وقيل هو الكسْر عامة .

هيفض - الهيفض : الكسر بعد جُبور العظم وهو أشد ما يكون من الكسر ، وكذلك التُّكْسُ في المرض بعد الاندعال .

أدط - الأدط : المعوج الفلك .

قسط - القَسَطُ : طول الرُّجُل وسعتها . و : الرُّجُل القَسَطَاء في ساقها اعوجاج حتى تنحى القدمان وينضم الساقان ، والقسط خلاف الحَنَق ، وقيل : في رجله قسط ، وهو ان تكون الرُّجُل ملساء الاسفل كأنها مالح .

خلع - الخَلْع والخَلَع : زوال المفصل من اليد او الرُّجُل من غير بَيِّنَةٍ . ويقال : خُلِعَ الشَّيْخ اذا أصابه الخالع وهو التواء العرقوب .

فلدع - الفَلْدَع : عوج ومَيْل في المفاصل كلها خيلقة او داء . كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها لا يُسْتَطَاع بسطها معه ، وأكثر ما يكون في الرُّسْخ من اليد والقدم . و : الفَدَع : وهو المعوج الرسخ من اليد والرجل فيكون منقلب الكف او القدم الى إنسيها . والأفْدَع : الذي يمشي على ظهر قدمه .

وقيل : هو الذي أرتفع اخمص رجله ارتفاعاً لو وطئ صاحبها على عصفور ما آذاه ، وفي رجله قسط وهو ان تكون الرجل

ملساء كأنها مالج . وقيل : الفَدَع : ان تصطاك كعباه
وتباعد قدماه يميناً وشمالاً . الفَدَع ، بالتحريك : زيع بين القدم
وبين عظم الساق وكذلك في اليد . وهو ان تزول المفاصل عن
اماكنها .

كع - الكَتْع والكُنْع : قصر اليدين والرجلين من داء على هيئة
القطع والتَّعْقُف . والاكنع والكنيع : الذي تشنجت يده ،
والمكْنَعَة : اليد الشَّلَاء .

كوع - الكوع ، يُبْس في الرسغين واقبال إحدى اليدين على الأخرى .
هنع - الهنَع : نظامن والتواء في العنق ، وقيل : المنع تطامن العنق
من وسطها . والهناع : داء يصيب الانسان في عنقه .

صدف - الصَّدَف : عوج في اليدين . وقيل الصَّدَف : ميل في القدم ،
وقيل : هو اقبال احدى الرُكبتين على الأخرى .

كتف - الكُتَاف : وجع في الكتف . الكَتَف : عيب يكون في الكتف
والكتف : انفراج في اعالي كتف الانسان وغيره مما يلي
الكاهل . والكَتَف ، بالتحريك : نقصان في الكتف . وقيل :
هو ظَلَع يأخذ من وجع الكتف .

صكك - الصَّكَّك : اضطراب الرُكبتين والعرقوبين من الانسان وغيره .
والنعت رجل أصك . وقيل : في قدميه قَبِيل ثم حَتَف
ثم فَجَّح وفي ركبتيه صَكَّك وفي فخذه فجى .

فكك - الفَكَّ في اليد : دون الكسر . الفَكَّ : انفساخ القدم .
والفك : انفراج المنكب عن مفصله استرخاء وضعفا .
والأفك : الذي انفرج منكبه عن مفصله ضعفاً واسترخاء .

- أجل** — الإجلّ : وجع في العنق . و : الإجلّ والإدّل : وهو وجع العنق من تعادي الوساد .
- أدل** — الإدّل ، وجع يأخذ في العنق .
- بدل** — البدّل : وجع في اليدين والرجلين . وقيل : وجع المفاصل واليدين والرجلين ، بدّل ، بالكسر ، يتبدّل بدلاً فهو بدّل إذا وجميع يديه ورجليه .
- حرجل** — الحرجلة : العرج .
- حول** — رجل مُستَحال في طرفي ساقه أعوجاج .
- خزل** — الخُزلة والخَزَل : الكسرة في الظهر ، والأخزل : الذي في وسط ظهره كسرة وهو مخزول الظهر .
- خمل** — الخُمال : داء يأخذ في مفاصل الانسان وقوائم الخيل والشاء والابل تنظّل منه ، ويُداوى بقطع العيرق ، ولا يبرح حتى يُقطع منه عيرق أو يهلك . وقيل : هو العرج .
- زِيل** — الزَيْل ، بالتحريك : تباعد ما بين الفخذين كالْفَجح . ورجل أزيل الفخذين : مُنفرجهما مُتباعدهما .
- شلل** — الشَّلَل : يَبْسُ اليد وذهابها ، وقيل : هو فساد في اليد . الأَشَلّ : المعرج المعصم المتعطل الكف .
- فتجل** — الفَتَجلة : تباعد ما بين الساقين والقدمين . والتفجل من الرجال . الأفجح . ورجل فتجل : وهو المتباعد الفخذين الشديد الفجح .
- قبل** — القَبَل : فجح : وهو ان يتداني صدر القدمين ويتباعد عقباهما .

قزل — القزل ، بالتحريك : اسوأ العرج وأشدّه . وقيل : الأقزَل :
الاعرج الدقيق الساقين . لا يكون أقزَل حتى يجمع بين هاتين
الصفتين . وقيل : القَزَل : دِقَّةُ الساق وذهاب لحمها .

قفعل — الاقِفْعَلال : تَشْنُجُ الاصابع والكف من برد او مرض .

كربل — الكَرْبَلَة : رخاوة في القدمين .

خيم — الإخامة : ان يُصِيب الانسان او الدابة عَنَتٌ في رِجله ،
فلا يستطيع ان يُمَكِّنَ قَدَمه من الارض ، فَيُبقِي عليها .
يقال : انه ليخيم احدى رجليه .

درم — الدَّرَم : استواء الكعب وعظم الحاجب ونحوه اذا لم يَنْتَبِر
فهو ادْرَم . وقيل : الدَّرَم في الكعب ان يوازيه اللحم حتى
لا يكون له حجم . و : دَرِم الكعب والعرقوب والساق
درماً وهو ادْرَم : استوى .

عشم — العَشم : اساءة الجَبَر حتى يبقى منه أَوَد كهيئة المشمش .
وعشم العظم المكسور اذا انجبر على غير استواء ، وخص بعضهم في
جبر اليد على غير استواء . وقيل : العَشم في الكسر والجرح
تداني العظم حتى هَمَّ ان يجْبُر ولم يجبر كما ينبغي .
وقد عشم الجرح : وهو ان يكتب ويجلب ولم يبرأ بعد .

عسم — العَسَم : يُبْس في المرفق والرُغْص تعوج منه اليد والقدم .
والعَسَم : انتشار رسخ اليد من الانسان .

كدم — الكَدَم : تَمَشُّشُ العظم وتعرّقه .

الكُدَام : ريح يأخذ الانسان في بعض جسده ، فيسخنون
خرقة ثم يضعونها على المكان الذي يشتكى .

لَبَم - اللَّبَم : اختلاج الكتف .

لَبَن - اللَّبَن : وجع العنق من الوسادة ، وقيل : وجع العنق حتى
لا يقدر أن يلتفت ، وقيل : اللَّبَن : الذي اشكى عنقه من
وساد او غيره .

بَزَا - البزاء : انحناء الظهر عند العجز من أصل القطن ، وقيل :
هو اشراف وسط الظهر على الاست . وقيل : هو خروج الصلر
ودخول الظهر ، وقيل : هو ان يتأخر العجز ويخرج . . .
هو أبزى والاثني بزواء للذي خرج صدره ودخل ظهره .

رَثَا - الرثية ، بالفتح : وجع المفاصل واليدين والرجلين ، وقيل :
وجع وظلّاع في القوائم ، وقيل : هو كل ما منعك من الانبعاث
من وجع او كبير .

سَوَا - رجل سواء القدم اذا لم يكن لها أخمص .

فَجَا - الفجا : تباعد ما بين الفخذين ، وقيل : تباعد ما بين الركبتين
وتباعد ما بين الساقين . . . فهو أفجى والاثني فجواء .
وقيل : الفجا والفجح واحد .

ويقال بفلان فجاً شديداً اذا كان في رجله افتتاح .

قَطَا - القَطَطي : دام يأخذه في العجز .

٤ - امراض النساء والتوليد

اللفظ	المرض
نساء	— نُسِيتِ المرأةُ نُتُساً نُساً : تأخرَ حيضها عن وقته ، وبدأ حملها ، فهي نُسِيء ونسِيء .
رغث	— رُعِثَتِ المرأةُ تُرْعَثُ ، اذا شكت رغاءها .
فروث	— الفُرُوثُ : غثيان الجبلى .
نضج	— المُضْجَجَةُ : التي تأخرت ولادتها عن حين الولادة شهراً ، وهو أقوى للولد .
عقر	— العُقْرُ والعُقْرُ : العُقْمُ ، وهو استعقام الرحم ، وهو ان لا تحمل . . وهي عاقر . ولقد عَقُرَتْ ، بضم القاف: أشد أشد العُقْر . والعُقْرُ كل ماشر به الانسان فلم يولد له . العُقْرَة : خرزة تشدها المرأة على حقوبها لئلا تحبل . ونساء العرب خرزة يقال لها العُقْرَة يزعمن انها اذا علقّت على حقو المرأة لم تحمل اذا وطئت .
حس	— وقيل : العُقْرَة : خرزة تعلق على العاقر لتلد . — الحِسُّ : وجع يصيب المرأة بعد الولادة ، وقيل وجع الولادة عندما تحسها .
مصص	— المصَّوصة من النساء المهزولة من داء خامرها .
مخض	— المخاض : وجع الولادة وهو الطلق .
طلق	— الطَّلَقُ : طلق المخاض عند الولادة . والطلق وجع الولادة .
حدل	— الحُدَالُ : حيض السمر ، وتُسمِيه الدَّوْدِم .
مصل	— المصل من النساء : التي تلقي ولدها مضغة .

عقم — العقم والعقم ، بالفتح والضم : هزيمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد .

وحم — وحيت المرأة توحم وحماً اذا اشتبهت شيئاً على حملها وهي تحم . والاسم الوحام والوحام ، وليس الوحام الا في شهوة الحبل خاصة . الوحم : شدة شهوة الحبل لشيء تأكله .

قرن — القرناء من النساء التي في فرجها مانع يمنع من سلوك الذكر فيه ، اما غدة غليظة او لحم مرتفعة او عظم ، يقال لذلك كله القرن . القرن ، يسكون الراء شيء يكون في فرج المرأة كالسن يمنع من الوطء ، ويقال له العفلة .

رأي — الترية والتثرية ، الاخيرة نادرة : ما تراه المرأة من صفرة او بياض او دم قليل عند الحيض .

وقيل : هو ما تراه من بقية محيضها من صفرة او بياض .
وقيل : في بقية حيض المرأة أقل من الصفرة والكدره وأخضر ، تراها المرأة عند طهرها لتعلم انها قد طهرت من حيضها . قيل ولا تكون الترية الا بعد الاغتسال ، فاما ما كان في ايام الحيض فليس بترية وهو حيض . وقيل: الترية الشيء الخفي اليسير من الصفرة والكدره تراها بعد الاغتسال من الحيض . وقيل : الماء الاصفر الذي يكون عند انقطاع الحيض . وقيل: هي البياض الذي تراه عند الطهر .

ذنى — الذنء ، المرأة لا ينقطع حيضها ، والمرأة ذنء من ذلك .

٥ - الامراض الجلدية والتناسلية والعقم

اللفظ	المرض
زنا	— الزَّنا : الحاقن لبوله .
شكا	— الشُّكاء ، بالقصر والمد : التفسر بين اللحم والاطفار ، شبيه بالتشق ، مهورز مقصور . وفي أظفاره شكاً اذا تشقت أظفاره .
كما	— كَمِثَ رِجْلُهُ : تشقت .
لعلب	— داء اللَّعْلَب ، علة معروفة يتأثر منها الشعر .
جرب	— الجَرْب ، معروف ، بثر يعلو أبدان الناس والابل .
جلب	— الجُلْبَة : القشرة التي تعلق الجرح عند البرء . قيل : قُرْحة . مُجْلَبَة وجالية وقروح جوالب وجُلْب .
حسب	— الأَحْسَب : الذي أبيضت جلده من داء ، ففسدت شفرته ، فصار أحمر وأبيض ، يكون ذلك في الناس والابل . وقيل : هو الابرس . وقيل : الأَحْسَب من الناس : الذي في رأسه شقرة .
عزب	— العَزَب : تهيج في الجلد ، كهيئة ورم من غير ألم .
ضب	— الضَّب : داء يأخذ في الشفة ، فترم ، أو تَجَسَّأ ، أو تسيل دماً ، ويقال تجسأ بمعنى تيس وتصلب . وضبت شفته تضب ضَبّاً وضبواً : سال منها الدم ، وانحلب ريقها ، وقيل الضب دون السيلان الشديد . وضبت لثمة تضب ضباً : انحلت ريقها .
غضب	— الغَضاب : الجدري ، وقيل هو داء آخر يخرج وليس بالجدري .

- قوب** - القُوبَاء : الذي يظهر في الجسد ويخرج عليه ، وهو داء معروف يتفشّر ويتسع ، يعالج ويُداوى بالرّيق .
- كعنب** - كعائب الرأس : عَجَزٌ تكون فيه . . . ورجل كعَب ، ذو كعائب في رأسه .
- نلب** - النَّدْبَة : أثر الجُرْح إذا لم يرتفع عن الجلد .
- نقب** - النَّقَبُ والنَّقَب : القِطْعُ المتفرقة من الجرب ، الواحدة نَقْبَة ، وقيل النَّقَبُ الجَرَبُ عامة .
- غث** - غَثِيثَةُ الجُرْح ، مدته ، وقبحه ، ولحمه الميت .
- حج** - الحَوْبَجَة : ورم يصيب الانسان في يديه .
- حجج** - الحُجُجُج : الجراح المَسْبُورَة : وقيل حَجَجَها غَسَّها .
- عرج** - العُرْجاء : ورم يخرج بالبدن من ذاته ، والجمع أُخْرِجَة .
- شنج** - الشَّنَج : تَقْبِضُ الجلد والاصابع وغيرهما . يد شنجة : ضيقة الكف . الأَشَنَج : الذي احدى خصيتيه أصغر من الأخرى كالأشرج . والراء أعلى . والمشنج أشد تشنجاً .
- كسج** - الكوسج : الذي لاشعر على عارضيه .
- جلج** - الجَلَجُجُ : ذهاب الشعر من مقدم الرأس ، وقيل : هو إذا زاد قليلاً عن التَّرَعَة . والجَلَجُجُج : فوق التَّرَع ، وهو انحصار الشعر عن جانبي الرأس ، وأوله التزع ثم الجلج ثم الصلع . وقيل : إذا انحسر الشعر عن جانبي الجبهة فهو أنزع ، فإذا زاد قليلاً فهو أَجْلَجُج ، فإذا بلغ النصف ونحوه ، فهو أَجْلَى . ثم هو أَجْلَه .

- ذبح** - الذَّبَّاحُ : شَمَقٌ فِي أَصُولِ أَصَابِعِ الرَّجُلِ مِمَّا يَلِي الصَّامِرَ ،
وَأَسْمَ ذَلِكَ الدَّاءُ الذَّبَّاحُ ، وَقِيلَ الذَّبَّاحُ بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ .
الذَّبَّاحُ : تَحَزُّزٌ وَتَشَقُّقٌ بَيْنَ أَصَابِعِ الصَّبِيَّانِ مِنَ التَّرَابِ .
- سرح** - السَّرْحُ وَالسَّرِيحُ إِدْرَارُ الْبَوْلِ بَعْدَ احْتِسَابِهِ .
- فلح** - الْفَلَحُ : شَقٌّ فِي الشِّفَةِ السُّفْلَى ، وَأَسْمَ ذَلِكَ الشَّقُّ الْفَلْحَةُ .
وَقِيلَ الْفَلْحُ شَقٌّ فِي الشِّفَةِ فِي وَسْطِهَا دُونَ الْعَلَمِ . وَقِيلَ : هُوَ
تَشَقُّقٌ فِي الشِّفَةِ وَضَخْمٌ وَاسْتِرْخَاءٌ كَمَا يُصِيبُ الرُّنَجَ . وَقِيلَ :
الْفَلْحُ الشَّقُّ فِي الشِّفَةِ السُّفْلَى فَإِذَا كَانَ فِي الْعُلْيَا فَهُوَ عَالَمٌ .
- قرح** - الْقَرْحَةُ : وَاحِدَةُ الْقَرْحِ وَالْقُرُوحِ . وَالْقَرْحُ : الْبُشْرُ إِذَا
تَرَامَى إِلَى فُسَادٍ . وَالْقَرْحُ : الْجَدْرِي .
- قيح** - الْقَيْحُ : الْمِدَّةُ الْخَالِصَةُ لَا يَخَالِطُهَا دَمٌ ، وَقِيلَ هُوَ الصَّدِيدُ
الَّذِي كَأَنَّهُ الْمَاءُ وَفِيهِ شُكْلَةٌ دَمٌ .
- كدح** - تَكَدَّحَ الْجِلْدُ : تَخَدَّشَ . وَقِيلَ : الْكَدُّوحُ آثَارُ الْخَدُوشِ
وَكُلُّ أَثَرٍ مِنْ خَدَشٍ أَوْ عَضٍّ فَهُوَ كَدَحٌ وَقِيلَ الْكَدَّحُ أَكْبَرُ
الْخَدَشِ .
- نبخ** - النَّبْخُ : مَا نَفَظَ مِنَ الْيَدِ عَنِ الْعَمَلِ فَخَرَجَ عَلَيْهِ شِبْهُ قَرَحٍ
يُمْتَلِئُ مَاءً ، فَإِذَا تَفَقَّأَ أَوْ بَيَسَ مَجَلَّتِ الْيَدُ فَصَلَبَتْ عَلَى الْعَمَلِ ،
وَكَذَلِكَ مِنَ الْجَدْرِيِّ ، وَقِيلَ هُوَ الْجَدْرِي .
وَقِيلَ : النَّبْخُ الْجَدْرِيُّ وَكُلُّ مَا يَتَنَفَّظُ وَيُمْتَلِئُ مَاءً .
- ثرد** - الثَّرْدُ ، بِالتَّحْرِيكِ : تَشَقُّقٌ فِي الشِّفَتَيْنِ .
- أدر** - الْأُدْرَةُ ، بِالضَّمِّ : نَفْخَةٌ فِي الْخَصِيَّةِ ، وَقِيلَ : الْأَدَرُ
وَالْمَأْدُورُ : الَّذِي يَنْفَتِقُ صِفَاقُهُ فَيَقَعُ قُصْبُهُ وَلَا يَنْفَتِقُ

إلا من جانبه الأيسر ، وقبل هو الذي يصيه فتق في إحدى الخصيتين ، ولا يقال امرأة أدراء ، أما لأنه لم يسمع وأما يكون لاختلاف الخلقه .

بشر - البشر والبشر والبثور ، خراج صغار ، وخص بعضهم به الوجه واحده بشرة وبشرة . وقيل : البثور مثل الجدري يقيح على الوجه وغيره من بدن الانسان .

بسر - الباسور ، كالتناسور : داء معروف ويجمع البواسير ، هي علة تحدث في المقعدة وفي داخل الانف أيضاً .

بظر - رجل أبظر : في شفته العليا طول مع نتوء في وسطها ، وهي الحشرة مالم تطل ، فاذا طالت قليلاً فالرجل حيثئذ أبظر .

ثور - الثور : ثوران الحصبة . وثارت الحصبة بفلان انتشرت .

جلد - الجُدري بضم الجيم وفتح الدال ويفتحها لغتان : قروح في البدن تنفض عن الجلد ممتلئة ماء وتضيح .

والجُدَر والجُدَر : سيلع تكون في اليد خلقة وقد تكون من الضرب والجراحات ، واحدها جُدرة وجُدرة وهي الأجدار وقيل : الجُدَر اذا ارتفعت عن الجلد واذا لم ترتفع فهي ندب والجُدَر : ورم يأخذ في الحلق .

حمر - الحُمرة : داء يعترى الناس فيحمر موضعها ، وتغالب بالرُقبة . وقيل : الحُمرة من جنس الطواعين .

خنزور - الخنازير : علة معروفة ، وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة .

- غبر** — الغَبَرُ : أن يبرأ ظاهر الجرح وباطنه دَوٍ . وقيل : الغَبَرُ فساد الجرح أنى كان .
- غور** — استغارت الجرحة والقَرْحَةُ : تورمت .
- فزر** — الفِزْرُ : هنة كَتَبَتْهُ تخرج في مَغْرَزِ الفخذ دَوَيْنَ منتهى العانة كغدة من قرحة تخرج بالرجل او جراحه .
- فطر** — الثَّقَاطِيرُ والنَّفَاطِيرُ ، بشر تخرج في وجه الغلام والجارية . واحللتها نُفُطُور .
- معر** — المَعْرُ ، سقوط الشعر ، معرت الناصية معراً وهي مَعْرَاءُ : ذهب شعرها كله حتى لم يبق منه شيء — وتَمَعَّرَ شعره : تساقط . وقيل : الزَمِيرُ والمَعِرُ : القليل الشعر .
- نبر** — النبرة : الورم في الجسد ، وقد انتبر . وانتبر الجرح : ارتفع وورم . وانتبرت يده اي نفضت .
- نسر** — النَّاسُورُ : الفاذُ . النَّاسُورُ ، بالسين والصاد عِرْقٌ غَبِرٌ ، وهو عرق في باطنه فساد فكلما برا اعلاه رجع غبراً فاسداً . ويقال أصابه غبر في عرقه . وقيل الناسور : العرق الذي لا ينقطع وقيل : الناسور بالسين والصاد : علة تحدث في مآقي العين فلا ينقطع ، وقد يحدث ايضاً حوالي المفعدة وفي اللثة .
- دحس** — الدَّاحِسُ : قَرْحَةٌ تخرج باليد .
- سلس** — سَلَسٌ بول الرجل اذا لم يتهيأ له ان يسكه .
- وقس** — الوَقْسُ : الجَرَبُ وقيل هو اول الجَرَبِ ، قبل انتشاره في البدن

- كنفش** --- الكنفش : ورم في أصل اللّحمي ويسمى الحاز باز .
- برص** --- البرص : داء معروف وهو يياض في الجسد ، برص برصاً والالئي برصاء ، ورجل أبرص .
- حصص** --- الحاصّة : الداء الذي يتناثر منه الشعر ، والحاصة : هي العلة التي تحص الشعر وتذهب .
- نفض** --- نَفَضَ الجلدُ نَتُوضاً : خرج عليه داء كآثار القُوباء ثم تَقَشَّرَ طرائق .
- هرص** --- الهرّص : الحصف الذي يظهر على الجلد .
- أرط** --- الأريط : العاقر من الرجال .
- ثعط** --- ثعطت شفته : ورمت وتشققت .
- حطط** --- الحطاطة : بثرة تخرج بالوجه صغيرة تُفَيح ولا تُفْرَح ، والجمع حَطَاط . وقيل الحطاط بالفتح : مثل البشر في باطن الجوف .
- مشظ** --- المشظ : المشق وهو تشقق في أصول الفخذين .
- بشع** --- بشعت لثة الرجل تبشع بُشوعاً اذا خرجت وارتفعت حتى كأن بها ورماً ، وذلك عيب . البشع : ظهور الدم في الشفتين - وغيرهما من الجسد ، وهو البشع بالغين في الجسد . قيل البشع لغيره .
- زلع** --- زلعت الكف والقدم تَزْلَعُ زَلْعاً وتَزْلَعُ : تشققنا من ظاهر وباطن ، وهو الزَّلْع ، وقيل : الزَّلْع تشقق ظاهرهما فاما اذا كان في باطنها فهو الكلع ، وهي الزَّلوع . الزَّلعة : مراحة فاسدة .

سلع - السَّلْع : البرص ، والأسَّلْع : الابرص . السَّلْع : الشق يكون في الجلد . السَّلْعَة ، بالقنح : الشجّة في الرأس ما كانت . ما كانت رجل أسَّلَع : أحذب .

صقع -- الصَّقَع : القزح في الرأس ، وقيل : ذهاب الشعر .

صلع - الصَّلَع : ذهاب الشعر من مقدم الرأس الى مؤخره ، وكذلك إن ذهب وسطه ، صَلِيع يَصْلَع صلعاً ، وهو أصلع بَيْن الصلوع ، وهو الذي انحسر شعر مقدم رأسه . والصلعة والصلعة: موضع الصلوع من الرأس ، وكذلك النزعة والكشفة والجلحة .

قرع -- القَرَع : قرع الرأس وهو ان يصلع فلا يبقى على رأسه شعر ، وقيل هو ذهاب الشعر من داء . والقَرَعَة : موضع القَرَع من الرأس .

كلع -- الكلَع : شقاق ووسخ يكون بالقدمين .

وقع - الوقيع : الذي يشتكي رجله من الحجارة .

حصف -- الحَصَف : بثر صغار يقيح ولا يعظم وربما خرج من مراق البطن ايام الحر . وقيل : الحَصَف : الجرب اليابس .

حفف - الأحيفة : ما بقي حول الصلعة من الشعر ، الواحد حفاف . يقال بقي من شعره حفاف ، وذلك اذا صلع فبقيت طرة من شعره حول رأسه .

سأف -- سَافَت يده سَافاً ، فهي سَافَة وسَافَت سَافاً : تشقق ما حول أظفاره وتشعّت . وقيل : هو تشقق في أنفس الاطفال ، وسَافَت شفته : تقشّرت .

سَعَف - السَّعْفَة والسَّعْفَة : قروح في رأس الصبي ، وقيل : هي قروح تخرج بالرأس ولم يخص به رأس صبي ولا غيره . قيل : هو داء يخرج بالرأس ... ، وقد سَعِفَ فهو مَسْعُوفٌ . وقيل : السعفة يقال لها داء الثعلب تورث القرع . والسَّعْفُ والسَّعَافُ : شقاق حول الظفر وتقرح وتشتت .

شَاف - الشَّافَة : قُرْحَة تخرج في القدم ، وقيل أسفل القدم ، وقيل هو ورم يخرج في اليد والقدم من عود يدخل في البخسة أو باطن الكف فيبقى في جوفها فيرم الموضع ويعظم . ويقال شفت رجله شأفاً مثل تعيب تعياً : إذا خرجت بها الشَّافَة فيكوى ذلك الداء فيذهب . وقيل : شَكِيفَ يده شأفاً شَعِثَ ما حول اظفارها وتشقق . وقيل : هو تشقق يكون في الاظفار . واستشافت القرحة : خبثت وعظمت وصار لها أصل . وقيل : شُفِتْ أصابعه وسُفِيتْ وسَعِيفَتْ بمعنى واحد ، وهو التشعث حول الاظفار والشقاق .

عرف - العَرُفَة : قُرْحَة تخرج في بياض الكف . وقد عُرِفَ وهو معرُوف : أصابته العَرُفَة .

كلف - الكلف : شئ يعلو الوجه كالسَّسَم والكلف والكُلْفَة : حُمرة كدرة تعلو الوجه ، وقيل : لون بين السواد والخمرة . وقيل هو سواد يكون في الوجه ، وقد كلف ويقال للبهق الكلف .

بهق - البَهَقُ : بياض دون البرص . وقيل : البَهَقُ : بياض يعتري الجلد بخلاف لونه ليس من البرص .

حمق - الحُمَاق والحَمَاق والخُمَيْقَاء : مثل الجذري الذي يصيب الأنسان ينفرق في الجلد . وقيل : هو شئ يخرج بالصبيان وقد حُمِيقَ .

وقيل : الحُمَاق مثل السُّعال : كالجُدري يصيب الانسان ،
ويقال منه رجل محموق .

خوق — الخَوَقُ : الجَرَبُ .

شقق — الشَّقَاق : تشقق الجلد وهو من الادواء كالسعال والزكام
والسَّلاَف . والشَّقَاق تشقق الجلد من بَرْد او غيره
في اليدين والوجه . وقيل : الشَّقَاق في اليد والرجل من بدن
الانسان والحيوان .

مرق — مَرَق شعره وتمَرَق وامَرَق اذا انتثر وتساقط من مرض او
غيره .

حكك — الحِكَّة ، بالكسر : الجَرَبُ .

حقل — حَقُول الرجل : عجز عن امرأته عند العُرُس .
والْحَقْوَل : الشيخ اذا فتر عن النكاح . وقيل : الحَقْوَل :
للذي لا يقدر على مجامعة النساء من الكِبَر والضعف .

دمل — الدَّمْل : واحد دَمَامِيل القروح . والدَّمْلُ : الخُرَاج .

غلل — الغَلَل : داء في الإحليل مثل الرَّفَق .

قيل — القَيْلَة ، بالكسر : الأُدْرَة ، وهو انتفاخ الخصية .

نمل — النَّمْلَة : شيء في الجسد كالقشر وجعلها نَمْلًا ، وقيل :
النَّمْل والنَّمْلَة : قروح في الجنب وغيره . وقيل النَّمْلَة :
بشر يخرج بجسد الانسان . قيل : النمل بشور صغار
مع ورم يسير ثم يتقرح ويتسع ويسمى الاطباء : الذباب .

هدل — الْهَدْلُ : استرخاء جلدة الخصية .

- ذمم** — الذَّمِيم : شيء كالبشر الأسود أو الأحمر شُبّه ببيض النمل يعلو الوجوه والانوف من حرّ أو جرب . الواحدة ذميمة وقيل : الذَّمِيم الذي يخرج على الأنف من القشَف وقد ذَمَّ أنفه وذَنَّ .
- موم** — المُوَم : الحمى مع البرسام ، وقيل : الموم البرسام . المُوَم : الجدري الكثير المتركب . وقيل : الموم أشد الجدري . وقيل : هو بثر أصغر من الجدري .
- ورم** — الوَرَم : أخذُ الاورام التواء والانتفاخ وقد وَرِم جلده .
- حضم** — الحُضمان : ان تكون إحدى الخصيتين اعظم من الأخرى ورجل حضون اذا كان كذلك . والحضون من الفروج : الذي أحد شفره اعظم من الآخر .
- شنن** — الشَّنَن ، التشنج واليبس في جلد الانسان عند الهرم .
- عنن** — العِنْن : الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن بين العانة والعينية .
- فنن** — الفَنين : ورم في الابط ووجع .
- مثن** — المعثون الذي يشتكي مثانته ، وهي العضو الذي يجتمع فيه البول داخل الجوف ، يقال منه : رجل مثن وممثن ، فاذا كان لا يسك بوله فهو أمثن ؛ وقيل المثن : وجع المثانة وهو أيضاً ان لا يستمسك البول فيها والمثن ، الذي يحبس بوله . المثاء ، بالمد ، المرأة اذا اشتكت مثانها .
- أوه** — الآه : الحصى ، الماهة : الجدري .
- جله** — الجَلّة : أشد من الجلع ، وهو ذهاب الشعر من مُقدم الجبين . وقيل : النزاع ثم الجلع ثم الجلا ثم الجَلّة . والانزع الذي

الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته ، فإذا زاد قليلا فهو اجلح .
فإذا بلغ النصف ونحوه فهو أجلى ، ثم هو أجله .
وقيل : الجكة انحسار الشعر عن مُقدم الرأس وهو ابتداء
الضلع مثل الجلع .

جلا - الجلا ، بالقصر ، انحسار مقدم الشعر ، وقيل : هو دون
الضلع ، وقيل هو أن يبلغ انحسار الشعر نصف الرأس ، وقد
جلى جلا وهو أجلى .
الأجلى ، الخفيف شعر ما بين الترعين من الصدغين والذي
انحسر الشعر عن جبهته . المجالي : مقادير الرأس ، وهي
مواضع الصلع .

جمي - الجمّا والجَمّا : نتوء وورم في البدن .

حلا - الحلى : بثر يخرج بأغواه الصبيان .

ضرا - الضرو من الجذام : اللطخ منه .

٦ - الامراض النفسية والعقلية

اللفظ المرض

جلعب - المُجَلِّيب ، المصروع إما ميتا وإما صَرَعا شديداً .

لوث - اللؤثة : مس جنون .

سعر - السُعْر والسُعْر ، الجنون ، قيل : السُعْبَرُ تصغير السُعْرَة ،
وهي السعال الحاد .

سلس - رجل مسلوس في عقله فإذا أصابه ذلك في بدنه فهو مهشوس .

فردس - الفردسة : الصرع القبيح .

- كيس — الكابوس : يقال هو مقدمة الصرع .
- هوس — الهوس ، بالتحريك : طرف من الجنون .
- طيش — الطيش ، خفة العقل ، وقيل : التزق والخفة .
وطيش العقل ذهابه حتى يجهل صاحبه ما يحاول .
- أرض — المأروض ، الذي به خبيل من الجن من اهل الارض ، وهو الذي يحرك رأسه وجسده على غير عمد .
- خبط — الخباط ، بالضم : داء كالجنون وليس به .
- خلط — اختلط فلان أي فسد عقله ، الخياط : فخالطة الداء الجوف .
- خلع — الخلاع والخيلع والخولع : كالخيل والجنون يصيب الانسان ، وقيل : هو فزع يلقى في الفؤاد يكاد يعترى منه الوساوس ، وقيل الضعف والفزع المخلع : الذي كأن به هسه أو مساً .
- صرع — الصرع : علة معروفة والصريع : المجنون .
- خرف — الخرف ، بالتحريك : فساد العقل من الكبير .
- سخف — السخف ، بالضم : رقة العقل ، وقيل : هي الخفة التي تعترى الانسان اذا جاع من السخف ، وهي الخفة في العقل .
- نطف — النطف : علة يكوى منها الرجل ، ورجل نطف : به ذلك الداء .
- أرق — الأرق : ذهاب النوم بالليل ، وقيل : ذهاب النوم لعله .
- ألقي — الألق والألاق والأولق : الجنون .
- رهق — الرهق : جهل في الانسان وخفة في عقله .

- شق** - الشَّقِيقة : داء يأخذ في نصف الرأس والوجه .
 وقيل : صُدَاع يأخذ في نصف الرأس والوجه .
- خبل** - الخَبْل ، بالتسكين : الفساد . وقيل : الخَبْل : فساد
 الاعضاء حتى لا يدري كيف يشي فهو مُتَخَبِّل خَبِل
 مُتَخَبِّل . الخَبْلَة : الفساد من جراحه .
- بيم** - التَّيْم : ذهاب العقل وفساده .
- حن** - المَحْنُون : الذي يُصْرَع ثم يُفَقِّ زماناً .
- عن** - ويقال للمجنون : مَعْنُون ومَهْرُوع ومَخْفُوع ومعنوه ومعنوه
 ومُمتنه اذا كان مجنوناً .
- سبه** - السَّبَّة : ذهاب العقل من الطَّرَم . السَّبَاه : سَكَنَة تأخذ
 الانسان يذهب منها عقله وهو مَسْبُوه .
 قيل : السَّبَاه ، بضم السين : الذاهب العقل .

٧ - الامراض الخلقية

- | اللفظ | المرض |
|-------------|---|
| فأفأ | - الفَأْفَاة : حُبْسَة في اللسان وغَلَبَة الفاء على الكلام . |
| فقأ | - الفَقْأُ : خروج الصدر . |
| حدب | - الحَدَبُ التي في الظهر ، والحَدَبُ خروج الظهر ، ودخول
البطن والصدر . رجل آحَدَب وحَدَب . الفَقْعَس : دخول
الظهر وخروج الصدر . |
| خنب | - خَنَب الرَّجُل ، عرج . |
| عكب | - العَكَب : تداني أصابع الرجل بعضها الى بعض والعَكَب :
غلظ في لَحْي الانسان وثفته . |

- غصب** - الغصبة : بخصة تكون في الجفن الاعلى خِلقة
- قضب** - القضب : الانف المَعْوَج . والقَعْنَبَة : اعوجاج في الانف .
- دث** - الدثائية : التواء في اللسان .
- ديث** - الدثائة : التواء في اللسان .
- لوث** - الألوث : البطيء الكلام ، الكليل اللسان .
- ثبح** - رجل أثْبَج : أحذب والأثْبَج أيضاً : النائي الصدر ، وفيه ثَبَج وثَبَجَة - ورجل مُثْبَج : مضطرب الخلق مع طول .
- عرج** - العَرَج والعُرْجَة : الفلج والعُرْجَة أيضاً : موضع العَرَج من الرجل .
- فلج** - الفلج ، الفلج في الساقين . والفلج : تباعد القدمين أخراً . والأفلج أيضاً من الرجال : البعيد مابين الثديين . والفلج أيضاً : انقلاب القدم على الوحشي وزوال الكعب . وقيل : الأفلج الذي اعوجاجه في يديه ، فان كان في رجله ، فهو أمْجَح .
- لجج** - اللجاجة : ثقل اللسان ونقص الكلام ، وأن لا يخرج بعضه في في أثر بعض .
- روح** - الرُّوح : اتساع مابين الفضطين او سعة في الرجلين ، وهو دون الفحج ، الا أن الأرواح تتباعد صدور قدميه وتنداني عقباه . والرُّوح : انقلاب القدم على وحشيها ، وقيل : هو انبساط في صدر القدم و : في رجله رُوح ثم قدح ثم عقَل وهو أشدله .
- صلح** - المصْلَح من الرؤوس الذي ضُغِط من قِبَل صُدْغِيْهِ فطال مابين

تقلص العليا فيكون الكلام بالسفلى واطراف الثنايا العليا .
ورجل أجتع : لانتضم شفتاه على أسنانه . وقيل : هو المنقلب
الشفة .

لطح - اللَّطْعُ : تَقَشَّرُ في الشفة وحمرة تعلوها ، واللَّطْعُ أيضاً : رقة
الشفة وقلة لحمها ، وهي شفة لَطْعَاء . ولثة لطاء : قليلة
اللحم . وقيل : اللطح رقة في شفة الرجل الألتطح .

حنف - الحنف في القدمين : اقبال كل واحدة منها على الأخرى
بابهامها ، وقيل : هو ميل كل واحدة من الإبهامين على
صاحبتهما حتى يرى شخص أصلها خارجاً ، وقيل : هو انقلاب
القدم حتى يصير بطنها ظهرها ، وقيل : مَيْلٌ في صدر القدم .
وقيل : الحنف : هو الذي يمشي على ظهر قدمه من شفتها
الذي يلي خنصرها . والحنف : لاعوجاج في الرجل ،
وهو الرجل وهو ان تُقبِلَ بإحدى إبهامي رجله على
الأخرى . وقيل : الحنف ان تُقبِلَ إبهام الرجل اليمنى على
اخذتها اليسرى وان تقبل الأخرى إليها اقبالاً شديداً .

حدل - الأحْدَلُ : ذو الخصية الواحدة . وقيل : الأحْدَلُ : الذي
في منكبيه ورقبته انكباب وإقبال على صدره وقيل : في عنقه
حدل أو مَيْلٌ وفي منكبيه دفأً وقيل : الحدل إشراف
العاتقين على الآخر وهو أحدل : قيسل : هو المائل العنق
من خلفه أو وجع لايمكك ان يُقِيمَة .

قع - القَعُولُ في المشي : اقبال القدم كلها على الأخرى وقيل :
هو تباعد ما بين الكعيين وإقبال كل واحدة من القدمين
بجماعتهما على الأخرى . وقيل القَعُولُ : ان يمشي كأنه

يَعْرِفُ التراب بقدميه . وقَعُولَة اذا مشى مشية من يخني
التراب باحدى قدميه على الأخرى لِقَبْلَ فيهما . والقَسْجَلَة
مثل القَعُولَة .

بكم — البكم : الخرس مع عِيٍّ وَكَلَةٍ ، وقيل هو الخرس ما كان .
وقيل : البكم ان يولد الانسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر .
وقيل : بَتَيْنُ الخرس والأبكم فرق في كلام العرب فالأخرس
الذي غُلِقَ و نُطِقَ له كالبهيمة العجماء ، والأبكم الذي
لسانه نُطِقَ . وهو يعقل الجواب ولا يُحِيس وجه الكلام .
والبكم وهو الذي خُلِقَ أخرس .

عظم — أذن عذيمة : مقطوعة .

عرم — الأعرم : المذبوب الأذن .

ضجم — الضَّجَم : عوج في الأنف بميل الى أحد شِقَيْهِ ، وقيل الضَّجَم :
ان يميل الأنف الى أحد جانبي الوجه والضَّجَم أيضاً : اعوجاج
أحد المنكبين ، والمتضاجم : المعوج القم . والضَّجَم : عوج
في القم وميل في الشدق ، وقد يكون عوجاً في الشفة والذمن والعنق
الى أحد شِقَيْهِ .

علم — الأعْدَم : الأبرش ، والائثى عَرَماء ، ويقال للابرص :
الاعرَم والأيتقع . رجل اعرَم أخلق : لم يخن فكأن وسخ
القلفة باق هنالك .

عخن — الخُشْخَنَة . أن لا يبين الكلام فيختنن في خياشمه .

تهته — التَّهْتَهَة : التواء في اللسان مثل اللكنة .

٨ - امراض العيون

- اللفظ المرض**
- ظَبْظَب** - الضَّبْضَاب : البثرة في جفن العين ، تدعى الجُدْجُدُ ، وقيل : هو بثر يخرج بالعين . وقيل : الضَّبْظَاب : البثرة التي تخرج في وجوه الملاح . والاصل في الضَّبْظَاب بثر يخرج بين اشفار العين ، وهو القَمَح ، يداوى بالزعران . وقيل مابه ضَبْطَاب اي مابه عيب .
- عسب** - العُسْقَبَة : جمود العين في وقت البكاء .
- غرب** - الغَرْبُ : بثرة تكون في العين ، تُغْدَى ولا تَرْفَأُ ، وغربت العين غرباً : ورم مأقها ، وبعينه غرب اذا كانت تسيل فلا تنقطع دموعها عين مُغْرَبَة : زرقاء ، يبيض الاشفار والمحاجر ، فاذا ابيضت وغضبت الحدقة ، فهو أشد الاغراب .
- غضب** - غضبت عينه وغضت : ورم ماحولها . وغضب بَصَر فلان اذا انتفخ من داء يصيبه يقال له الغضاب و الغضاب .
- نقب** - نقب العين هو الذي تسميه الاطباء القَدْحُ ، وهو معالجة الماء الاسود الذي يحدث في العين . والنَّقْبُ . القطع المنفردة من الجرب ، الواحدة نُقْبَة ، وقيل هي أول ما يبدو من الجرب .
- نكت** - النُّكْتَة : شبه وقررة في العين .
- وكت** - الوَكْتَة : شبه النقطة في العين ، وقيل : الوكته في العين نقطة حمراء في بياضها ، قيل : فان غُمِلَ عنها صارت ودقة ، وقيل : هي نقطة يبيض في سوادها وعين مَوَكُوتَة : فيها وكته ، اذا كان في سوادها نُقْطَة بياض . والوَكْتَة : كالنقطة في في الشيء يقال : في عينه وكته .

- لجج** - اللَّجَجُ . من بثور العين شبه اللّخص إلا أنه من تحت ومن فوق .
- قدح** - قدَحَت العين إذا أخرجت منها نساء الفاسد وقدحت عينه غارت عينه وقدحت مُقدَّحة .
- لح** - اللَّحْح في العين : صُلاق بصيها والتصاق ، وقيل : هو الترامها من وجع أو رمص . وقيل : هو لزوق أجفانها لكثرة الدموع . ولحت عينه كلخت : كثرة دموعها وغلظت أجفانها .
- جمد** - رجل جامد العين ، قليل الدمع . وظلت العين جمادى أي جامدة لا تدمع .
- رمد** - الرَّمَد : وجع العين وانتفاخها ، وهو أَرَمَدَ ورمد والآنثى رمداء وعين رمداء ورمدة .
- سجد** - الأسجد ، فتور الطرف ، وعين ساجدة إذا كانت فائرة .
- جهر** - العين الجَهْرَاء ، كالجاحظة ، ورجل أَجْهَر وامرأة جَهْرَاء . والأجْهَر من الرجال : الذي لا يبصر في الشمس . وقيل الأجهر بالنهار والاعشى بالليل . والجَهْرَةُ : الحَوَكَةُ ، والأجْهَر : الآحْوَل .
- حشر** - الحشرة : انسلاق العين وتصغيرها حثيرة . وقيل : الحشَر الحشر خشونة يجعلها الرجل في عينه من الرمص . وقيل : هو ان يخرج فيها حب أحمر ، وهو بشر يخرج في الاجفان ، وقد حشرت عينه تحشُر .
- حدو** - الحَدْرَةُ : العين الواسعة الجاحظة . والحَدْرَةُ : جِرْمُ قَرْحَةٍ

تخرج بجفن العين ، وقيل بإطن العين فترم وتغلظ . والحدّر :
الورم .

حصر - بصر حسير : كليل .

خزر - الخزّر ، بالتحريك : كسر العين بصرها خِلقة . وقيل : هو
ضيق العين وصغرها ، وقيل : هو النظر الذي كأنه في
أحد الشقين . وقيل هو ان يفتح عينه ويغمضها ، وقيل :
الخزر هو حَوَل إحدى العينين ، والأحوَل : الذي حَوَلَتْ
عيناه جميعاً . وقيل : الأخزّر : الذي أقبلت حدقتاه الى
أنفه ، والأحوَل : الذي ارتفعت حدقتاه الى حاجبيه ، ويقال :
هو ان يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخرها . والخزرة : انقلاب
الحدقة نحو الأَحَاط ، وهو أقبح الحول .

خضّر - الأخضر : داء يأخذ العين .

سمدر - السّمدير : ضعف البصر ، وقد اسمدّر بصره ، وقيل :
هو الشيء الذي يترأى للانسان من ضعف بصره عند السكر من
الشراب وغشي النعاس والدّوّار .

شتر - الشتر : انقلاب في جفن العين قلما يكون خلقة . وقيل الشتر
انقلاب جفن العين من أعلى واسفل وتشتّجه . وقيل : هو
ان ينشق الجفن حتى يفصل الحتار ، وقيل : هو استرخاء
الجفن الاسفل .

ظفر - الظفر والظفّرة ، بالتحريك : داء يكون في العين يتجلّثها
منه غاشية كالظفر ، وقيل : هي حمة تنبت عند المآقي حتى
تبلغ السواد وربما أخذت فيه ، وقيل : الظفّرة : بالتحريك :
جليدة تُغشّي العين تنبت تلقاء المآقي وربما قطعت ، وان تركت

غَشِيَتْ بصر العين حتى تَكِلَ ، وقيل : جُلِيْدَةٌ تَغْشِي العين نَابِتَةٌ من الجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْاَنْفَ عَلَى بَيَاضِ الْعَيْنِ إِلَى سَوَادِهَا وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا ظَفَرٌ . وقيل : الظَّفَرَةُ لَحْمَةٌ تَنْبِتُ فِي الْحَدَقَةِ وَقِيلَ : الظَّفَرُ : لَحْمٌ يَنْبِتُ فِي بَيَاضِ الْعَيْنِ وَرَبْمَا جُلُلُ الْحَدَقَةِ .

عور — العَوْرُ : ذَهَابُ حَسِّ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ وَعَوْرَتُ عَيْنِهِ وَاعْوَرَّتْ إِذَا ذَهَبَ بَصَرُهَا .. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْأَحْوَالِ الْعَيْنِ اعْوَرُ وَلِلْمَرْأَةِ الْخَوْلَاءُ عَوْرَاءُ . وَالْعَائِرُ (١) : كَالظُّلْعِ أَوْ الْقَذَى فِي الْعَيْنِ ، وَقِيلَ الْعَائِرُ : الرَّمْدُ ، وَقِيلَ الْعَائِرُ : بَثْرٌ يَكُونُ فِي جَفْنِ الْعَيْنِ الْأَسْفَلَ ، وَقِيلَ الرَّقْدُ : وَقِيلَ الْعَائِرُ : غَمَصُهُ نَسْخُصَ الْعَيْنِ كَأَنَّمَا وَقَعَ فِيهَا قَذَى ، وَهُوَ الْعَوَارُ .

طمس — طُمُوسُ الْبَصَرِ ذَهَابُ نَوْرِهِ وَضَوْوِهِ . وَقِيلَ الْمُطْمُوسُ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يَبِينُ حَرْفَ جَفْنِ عَيْنِهِ فَلَا يَرَى شَيْئًا مِنْ عَيْنِهِ .

رمش — الرَّمَشُ : تَقَشُّطُ فِي الشَّفْرِ وَحِمْرَةٌ فِي الْجَفْنِ مَعَ مَاءٍ يَسِيلُ : رَجُلٌ أَرْمَشٌ وَامْرَأَةٌ رَمْشَاءُ ، وَعَيْنٌ رَمْشَاءُ ، وَقَدْ أَرْمَشَ .

طرفش — انْطَفَأَتْ شَبَّةُ وَالطَّرْفُ شَبَّةٌ : ضَعْفُ الْبَصَرِ .

عمش — الْأَعْمَشُ : الْفَاسِدُ الْعَيْنُ الَّتِي تَغْشَقُ عَيْنَاهُ ، وَمِثْلُهُ الْأَرْمَصُ . وَالْعَمَشُ : أَنْ لَا تَرَى الْعَيْنُ تَسِيلُ الدَّمْعُ وَلَا يَكَادُ الْأَعْمَشُ يُبْصَرُ بِهَا ، وَقِيلَ : الْعَمَشُ ضَعْفُ رُؤْيَا الْعَيْنِ مَعَ سِيلَانِ دَمْعِهَا فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهَا . وَيُقَالُ عَمِشَ جَسْمُ الْمَرِيضِ إِذَا ثَابَ إِلَيْهِ .

(١) اللَّفْظُ وَجَدْنَاهُ فِي — عور — فَتَبَيَّنَا هُنَا ، وَذَلِكَ عِنْدَ اسْتِشْهَادِهِ بِبَيْتٍ مِنْ الشُّعْرِ .

غطمش --- الغطمش : العين الكليفة النظر . ورجل غطمش : كليل البصر .

غمش --- الغمش : سوء البصر .

ممش --- الممش : سوء البصر .

حوص --- الحوص : ضيق في مؤخر العين حتى كأنها خيطة ، وقيل :

هو ضيق مشقها ، وقيل هو ضيق في إحدى العينين دون الأخرى ،

وقيل الحوصاء من العين التي ضاق مشقها ، غائرة كانت

أو جاحظة ، وقيل : الحوص ضيق في العينين معاً ، وقيل :

الحوص ، بفتح الحاء : الصغار العيون وهم الحوص ، والحوص

بالحاء : ضيق في مقدمها . الأخيص : الذي إحدى عينيه

أصغر من الأخرى .

رمص --- الرمص في العين : كالغمص وهو قذى تلفظ به ، وقيل

الرمص ما سال ، والغمص ما جمد ، وقيل الرمص : صغرها

ولزوقها ، رميص رمصاً وهو أرمص ، وقد أرمصه الداء .

وقيل : الرمص ، بالنحر بك : وسخ يجتمع في الموق ،

فإن سال فهو غمص ، وإن جمد فهو رمص ، يقال غمصت

العين ورمصت من الغمص والرمص : وهو البياض الذي

تقطعه العين ويجتمع في زوايا الجفان .

غمص --- الغمص في العين : كالرمص ، وقيل : الغمص ما سال

والرمص ما جسد ، وقيل هو كل شيء ترمص به العين مثل

الزبد ، والقطعة منه غمصة . وقيل : الغمص الذي يكون مثل

الزبد أبيض يكون في ناحية العين ، والرمص الذي يكون في

أصول المذهب .

حظط - الاجرب العين الذي تَبَثَّرَ عينه ويلزمها الحُطْطاط ، وهو الطَّبْطَاب والحدُّحْدُ .

جحظ - الجحوظ : خروج المقلة ونُتُوها من الحِجَاج . ويقال : جاحظ العينين اذا كانت حصدقناه خارجتين والرجل جاحظٌ وجحظتم ، والميم زائدة .

رسع - الرُشَع : فساد العين وتغيُّرها . والرُشَع : الذي انسلقت عينه من السهر .

قمع - القمعة : قُرْحة تكون في العين ، وقيل : ورم يكون في موضع العين . والقَمْع : فساد في موقع العين واحمرار . والقَمْع كَمَدْلُون لحم الموقف وورمه . وقيل : القمع الارمض : الذي لا تراه الا مُبْتَلِ العين . والقمع : بثر يخرج في أصول الاشجار . وقيل : والقمع بثرة تخرج في أصول الاشجار . والقَمْع : قلة نظر العين من العمش .

حشرف - الحَشْرَفَة : الخشونة والحُمرة تكون في العين .

خسف - الخُسْف : غُور العين ، وخُسُوف العين : ذهابها في الرأس . وقيل : خسفت عينه ساخت ... وعين خاسفة : وهي التي فُتُتِيت حتى غابت حدقتها في الرأس .

طرف - الطَّرْفَة : نقطة حمراء من الدم تحدث في العين من ضربة وغيرها .

وعف - الوُعُوف بالعين : ضعف البصر .

وغف - الوَغْف والايغاف : ضعف البصر .

بخق - البخق : أقبح ما يكون من العور واكثره غَسَقاً .

وقيل : البَحَق : ان تَحْسِفَ العين بعد العور . وقيل :
البَحَق ان يذهب بصره وتبقى عينه مُفْتَحَةً قائمة قيل :
البَحَق ، بالتحريك : العور بالخساف العين .

حشرق - الحُشْرَقَة خشونة وحسرة تكون في العين .

حرق - الحُرْقَة : ما تجد في العين من الرمذ .

سلق - الانسِلَاق في العين : حمرة تعثر بها فتَقَشَّر .

ودق - الوَدَقَة والودَقَة : نقطة في العين من دم تبقى فيها شرقة ،

وقيل : هي لحمة تعظم فيها ، وقيل : هو مرض ليس
بالرَّمَد تَزِم منه الأذن وتشد منه حسرة العين والجمع ودَق .
ويقال في عينه ودقة خفيفة اذا كانت فيها بثرة أو نقطة شرقة
بالدم .

حذل - الحَذَل ، مُشَقَّل ، في العين : حُمُرَة وانسلاق وسيلان دمع ،
وانسلافها : حمرة تعثر بها .

حول - الحَوْل في العين : ان يظهر البياض في مؤخرها ويكون ،
السواد من قبل المآق ، وقيل : الحَوْل إقبال الحدقة على
الانف ، وقيل : هو ذهاب حادقتها قبل مؤخرها . وقيل :
الحَوْل ان تكون العين كأنها تنظر الى الحِجَاج ، وقيل : هو
ان تميل الحدقة الى اللِّحَاط .

سيل - رِيح السَّيْل : داء يُصِيب في العين . وقيل : السَّيْل :
داء في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت .
بعروق حُمُر .

- سمل** — السَّمْلَةُ : جوع يأخذ الانسان فيأخذه لذلك وجع في عينيه
فَتَهَرَّاقَ عيناه دمعاً فَيُدْعَى ذلك السَّمْلَةُ .
سَمَلُ العين : فَتَقْوُهَا .
- شلل** — عين شلاء : التي ذهب بصرها ، وفي العين عِرْقٌ اذا قُطِعَ
ذهب بصرها أو أَشْلَهَا .
- قبل** — القَبْلُ في العين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، وقيل :
إقبالها على الموق ، وقيل : إقبالها على عُرْضِ الأنف ، وقيل :
إقبالها على المحجر . وقيل : هي التي أقبلت على الحاجب .
وقيل : القَبْلُ مثل الحول ، ويقال : قَبَلَتِ العين قبلاً اذا
كان منها إقبال النظر على الأنف ، وقيل : اذا كان فيها ميل
كالحول ، وقيل : الأَقْبَلُ الذي أقبلت حدقتاه على أنفه والاحول
الذي حولت عيناه جميعاً . وقيل : القبل في العين إقبال
السواد على المحجر . ويقال بل اذا أقبل سواده على الأنف فهو
أَقْبَلُ ، واذا أقبل على الصدغين فهو أَخْزَرُ . رجل أَقْبَلُ بَيِّنُ
القَبَلِ : وهو الذي كأنه ينظر الى طرف انفه .
- ذمن** — الذَّمَنُ : سيلان العين .
- كن** — الكُمْنَةُ : جَرَبٌ وَحْمَةٌ تبقى في العين من رمد يُسَاءُ
علاجه فَتَكُنُّمِنْ ، وهي مَكْمُونَةٌ . وقيل : الكُمْنَةُ ورم في
الاجفان ، وقيل قَرَحٌ في المآقي ، ويقال : حكة وبس
وَحْمَرٌ . وقيل : هو ورم في الجفن وغاظ ، وقيل : هو
أَكَالٌ يأخذ في جفن العين فتحمر له فتصير كأنها رمداء ،
وقيل : هي ظلمة تأخذ في البصر . الأَكْمَةُ : الاعى .
- كه** — الكَهْمَةُ : العَمَى الذي يُولد به الانسان .
الاکْمَةُ : الذي يُولد أَعْمَى . وقيل : ان الكَهْمَةَ يكون

خليفة ويكون حادثاً بعد بصر . وقيل : الاكتمه الذي يبصر
 بالنهار ولا يبصر بالليل . وقيل : الاكتمه الاعمى الذي
 لا يبصر فيتحير ويتردد . ويقال : ان الاكتمه الاعمى الذي
 تلده أمه أعمى .

- مره -- المَرَّةُ : مرض في العين لترك الكحل .
 عمي -- اعمى : ذهب البصر كله ، وقيل : في العينين كليتهما .

٩ - امراض الاذن والانف والحنجرة

اللفظ	المرض
يح	-- البُحَّة والبَحْج والبَحاح والبُحُوحه والبَحاحه : كله غِلَظ في الصوت وشوشنة ، وربما كان خَيْفَةً .
سد	-- السَّدَّة والسَّدادة داء يسد الانف يأخذ بالكظم ويمنع نسيم الريح
ضاد	-- الضُّؤْد والضُّؤدة : الزكام .
وقر	-- الوَقْر : ثقل في الأذن ، بالفتح ، وقيل : هو ان يذهب السمع كله : والثَّقْل أخف من ذلك (١) .
طرش	-- الطَّرَش : الصَّمَم ، وقيل : هو أَهْوَن الصَّمَم .
لوص	-- اللَّوْص : وجع الأذن ، وقيل : وجع النحر .
رعف	-- الرَّعَاف : دم يسبق من الانف .
نكف	-- المنكوف : الذي يشتكي نكفته . والنكفة : وجع يأخذ في الأذن . النُّكَاف والنُّكَاث ، على البدل ، الغُدَّة ، وقيل : هو داء يأخذ في النكفين ، وهو أحد الأدواء التي اشتقت من العضو . والنكف : وجع يأخذ في اليد ، وقد نكف نكفاً .

(١) وذكر المرض أيضا في - فتر - عند استشهاده ببيت من الشعر .

- سكك** — السَّكَّكَ الصَّمَم . الاستكك : الصم وذهاب السمع .
خشم — الخَشَم : داء يأخذ في خوف الالف فتتغير رائحته ،
 الخُشَام : داء يأخذ فيه شدَّة وصاحبه مخشوم . ورجل
 أَخْشَم يَبِين الخَشَم : هو داء يعترى الانف . والخَشَم
 سقوط الخياشيم وانسداد المتنفس ولا يكاد الاخشم يشم شيئاً .
رغم — الرُّغام ما يسيل من الانف من داء وغيره .

١٠ - امراض الفم والاسنان

- | اللفظ | المرض |
|-------------|---|
| فلج | — فلج الاسنان : تباعد بينهما . ورجل أفلج اذا كان في اسنانه
تفترق ، وهو التفليج أيضاً . وقيل : الفلج في الاسنان تباعد
ما بين الثنايا والرَّباعيات خليقة . |
| كسج | — الكُوسَج : هو الناقص الاسنان . |
| قلح | — القلح : هو الصفرة التي تعلق الاسنان . القاحلة : الدودة التي
تأكل السن . القلاح صفرة تعلق الاسنان في الناس ، وقيل :
هو ان تكثر الصفرة على الاسنان وتغلظ ثم تسود او تخضر .
وقيل : القلح صفرة في الاسنان ووسخ يركبها من طول
ترك السواك . وقيل : الحبر صفرة في الاسنان فاذا كبرت
وغلظت واسودت واخضرت فهو القلح . |
| كمج | — الكُومَج : الرجل المتراكب الاسنان في الفم حتى كأن
فاه قد ضاقت بأسنانه ، وفم كُومَج : ضاق من كثرة اسنانه
وورم لثاته . |
| درد | — الدَّرْد : ذهاب الاسنان . |
| جدرد | — الجَدَر : ورم يأخذ في الحلق . |

- حفر** — الحفَر والحفَر : سَلَق في أصول الأسنان ، وقيل : هي صفرة نعلو الاسنان . وقيل الحفَر والحفَر : وهو ما يَنْزُق بالاسنان من ظاهر وباطن . ويقال في اسنانه حَفَرٌ .
- وقيل : هو ان تحفر الفلج أصول الاسنان بين اللثة وأصل السن من ظاهر وباطن ، يُلح على العظم حتى ينقشر العظم ان لم يُدْرَك سريعاً .
- دغر** — العُدْرَة : وجع يهيج في الحلق من الدم .
- ذهر** — ذَهيرٌ فُوه ، فهو ذَهير : اسْوَدَّتْ اسنانه ، وكذلك نُورُ الحنُوزان .
- ذير** — يقال للرجل اذا اسودت اسنانه : وقد ذُيِّرَ فوه تَدْييراً .
- خوز** — الخازِيز : داء يأخذ الناس في حلقوقهم . وقيل الخازِيز : قَرْحَةٌ تأخذ في الخلق . والخازِيز : لغة فيه . وقيل : خازِيز ورم .
- كسس** — الكسَس : ان يقصر الحنك الاعلى عن الاسفل . والكسس أيضاً : قِصر الاسنان وصِفَرَتِها ، وقيل : هو خروج الاسنان السفلى مع الحنك الاسفل وتقاعس الحنك الأعلى ... هو أكس وامرأة كَسَاء . وقيل : الكسس ان يكون الحنك الاعلى أقصر من الاسفل فتكون الثنتان العلويتان وراء السفليتين من داخل الفم . وقيل : ليس من قصر الاسنان . والميلل أشد من الكسس .
- سرط** — السَّرَطان : داء يأخذ الناس . وقيل : هو داء يعرض للانسان في حلقه دموي يشبه الدَّبِيلَة .
- قلع** — القَلْع ، بالتحفيف : من ادواء الفم والحلق معروف . وقيل هو داء يصيب الناس في افواههم .
- لطح** — اللَّطِط : الذي ذهبت اسنانه من أصولها وبقيت أسناخها في

الدَّرْدَرُ ، يكون ذلك في الشاب والكبير ، وقيل : اللُّطْعُ

ان تحاتَّ الاسنان إلا أسناخها وتَقْصُرُ حتى تَلْتَرِقَ بالحنك .

وقيل : هو ان تُرى أصول الاسنان في اللحم .

حلق - الحَلَقُ : وجع في الحَلَقِ والحَلَقُوم كالحَلَقِ .

ذحق - ذَحَقَ اللسان يَذْحِقُ ذَحْقاً : انسلق وانقشر من داء يُصيبه .

ساق - السَّالِقُ : حب يثور على اللسان فينقشر منه او على أصل اللسان ،

ويقال : تقشر في أصول الاسنان ، وقد انسلق .

شكك - شاكَّةٌ هو ورم يكون في الحلق واكثر ما يكون في الصبيان

ألل - في اسنانه يَلَلُ وألَّل : وهو ان تُقبَّل الاسنان على باطن الفم .

وألَّلت وأعلَّلت اسنانه أيضاً : فسدت .

ثعل - الثَّعلُ : السِّنُّ الزائدة خلف الاسنان . والثَّعلُ والثَّعلُ والثَّعلُول

كله زيادة سن او دخول سن تحت اخرى في اختلاف في

المنبت يركب بعضها بعضاً . وقيل : نبات سن في أصل سن .

والسِّنُّ الزائدة يقال لها : الرَّاوول . ولثة ثَعْلَاء : خرج

بعضها على بعض فانتشرت وتراكبت .

قصم - القَصْمُكَة : دُوبِيَّةٌ تقع في الاسنان واضراس فلا تلبث أن

تُقَصِّمَها فتَهتك الفم .

يلل - الِيلَلُ : قصر الاسنان وانزاقها واقبالها على غار الفم واختلاف

نبتتها وانعطافها الى داخل الفم . قيل : الِيلَلُ قِصَرُ الاسنان

العليا . وقيل : الِيلَلُ قصر الاسنان وهو ضد الدَوَق ، والدَوَقُ

طولها . وقيل : الِيلَلُ انتاؤها الى داخل الفم . وقيل : الِيلَلُ

أشدُّ من الكَسَرِ . وفي اسنانه يَلَلُ وألَّل : وهو ان تُقبَّل

الاسنان على باطن الفم . وقيل : الأِيلَلُ : التقصير الاسنان ،

الأِيلَلُ : الطويل الاسنان ، وهو من الاضداد .

- بلم** — أْبْلَمَ الرجل : اذا وَرِمَتْ شَفَتَاه .
- ثرم** — الثَّرَم ، بالتحريك : انكسار السِّنِّ من أصلها ، وقيل : هو انكسار سن من الاسنان المقدمة مثل الثنايا والرابعيات . وقيل انكسار الثنية خاصة . وهو أثرم والاثني ثرماء .
- درم** — الأَدْرَم : الذي لا اسنان له . ودرمت اسنانه : تحاتت .
- دغم** — الدُّغَام والشَّوَال : وجع يأخذ في الحلق .
- دقم** — الدَّقِم : للمكسور الاسنان .
- شرم** — يقال للرجل المشقوق الشفة السفلى أفْلَح ، وفي العليا أَعْلَم ، وفي الانف أَخْرَم وفي الأذن أَقْرَب وفي الجفن اشتر ويقال فيه كله أَشْرَم .
- طرم** — الطَّرَامَة ، بالضم : الخُضْرَة تَرَكَّب على الأسنان ، وهو أَشَفَّ من القلح ، وقد اطرمت أسنانه إطرأماً .
- والطَّرْمَة والطَّرْمَة : نتوء في وسط الشفة العليا ، وهي في السفلى النَّزْفَة . والطَّرْمَة : بثرة تخرج في وسط الشفة السفلى .
- طلم** — الطَّلَم : وسخ الأسنان من تَرَكَ السَّوَاك .
- فقم** — الفَقَم في الفم : أن تدخل الاسنان العليا الى الفم ، وقيل : الفَقَم اختلاف ، وهو ان يخرج اسفل اللحي ويدخل اعلاه الفَقَم اختلافه ، وهو ان يخرج اسفل اللحي ويدخل اعلاه . وقيل : الفَقَم في الفم ان تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا اذا ضم الرجل فاه . والفَقَم رَدَّة في الذقن والنعت أَفَقَم .
- قمم** — يقال في ضمه قَعَم اي عوج ، وفي أسنانه قَعَم : وهو دخول اعلاها الى فمه .
- قوه** — القَوَة ، بالتحريك : سعة الفم وعظمه ، والقَوَة أيضاً :

- خروج الاسنان من الشفتين وطولها . والقوه في بعض الصفات :
 خروج الثنايا العليا وطولها . وقيل : طول الثنايا العليا يقال له
 الرّوْف ، فأما القوّهُ فهو طول الاسنان كلها .
- شغا — الشَّغَا : اختلاف الأسنان ، وقيل : اختلاف نبتة الاسنان بالطول
 والقصر والدخول والخروج .
- صغا — الصَّغَا : قيل في الحنك وفي احدى الشفتين ، فهو أصغى
 والانثى صغواء .
- ظلي — الظَّلَى والظَّلَيَان والظَّلَوَان : بياض يعلو اللسان من مرض
 او عطش . الظَّلَى والظَّلَيَان : القلح في الاسنان ، وقد ظلي فوه
 فهو يَظْطلي ظلى . والظَّلَوَان : الريق ينخرس ويعصب
 بالفم من عطش او مرض . وقيل : الظَّلَوَان ، بضم الطاء :
 الريق يجف على الاسنان .

١١ - الامراض المعدية

- | اللفظ | المرض |
|-------|--|
| عنب | — العِنْبَة : بثرة تخرج بالاسنان تُعْدي . وقيل تَسْمُدُ فْتِرم ،
وتَسْمَلِي ماء ، وتُوجِع ، تأخذ الانسان في عينه وفي حلقه ،
يقال في عينه عِنْبَة . |
| كلب | — الكَلْبُ بالتحريك : داء يعرض للاسنان من عض الكلب ، فيصيبه
شبه الجنون ، فلا يَعْصُ احدًا الا كَلْبًا ، ويعرض له اعراض
رديئة ، ويمتنع من شراب الماء حتى يموت عطشاً ، واجمعت العرب
على ان دواءه قطرة من دم ملك يخلط بماء فيُسْقاه ، يقال منه
كَلْبُ الرجل كَلْبًا عَقَّه الكَلْبُ الكَلْبُ فأصابه مثل ذلك .
وقيل : الكَلْبُ الكلب : الذي يكلب في أكل لحوم الناس ،
فيأخذه شبه جنون ، فاذا عقر انساناً ، كلب المعقور ، وأصابه |

داء الكلب، يعقوي عواء الكلب ، ويسمق ثيابه عن نفسه ،
 ويعقير من أصاب ، ثم يصير أمره الى ان يأخذه العطاش فيموت
 من شدة العطش ولا يشرب . الكلب : صياح الذي قد عَصَّه
 الكلب الكلب .

جذم — الجذام من الداء : معروف لتجذم الاصابع وتقطعها .
 الجذام من الامراض المعدية ، وكانت العرب تطير منه
 وتتجنبه . الأَجْذَم : المقطوع اليد ، وقيل : هو الذي ذهب
 أنامله .



لُغَةُ الْمُتَقَفِّينَ

الدكتور أحمد مطلوب

عضو المجمع
كلية الآداب - جامعة بغداد

اللغة من أهم مقومات الأمة ، وهي وسيلة التعبير عن المقاصد وأداء المعاني والأفكار . واللغة العربية ركن الوحدة الراسخ وأساسها المكين ، وهي وعاء الحضارة العربية الإسلامية ، بها نطق الشعراء ، وتحدث الخطباء ، وألف العلماء والأدباء . وكانت لغة الأمة قبل بزوغ فجر الإسلام ولغة المسلمين الذين دخلوا في دين الله أفواجا . وهي فوق ذلك لغة القرآن الكريم الذي بهر البلغاء فوقوا أمامه عاجزين لا يعرفون له سرا ولا يقدرّون على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

ولم يعرف في التاريخ أن العرب اعترضوا على لغته أو أسلوبه ، وما ذلك إلا لأنهم فهموه حق الفهم وسحروا ببيانه وروعة إعجازه . قال الوليد ابن المغيرة : « والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذيق ، وإن فرعه لجناة » (١) . وحلّلت قريش من الاستماع إلى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ القرآن ، ووضع الطفيل بن عمرو النوسي كُرْسُفاً (٢) في أذنيه حين غدا إلى المسجد فَرَقاً من أن يبلغه شيء من كتاب الله ، ولكنه قال في نفسه : « وإنك لأمي ، والله إني لرجل لييب شاعر ما يخفي عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) الكرسف : القطن .

قبله ، وإن كان قبيحاً تركته » (٣) . وسمع القرآن ، وأسلم ، ودعا أهله وعشيرته الى الاسلام . وما ذلك إلا لأن العربي كان يفهم كتاب الله ويتأثر به كما كان قبل الاسلام يسمع الشعر فيفهمه ويرويه لأنه بلسان عربي مبين .

ولم تكن اللغة ملك جماعة من الناس وإنما هي ملك الأمة العربية على اختلاف أفرادها وتنوع ثقافتهم ، وظل الأمر كذلك في القرون الأولى من الهجرة المحمدية ، ولولا ما أصاب الأمة من غزو همجي أفقدها قدرتها حيناً من الدهر لظلت اللغة الفصيحة سمة الناطقين بها على الرغم من اللحن الذي طرأ عليها بعد ابتعاد العرب عن مواطن القصاحة ودخول الأعاجم في دين الله ، وانحراف بعض المتحدثين والكتاب من العرب . فالعربية كانت لغة الأمة يستوي في ذلك الصغير والكبير ، الجاهل والعالم ، المتحدث والكاظم ، ولم يتدع فريق أنها ملكة كما يحلو لبعضهم في هذه الأيام حين يجعلها من عمل المختصين بها من لغويين وأدباء . وهذا ما جعل الهمم تنفر ، والاعتزاز باللغة يضول ، والاهتمام بها يقل . وانقسم الناس فريقين : فريقاً يتمسك بها وهو في ذلك كالفابض على الجمر من كثرة ما يلقي من تنكر وإهمال ، وفريقاً يتشبث بلغة الاجنبي لأنها لغة العلم الذي تلقاه يوم كان يدرج في قاعات الدرس والتحصيل . ولئت من تخصص في الدراسات الانسانية من هذا الفريق تمسك بلغة قومه التي يتحدث بها ويؤلف ، بل ليت من خرج على لفته وقد درّس تاريخها وعلومها وآدابها في جامعة أجنبية عني بها ورعاها . فيها هي دعوات تظهر كل حين تحمل في طياتها هدم اللغة والقضاء على خصائصها وتزييف أصالتها وتغيير حرفها الجميل ونبد رقصها الاصيل بحجة الحداثة والتطوير .

ومما يدمي القلب ويشير الفرع أن بعض أولئك الدعاة ممن اختص باللغة

العربية وعمل استاذاً لها في جامعة عربية أو أجنبية ، ينفن في هدمها وتقويض أصالتها وحرفها عن الصراط المستقيم والمناهج القويم ، وهو في ذلك كالمندسين في الاسلام الذين ارادوا هدمه من الداخل فما استطاعوا وتحطّموا على جباله الراسيات . « يُريدون لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ ، وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَثِرَ الْكَافِرُونَ » (٤) .

ونحطمت قوافل المتأمرين على لغة القرآن الكريم ، وخلدت اللغة العربية التي عبّرت عن أصالة الأمة ورسالتها العالدة في الحياة .

ولم يقف اولئك عند هذه المسألة ؛ بل نادّوا باللهجات العامية ودرسوها بحجة أنها تمثل حياة الشعب ، وتصور نبضات القلوب وواقع المجتمع ؛ ونسّوا أن الأمة العربية واحدة ؛ وأن لغتها الفصيحة من أهم مقومات وحدتها . ولم يستطيعوا أن يفرضوا العاميات على الرغم مما تهاهم من أسباب ؛ وظلت الفصحى المعجزة تعلق عند قراءة القرآن وترتيله ؛ وبقيت الفصيحة الصافية لغة العلم والأدب والفن ووسائل الاتصال .

إن اللغة العربية ذات تاريخ موغل في القدم ، وقد عبّرت بها العرب عن مقاصدهم ومشاعرهم قبل أن ينزل القرآن الكريم ، وحينما نبضت القلوب بالايمان كانت لغة الدين والعلم ، وقد استجابت للحياة الجديدة وعبّرت عن الحضارة العربية الاسلامية خير تعبير . ولم يوقفها علم مبّتدع ، أو مصطلح دقيق ، أو فكر عسيق ، وظلت لغة العلم ووعاء الفكر المبدع والثقافة الأصيلة . ولم يرتق صفوها ما طرأ على الأمة العربية من نكوص ، وظلت صافية في كلام الله ، مشرقة في قلوب المؤمنين . وشهد القرن العشرون للميلاد نهضة لغوية كبيرة ، وكان الرواد حريصين عليها حرصهم على الحياة ، فأعادوا اليها كثيراً مما ذهب من روائها ، وأضافوا اليها كثيراً مما تطلّبه

النهضة الحديثة . وكان للجامعات والمجامع العلمية واللغوية والمؤسسات الثقافية في الوطن العربي أثر كبير في ازدهارها واستيعابها للجديد ، ولولا بعض ما يعترض تلك المؤسسات من عقبات حقيقية او مفتعلة لكان للغة شأن اعظم ومكانة اسمى ، ولسكنت الألسنة الداعية الى العاميات او الأخذ باللغات الأجنبية التي فننت ضعاف الايمان بأمتهم ومقومات وحدتها . وإنه لأمل كبير وفرصة عظيمة فيما اتجهت اليه القيادة السياسية في القطر العسراقي من اهتمام بالعربية وحرص على سلامتها ، ففي عام ١٩٧٧ أصدر مجلس قيادة الثورة « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » ، وفي عام ١٩٨٣ أصدر « قانون الهيئة العليا للعناية باللغة العربية » لتكون مسؤولة عن الاشراف على تنفيذ « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » والقوانين والانظمة والتعليمات والقرارات المتعلقة بشؤون اللغة العربية .

إن رعاية الثورة للغة العربية عظيمة ، وإن العمل من اجل الحفاظ عليها واسع المدى ، ولا يكفي أن يشرع قانون او تفرض عقوبة ما لم يصدر المثقفون عن ايمان عميق بلغتهم ، وإخلاص في سعيهم ، ووضوح في رؤياهم . وليس أكثر تأثيراً في اللغة من المثقفين الذين يحملون بين جوانحهم رسالة أمتهم ، ويسعون الى تقدمها ، وما اللغة إلا وعاء الفكر ، وقد خاب من لا يحسن التعبير عن علمه ونقله الى أبناء أمتة .

لقد حمل المثقفون أمانة « الحفاظ على سلامة اللغة العربية » قروناً طويلاً ولا يزالون يحملونها بإخلاص على الرغم مما يخفي بعضهم من دس ، وتعطيل لحيويتها وطاقتها ، واثارة الشكوك حولها . فمنذ عهد سحيق تغنى الشعراء بأعذب الكلام ، ونطق النبلاء بأروع الحكم ، وألف العلماء بأبلغ الأساليب ، ولم يرو أن بعضهم انكر العربية او تنكراً لها كما يفعل بعض المعاصرين ، فهذا أبو الريحان البيروني يعتر بها في مقدمة كتابه « الصبغة » ،

ويشير الى الذين احتشدوا لالباس الدولة جلايب العجدة فما استطاعوا ، لان الدين والدولة عريان ، ولان الأذان يقرع الآذان كل يوم نحساً ولان الصلوات تقام بالقرآن العربي (٥) . وهذا جار الله الزمخشري يقول : « الله أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية ، وجعلني على الغضب للعرب والعصية ، وأبى لي أن افرد عن صميم أنصارهم وأمنار ، وأنضوي الى لفيف الشعوبية وأنحاز . وعصمني من مذهبهم الذي لم يُجدِ عليهم إلا الرشق بالكسنة اللاعين ، والمشق بأسنّة الطاعين » (٦) .

فالمثقفون هم حماة اللغة : لانهم اكثر وعياً ، ولانهم يعبرون عن مقاصدهم بها . ولم يضق الاوائل بالعربية لانهم كانوا حريصين على إتقانها ، وتنبؤ جمالها ، والوقوف على أسرارها ، وكانت أول ما يُعنون به ، أي قبل أن ينصرفوا الى العلم الذي مالوا اليه ، او ارادوا أن يبرزوا فيه . فما من عالم ، او مؤرخ ، أو أديب ، او فقيه إلا واللغة هواه ، وأول ما تمس شغاف قلبه . وفي التراث العربي الاسلامي ازوع الأساليب وأعذب الكلام ، ولا يحسن القارئ حينما يقرأ كتاباً من ذلك التراث أن صاحبه فقيه او عالم او أديب إلا بعد أن يعرف عنوان الكتاب او يقف على مصطلح او لفظ يخص علماً من العلوم او فناً من الفنون .

وكان المثقف يسعى الى إتقان العربية بوسائل كثيرة أهمها :

الأولى : معرفة علم العربية من النحو والتصريف .

الثانية : معرفة ما يحتاج اليه من اللغة .

الثالثة : معرفة امثال العرب وأيامهم .

(٥) تنظر مقدمة كتاب المصيدة .

(٦) المفصل ص ٢ .

الرابعة : الاطلاع على تأليفات مَنْ تَقَدَّمَه من ارباب الصناعة .
الخامسة : حفظ القرآن الكريم : والتدرب باستعماله ، وإدراجه في
مطاوي كلامه .

السادسة : حفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي محمد
— صلى الله عليه وسلم — والسلوك بها مسلك القرآن في الاستعمال (٧)
أي أن هناك ثلاث مسائل ينبغي أن يُعنى بها :

الأولى : معرفة العربية من لغة ونحو وصرف ، ويتم ذلك بالدراسة
والوقوف على أصول العربية في كتبها الأصلية .

الثانية : حفظ القرآن الكريم ، وبعض الأحاديث الشريفة ، وكلام
العرب القصيح البليغ لتكون الاساليب ماثلة أمام عيني المتقف ، وصورُ التعبير
مستقرة في ذهنه ، والالفاظ المعبرة عن هدفه على لسانه .
الثالثة : دراسة العلم الذي تنصرف همه المتقف اليه .

فمعرفة أصول اللغة : وحفظ كتاب الله المعجز وكلام العرب البليغ ،
ومعرفة العلم الذي يخوض المتقف فيه ، وتأمل لغة كتبه وطرائق التعبير ،
تقود الى ضبط اللغة واتقانها والقدرة على التعبير بها تعبيراً سليماً . وليس بدعاً
أن ينتج المتقفون في هذا العصر الى هذه الوجهة : لان اللغة لا تخص الأدباء
او دارسيها وحدهم وانما هي وسيلة للتعبير عن المقاصد والاغراض . فهي
كما قال ابن جني : ، أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (٨) ، أو هي
كما قال بعض المعاصرين : « وسيلة انسانية لتوصيل الافكار والانفعالات

(٧) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٩ وما بعدها .

(٨) الخصائص ج ١ ص ٣٣ .

والرغبات « او هي » لون من ألوان النشاط الانساني في المجتمع « (٩) . ولو آمن بذلك المثقفون كلهم لخفت المؤونة ولوجدوا اللغة تجري على ألسنتهم وأقلامهم ، ولكن بعضهم يأبى إلا أن يلقي اللغة على كاهل من اختص بها ، وبذلك خفف علمه ، وضاع منه الشيء الكثير .

ومن أسباب ضعف لغة المتقنين :

الأول : قلة زادهم اللغوي .

الثاني : قلة محفوظهم من آيات الذكر الحكيم ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب البليغ .

الثالث : انصرافهم عن كتب تخصصهم التراثية او الحديثة التي وضعها علماء عُرِفوا بالفصاحة والبيان .

الرابع : اقتصار بعضهم على قراءة الصحف والمجلات التي لا تُعنى باللغة القصصية ، والاسلوب الرفيع .

الخامس : التأثير بالاذاعتين : المسموعة والمرئية وما تبث من مواد باللهجات العامية او العربية الضعيفة .

السادس : التأثر بالأساليب الأجنبية .

السابع : انصراف بعضهم عن لغته القومية ، وتمسكه باللغة الأجنبية .

الثامن : التخوف من الكتابة باللغة العربية خشية الوقوع في الخطأ .

التاسع : قلة ممارسة الكتابة باللغة العربية ، وجهل بعضهم بالمصطلحات العلمية ، والالفاظ الحضارية التي تعينهم على التعبير عن أفكارهم ، ومقاصدهم العلمية .

(٩) ينظر كتاب مقدمة لدراسة فقه اللغة ص ٢٥ وما بعدها وغيره من الدراسات اللغوية الموضوعية والمرتجة .

العاشر : غربة بعضهم عن اللغة العربية وإيمانهم بانها لغة الأدياء .
هذه الاسباب وغيرها وقفت حاجزاً بين المثقفين واتقانهم للغة ، وقد
تسوّا أن ما يراد منهم ليس بلاغة قس بن ساعدة ، او بيان الجاحظ ، وانما
التعبير السليم الذي يؤدي المعنى بأدق لفظة ، وأقصر عبارة ، وأوضح اسلوب .
ولو دققوا فيما يكتبون لوجدوا أن ما يقعون فيه من أخطاء ليس جسيماً ،
وانما هو مسائل يتقنونها بسرعة مبادئ قواعد اللغة والرجوع الى المعجم ،
وقراءة النصوص البليغة ، وتمثلها لتكون لهم معينا ثراً يمدّهم بما يحتاجون
اليه وهم يتحدثون أو يكتبون .

إن الرجوع الى بعض ما يقع فيه المثقفون من أخطاء لا يدعو الى اليأس
لان تقاديه يسير ، ويتجلى ذلك في أمور منها :

الأول : الأخطاء النحوية ، وهي قليلة في لغة المثقفين الذين عرفوا قديراً
من قواعد اللغة وأصفوا الى الكلام البليغ وتمرّنوا على الكتابة . واكثر ما يقع
الخطأ في إعراب المثنى وجمع المذكر السالم ، وجزم المضارع ونصبه ،
وجواب الشرط ، وتعديّة الفعل بالحرف .

الثاني : الأخطاء الصرفية ولا تتضح في الكتابة اتضاحها في التحدث ،
ومعرفة أبواب الفعل الثلاثي والمشتقات وبعض أحكام الاعلال والابدال
يخفف من هذه الأخطاء . وقد يكون المعجم أهم مرجع في هذه المسألة لمن يريد
ضبط حديثه او محاضرته .

الثالث : الأخطاء الإملائية مثل كتابة الميمزة ، وقواعدها ميسرة لمن
يريد ضبطها واتقانها .

الرابع : الخلط بين الضاد والظاء ، والحفظ والرجوع الى المعجم يكفّلان
تصحيح الأخطاء . وليس ذلك بدءاً فالأجانب يرجعون الى المعجم للتأكد من
إملاء ما يكتبون .

الخامس : الأخطاء في التركيب ، وقد تأتي ذلك من قلة المحفوظ ، والنظر في الكتب الفصيحة وممارسة الكتابة ، أو من مطالعة الكتب المترجمة والمتأثرة بها . ويتصل هذا الأمر بالأسلوب ، وحسن تركيب العبارة ، والربط بين الجمل ووضوحها ، وقد يكون ذلك أكثر أهمية من أي أمر آخر ، لأنه يرتبط بالفكر ، ووضوح الرؤية ، واستقامة المعنى . وأكثر ما يقع من غموض أو إبهام في الكلام يتأتى من هذا الأمر الذي لا يوليه المتقنون عناية كبيرة .

السادس : الأخطاء في دلالة الألفاظ مما يؤدي إلى اللبس والاحراف المعنى عن المقصود ، إذ قد يستعمل المتقف لفظاً لا يدل معناها على ما يريد ، أو يستعملها بغير معناها الحقيقي أو المجازي الذي ليس لفعله ملائمة . كما في المجاز العقلي أو علاقة مصححة كما في المجاز اللغوي . ولا يعني ذلك أن دلالة الألفاظ ثابتة ، فقد تتغير كما حدث بعد نزول القرآن الكريم وما طرأ على الحياة العربية من تقدم وتطور ونهضة حضارية واسعة المدى . وآمن بذلك القدماء فتوسعوا في اللغة وأضفوا على الألفاظ دلالات جديدة تطلبتها الحياة العلمية ، وتشعب مناحي التفكير ، وقد اقتدوا بما جاء في كتاب الله ، وحديث النبي الكريم . قال الجاحظ : « وإنما سَمَى الله - عزَّ وجلَّ - الكافر في بطنه المورِّي بالآيمان والمستنير بخلاف ما يُسِيرُ بالمنافق على النافقاء والقاصعاء وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيء عن شيء ... وهذا الاسم لم يكن في الجاهلية لمن عمل بهذا العدل ولكن الله ... عزَّ وجلَّ - اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل . وقد علمنا أن قولهم لمن لم يحج ، ضرورة » ولمن أدرك الجاهلية والاسلام « مخضرم » وقولهم وتسميتهم لكتاب الله قرآناً فرقاناً ، وتسميتهم للتمسُّح بالتراب : « التيمم » وتسميتهم للقاذف بفاسق ، أن ذلك لم يكن في الجاهلية . وإذا كان للنايعة أن يتدعى الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله : « والنَّوْءُ كالحوض بالظلمة الجند » ، وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع أثره ، وعلى أنها لغة عربية ، فالله

الذي له أصل اللغة أحق^١ بذلك « (١٠) . والعمدة في معرفة دلالة الالفاظ المعجم ، والاستعمال ، والوقوف على الأساليب البليغة .

تلك أهم ما يعترض المثقف وهو يتحدث او يكتب ، وليس من العسير التغلب عليها باتقان مبادئ النحو ، وحفظ اليلغ من الكلام ولا سيما كلام الله ، والرجوع الى المعجم ، والاستعانة بامانة العربية . ولعل هذا القدر من المعرفة يصون ألسنة المثقفين وأقلامهم من الوقوع في الخطأ ، وقد قال ابن السكيت : « خُذْ من الأدب ما يعلّق بالقلوب وتشتيه الآذان ، وخُذْ من النحر ما تُقيم به الكلام ، ودَعِ الغوامض ، وخُذْ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني ، واستكثر من أخبار الناس وأقوالهم وأحاديثهم ، ولا تولعن بالغث منها » (١١) .

وقد دلت متابعة بعض ما يكتب المثقفون على أن معظمهم يقع في أخطاء واحدة تتكرر فيما يُكتب أو يُقال . ولا تتعدى هذه الأخطاء مبادئ اللغة والنحو ، ومن أهمها :

١ - استعمال « بينما » : يقول بعضهم : « يهتم محمد بالحساب بينما يهتم خالد بالتأريخ » . وصواب العبارة : « يهتم محمد بالحساب في حين أن خالدًا يهتم بالتأريخ » أو : « يهتم محمد بالحساب ويهتم خالد بالتأريخ » ، لان « بينما » تكون في بدء الكلام ، يقال : « بينما كنت أسير في الطريق رأيت أخي » .

٢ - استعمال « لازال » بمعنى « مازال » ، والمعروف أن الأول للدعاء : قال الشاعر :

(١٠) الحيوان ج ٥ ص ٢٧٩ - ٢٨١ .

(١١) نداء مصدره ، وقد ذكر في مجلة المعلم الجديد (الجزء الثالث) تشرين الثاني سنة ١٩٨٧ ص ٨٣ ، وهو مما قيل في اصلاح اللسان وفضل البيان .

ألا يا استسّي يا دارميّ على البلي
ولا زال مُنْهَلًا بجرعائك القطرُ
ويقال : « أشكر لكم تهانيتكم ، لا زلتم بخير » .

أما « مازال » فهي ماضي « لا يزال » ، قال تعالى : « فَمَازَلَتْ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ » (١٢) ، وقال : « فَمَازِلْتُمْ فِي شَكِّ » (١٣) . وقال :
« وَلَا تَزَالُ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ » (١٤) .

٣- العطف قبل الإضافة : يقول بعضهم : « هذا كتاب وقلم محمد » .
والصحيح : « هذا كتاب محمد وقلمه » . أما قولهم : « قطع الله يَدَ
ورجل مَنْ قَالَهَا » فتقديره : « قطع الله يَدَ مَنْ قَالَهَا وَرَجْلَ مَنْ قَالَهَا »
فحذف ما أضيف إليه « يد » وهو « من قَالَهَا » لدلالة ما أضيف إليه
: رجل « عليه » (١٥) .

٤- تقديم « نفس » على المؤكّد : يقول بعضهم « رأيت نفسَ الرجل »
والصحيح : « رأيت الرجلَ نَفْسَهُ » خشية أن لا تدل « نفس » على
التأكيد وإنما على أمر آخر .

٥- استعمال « رغم » يقول بعضهم : « ورغم ذلك لم استطع الوصول إليه » .
والصحيح : « وعلى الرغم من ذلك » .

٦- ادخال الألف واللام على « بعض » : يقول بعضهم : « جاء البعض
من العناء » والصحيح : « جاء بعض العلماء » .

(١٢) سورة الانبياء ، الآية ١٥ .

(١٣) سورة غافر ، الآية ٣٤ .

(١٤) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(١٥) ينظر شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ج ٢ ص ٦٥ .

٦- تعديبة « أكَّد » بالحرف : يقول بعضهم : « أكَّد أخِي بأن الحرب ستنتهي » .
والصحيح : « أكَّد أخِي أَنَّ الحرب ستنتهي » .

٨ - ادخال « لقد » على « لا » النافية : يقول بعضهم : « قد لا يسافر أخِي »
والصحيح : « ربما لا يسافر » أو « لن يسافر » . وقد ذهب ابن هشام الى
انه لا يجوز الفصل بين « قد » والفعل الذي بعدها بغير القسم (١٦) . وذكر
محمد العدناني أمثلة للفعل بـ « لا » كقول الاعشى :

وقد قالت قتيلة إذ رأته

وقد لا تعدم الحساء ذاماً

وكقول ابن جني : « كما ان القول قد لا يتم معناه إلا بغيره » (١٧) .
والأخذ بالأفصح في مثل هذا الموضع خير وأجدى ، وأقرب الى روح
العربية .

٩ ... ادخال « سوف » على « لن » : يقول بعضهم : « سوف لن يسافر
محمد » ، والصحيح : « لن يسافر » بحذف « سوف » .

١٠ - ادخال « الواو » بعد « بل » : يقول بعضهم : « بل وفي ذلك شك » ،
والصحيح : « بل في ذلك شك » ، ويقولون : « بل ويعود » ، والصحيح :
« بل يعود » .

١١ - ادخال الكاف في غير التشبيه : يقول بعضهم : « قضيت عشر سنوات
كاستاذ للغة العربية » : والصحيح « قضيت عشر سنوات استاذاً للغة
العربية » : لان التشبيه لا يراد في مثل هذه العبارة . ومن ذلك قول بعضهم :
« كانت المكافأة كنتيجة لاختلاصه » ، والصحيح : « نتيجة لاختلاصه » .

(١٦) ينظر مغني اللبيب ج ١ ص ١٧١ .

(١٧) ينظر معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة ص ٥٣٧ - ٥٣٨ ، الخصائص
ج ١ ص ٢٠ .

١٢ - ادخال اللام على « وحده » : يقول بعضهم : « بقي لوحده يعمل »
والصحيح : « بقي وَحْدَهُ يعمل » . قال تعالى : « قَالُوا : أَجِئْتَنَا
لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ » (١٨) ، وقال : « فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا :
أَمَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ » (١٩) .

١٣ - وضع « لا » بعد « كاد » أو « يكاد » : يقول بعضهم : « يكاد لا يمت
الى اللغة العربية » ، والصحيح : « لا يكاد يمت الى اللغة العربية » .
قال تعالى : « فَمَا لَهُؤْلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » (٢٠) .

١٤ - ادخال « أن » على خبر « كاد » : يقول بعضهم : « كاد محمد أن
يسافر » ، والصحيح : « كاد محمد يسافر » ، ولا عبرة بدخولها في الشعر
كما في قول البحري :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُوقُ بِخَتَالٍ ضَاكِكًا

من الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وقول أحمد شوقي :

قُسِمَ لِلْمُعَلِّمِ وَقِيَّةُ التَّجِيلَا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا

١٥ - ادخال أداة التعريف على « غير » : يقول بعضهم : « هذا السبب الغير
مباشر مُهِمٌ » ، والصحيح : « هذا السبب غير المباشر مُهِمٌ » .

١٦ - استعمال « بالإضافة الى » : يقول بعضهم : « وبالإضافة الى ذلك
فإنني اكنت بناء الدار » ، والصحيح : « والى جانب ذلك » أو « وبإضاف
الى ذلك » ، لان معنى « بالإضافة » النسبة . قال سيويه : « هذا باب
الإضافة وهو باب النسبة » (٢١) .

(١٨) سورة الأعراف ، الآية ٧٠ . (١٩) سورة غافر ، الآية ٨٤ .

(٢٠) سورة النساء ، الآية ٧٨ . (٢١) كتاب سيويه ج ٢ ص ٣٣٥ .

١٧ - استعمال « أجاب على » بدلاً من « أجاب عن » ، يقال : « أجبت عن الاسئلة » لا « على الاسئلة » .

١٨ - استعمال « تكلم عن » بدلاً من « تكلم على » ، يقال : « تكلمت على على السؤال الأول » أو « تكلمت على الموضوع » أو « في الموضوع » لا « عن السؤال » أو « عن الموضوع » .

١٩ - استعمال العدد استعمالاً غير صحيح ، فيذكر بعضهم حيث ينبغي أن يؤنث ، أو يؤنث حيث ينبغي أن يذكر . وقاعدة العدد واضحة غير أنها تحتاج الى انتباه في الاستعمال .

٢٠ - استعمال بعض الالفاظ في غير معناها الصحيح أو الدقيق ، ومن ذلك « فشّل » ويريدون « خاب » أو « أخفق » . ومعنى « فشّل » تراخى وجبن ، قال تعالى : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » واصبروا إن الله مع الصابرين « (٢٢) .

٢١ - استعمال الالفاظ العامة أو الدخيلة ، تعمداً ، أو سهواً ، أو اعتقاداً بأنها صحيحة .

٢٢ - استعمال حروف الجر في غير مواضعها على الرغم من اتساع القول في هذه المسألة .

هذا ما يتردد في لغة المثقفين وهو غير كثير أو مما لا يمكن ضبطه ، ولا عبرة بكتبه التصحيح المترمة التي شاعت أخيراً وأشاع بعضها الارهاب اللغوي ، لأنها تعصبت أو تجاهلت كثيراً من طبيعة اللغة العربية وقلرتها على النمو ، وتبدل الدلالة وما فيها من طاقات مجازية واسعة المدى . وقد أريد بهذه الأمثلة التي تتردد في اللغة المعاصرة القول بأن المثقفين أقدر من غيرهم على

أن يقفوا عند هذه الأخطاء ويتعلموا الصحيح والتصحيح ، وأن لا يدعوا اليأس يتسرب الى نفوسهم فيحجب عنهم الرؤية ويسلمهم الى الشعور بأن اللغة العربية صعبة ، أو يدفع بعضهم الى القول بان الكتابة والتأليف باللغة الأجنبية أكثر يسراً . والتغلب على هذه المسائل يتأتى بقراءة النصوص الرفيعة ، وحفظ بعضها ، والتأمل في أساليب تركيبها ، وبالرجوع الى المعجم وما ألفت قديما في التصحيح اللغوي مثل « درة الغواص في أوام الخواص » للحريري ، أو ألفت حديثاً مثل « معجم الأخطاء الشائعة » و « معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة » لمحمد العدناني ، وما جاء على غرار « قل ولا تقل » للدكتور مصطفى جواد .

إن اللغة تعامل بالكلمة ، وممارسة للكتابة ، والعودة الى المعجم وكتب القواعد ، ومن غير ذلك لن يتم للمثقفين أو غيرهم امتلاك ناصية التعبير السليم . وصفوة القول : إن الاهتمام باللغة العربية ، والايمان بانها لغة الحياة لا لغة الأدب وحده ، وضبط مبادئ النحو ، وحفظ بليغ الكلام ، والاطلاع على روائع الأساليب ، وممارسة التحدث والكتابة بها ، يكفل أن يتجنب المثقفون كثيراً مما يقعون فيه من أخطاء . وليس بدعاً أن يقعوا في الخطأ ، فكثير من مثقفي الشعوب يتعرضون لذلك ، ولكن البدعة أن يصبر بعضهم على الخطأ ولا يحرص على لغته او لا يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، وهو القدوة الحسنة لابناء الأمة ، ومربي النشء ، ورائد النهضة العلمية . ومن هنا كان لابد للمثقف من أن يعرف اللغة التي يتحدث ويؤلف بها معرفة تعينه على نقل أفكاره نقلاً دقيقاً ، وهي ليست لغة الشعراء المحلقين في عالم الخيال ، أو لغة عامة الناس ، بل لغة العلم والثقافة والتعبير الدقيق . وله في مثقفي الأمة أسوة حسنة ، إذ كانوا نجومياً في عالم اللغة وهم يؤلفون في التاريخ والطب

والفلك وعلوم الحياة ، وما أجدره اليوم بأن يصون لغته القومية ويحرص على
تنفيذ « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » الذي كان القطر العراقي اول
المشرعين له في الوطن العربي ، وهو قانون انطلق من أهمية اللغة العربية
ودورها في وحدة الأمة وتقدمها الحضاري في هذا العصر .



المصادر

- ١ - الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون - القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م .
- ٢ - الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٣ - السيرة النبوية - ابن هشام . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٤ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - بهاء الدين عبدالله بن عقيل النعيلي المصري . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحמיד . الطبعة السادسة - القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ٥ - كتاب مسيوه - أبو بشر عمرو بن عثمان . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . ج ٣ (القاهرة ١٩٧٣ م) .
- ٦ - كتاب العبيدنة - أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني . مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب - جامعة بغداد .
- ٧ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين ابن الأثير . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحמיד . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ٨ - معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة - محمد العدناني . بيروت ١٩٨٤ م .
- ٩ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - جمال الدين بن يوسف بن هشام الانصاري المصري . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحמיד . القاهرة .
- ١٠ - المفصل - جار الله الزمخشري - الطبعة الثانية - بيروت .
- ١١ - مقدمة لدراسة فقه اللغة - الدكتور محمد أحمد أبو الفرج . بيروت ١٩٦٦ م .

تثليث الزاوية بالتقارب والدالات الميكانيكية

لبني موسى وعالمين اوروبيين نقلا برهانيهما عن بني موسى
(دراسة وتحقيق)

الدكتور علي اسامه عبد اللطيف

جامعة البترول والمعادن / الظهران

تمهيد :

نتكلم في هذه الصفحات عن مسألة تقليدية قديمة وهي « تثليث الزاوية » ،
أي قسمة الزاوية المستقيمة الخططين الى ثلاثة أقسام متساوية ، وقد عولجت
هذه المسألة مرارا وتكررا في العصور الاغريقية والاسلامية والوسطى .

كلمة « التقارب » التي نستعملها هنا هي اجتهاد من طرفنا في محاولة ترجمة
الكلمة اليونانية « نيوسيس NEYSEIS » وهي باللاتينية inclintio
وترجمتها بالانجليزية verging أو inclination وبالالمانية einschabung
وجميع هذه الكلمات بما في ذلك الكلمة اليونانية الاصلية لا تفي بالغرض
المطلوب .

يشير بابوس الاسكندري pappus (نهاية القرن الثالث الميلادي) الى
كتابين (مفقودين حاليا) لابولو نيوس (القرن الثالث ق . م) عنوانهما
« التقارب » ويعطي جملة عامة كتفسير لكلمة « التقارب » فيقول : « يقال ان
الخط يتقارب من نقطة ، اذا امتد ، وصل النقطة » . ثم يعطي بابوس تفسيرات
لبعض الحالات الخاصة وتذكر هنا احد هذه التفسيرات لأن هذا التفسير له
علاقة بموضوعنا ، اذ يقول : « خطان وضعهما معلوم ، ليوضع بينهما خط
مستقيم طوله معلوم ويتقارب من نقطة معطاة » . وهذا يعني اننا نريد
ان نرسم خطاً مستقيماً بين خطين مستقيمين (او منحنيين او خط مستقيم

ومنحنى (يمر امتداده بنقطة معطاة بحيث يكون طول القطعة بين الخطين يساوي طولاً معلوماً . (نلاحظ ان كلمة خط تعني خطاً مستقيماً أو منحنياً) .

يوجد ما لا نهاية من الزوايا التي يمكن تثليثها بالمسطرة والفرجار مثل الزاوية القائمة وغيرها ، ولكن تثليث الزاوية العامة بالمسطرة والفرجار امر ، مستحيل ، اذ اثبت وانتزل P.L. Wantzel سنة ١٨٣٧م ببرهان جبري انه يوجد زوايا لا يمكن تثليثها بالمسطرة والفرجار .

في بادىء الامر اراد اليونانيون القدامى تثليث الزاوية العامة بالمسطرة والفرجار ولم يستطيعوا ذلك ، وبالتالي اصبحت مسألة تثليث الزاوية مسألة مهمة بالنسبة لهم ، وبما انهم لم يكونوا على علم بخصائص التقطوع المخروطية فانهم حاولوا تثليثها بطرق اخرى ، واستطاعوا تثليثها استنادا الى مسألة التقارب ومنحنيات ترسم بالآلات ميكانيكية ، ويذكر في الكتب المتخصصة منحنيان من هذا النوع وهما :

(١) منحنى هيباس أوف أليس (ولد حوالي ٤٦٠ ق . م) .

Trisectrix or Quadratrix of Hippias (of Ellis)

(٢) منحنى نيقوميديس (ولد حوالي ٢٧٠ ق . م) .

Conchoid of Nicomedes

بعد أن عرف اليونانيون خصائص التقطوع المخروطية نجد انهم ثلثوا الزاوية استنادا الى خصائص التقطوع المخروطية .

(ملاحظة : اقتبسنا المعلومات السابقة من كتب : ايفور توماس [١] ، والسير توماس هيث [٢ ، ٣ ، ٤] ، نانت وجونز ويديانت [٥] . ارقام الصفحات المذكورة في قسم المراجع) .

(*) نضع ارقاما داخل قوسين مثل [١] ، [٢] ، ... مشيرين الى ارقام المراجع المذكورة في آخر هذه الصفحات .

وقد قام العديد من العلماء العرب بتثليث الزاوية استنادا الى خصائص القطوع المخروطية وبالذات القطع الزائد (بإمكان من اراد أن يقرأ بعض هذه الاعمال العربية أن يقرأ تحقيق الامتاز الدكتور أحمد سعيدان [٦]) .

ان العقل الرياضي يقبل تثليث الزاوية استنادا الى خصائص القطوع المخروطية اكثر من تقبله تثليث الزاوية استنادا الى مسألة التقارب والمنحنيات التي ترسم بالآلات ميكانيكية وان هدفنا هنا هو تحقيق وتقديم عمل هندسي عربي اصيل غير منقول عن اليونانيين ولا يشبه اي عمل سابق وهو تثليث الزاوية لبني موسى بن شاكر ، وسنوضح أن اثنين من اقدر علماء العصور الوسطى الاوروبيين وهما جوردانوس وكامبانوس قد قاما بما يقارب النقل الكامل له ونسبناه لتفسيرهما . ان هذا العمل لا يعتمد على خصائص القطوع المخروطية بل يعتمد على منحنى يرسم بالآلة ميكانيكية لحل مسألة التقارب ، وقد وصف هذا المنحنى ضمن برهان بني موسى الذي سنورده فيما يلي والذي هو حل أصيل وبالتالي فالنا سنسميه « منحنى بني موسى بن شاكر » .

بنو موسى بن شاكر :

هم ثلاثة اشقاء ، محمد ، وأحمد ، والحسن . ولدوا وتوفوا في بغداد في القرن التاسع الميلادي . يقال إن والدهم ، موسى بن شاكر ، كان في حياته قاطع طريق الا انه تاب واصبح منجما (او فلكيا) عند المأمون . توفي والدهم وهم صغار فوصى بهم المأمون اسحق بن ابراهيم المصعبي واثبتهم مع يحيى ابن ابي منصور في بيت الحكمة . حملوا مع محمد بن موسى الخوارزمي على عاتقهم قيادة وتوجيه البحث العلمي في بيت الحكمة ، فالخوارزمي مؤسس الجبر ، بينما اهتم بنو موسى في الهندسة والميكانيكا والفلك . اسسوا مدرسة الترجمة التي انتجت الكثير من ترجمات الاعمال اليونانية الى العربية . وهم على ذلك من اوائل من درس الرياضيات اليونانية ، كما انهم من اوائل مؤسسي

الرياضيات العربية. لم يكونوا مقلدين للاعمال اليونانية بل استقلوا وانتجوا اعمالا مهمة ، وكان لاعمالهم اثر بالغ في تطوير الرياضيات العربية . وقد كانوا يعملون البعثات للبحث عن المخطوطات العلمية وشرائها ، ويقال إن محمداً (والبعض يقول احمد) كان بترأس إحدى هذه البعثات واحضر معه الى بغداد ثابت بن قرة الذي بدأ حياته العلمية الزاهرة بترجمة المخطوطات اليونانية الى العربية .

نقرأ في كتاب تاريخ الحكماء لابن القفطي [٧] ان بني موسى كانوا : « أبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل » ، والمقصود بعلم الحيل هو علم الميكانيكا أو علم الادوات الميكانيكية . كتاب وفیات الاعيان لابن خلكان [٨] يقول : « وكان لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الاوائل ، واتبعوا انفسهم في شأنها ، وانقلوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم ، واحضروا النقلة من الاصقاع التاسعة والاماكن البعيدة بالبدل السخي ، فاظهروا عجاب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل » . ويذكر كل من ابن النديم [٩] وابن القفطي [٧] بعض اعمال بني موسى ، ونذكر هنا فقرة من كتاب الفهرست لابن النديم [٩] بهذا الخصوص : الا اننا ، تسهيلا للقارئ ، نضع علامات ترقيم بين كلمات ابن النديم ، فتصبح الفقرة كالآتي : « ولبنی موسى من الكتب : كتاب بنی موسى فی القرسطون ، كتاب الحیل لاحمد بن موسى ، كتاب الشكل المدور المستطیل للحسن بن موسى ، كتاب حركة القلک ، مقالة لمحمد كتاب المخروطات ، كتاب ثلث (٤) لمحمد ، كتاب الشكل الهندسي الذي يتن جالينوس امره لمحمد ، كتاب الجزء لمحمد ، كتاب يتن فيه بطريق تعليمي ومذهب هندسي انه ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة لاحمد بن موسى ، كتاب في اولية العالم لمحمد . كتاب المسألة التي القاها احمد بن موسى على سند بن علي ، كتاب على مائة الكلام

مقالة لمحمد ، كتاب مسائل جرت أيضا بين سند وبين احمد ، كتاب مساحة الاكر وقسمة الزوايا بثلاثة اقسام متساوية ووضع مقدار بين مقدارين ليتوالى على قسمة واحدة .

يهما الحسن لانه مؤلف برهان تثليث الزاوية الذي هو موضوعنا . يقول ابن القفطي [٧] : « وكان الحسن هو الثالث منفرداً بالهندسة وله طبع عجيب فيها لا يدانيه احد علم كل ما علم بطبعه ولم يقرأ من كتب الهندسة الا ست مقالات من كتاب اقليدس في الاصول فقط وهي اقل من نصف الكتاب ولكن ذكره كان عجبيا وتخيله كان قويا حتى حدث نفسه باستخراج مسائل لم يستخرجها احد من الاولين كقسمة الزاوية بثلاثة اقسام متساوية وطرح خطين بين خطين ذوى توال على نسبة . »

كانت اعمالهم تكتب باسم الاشقاء الثلاثة على شكل : « كتاب لبني موسى » . يقول ابن القفطي [٧] : « فانهم لا يعترفون الابني موسى » . من اشهر اعمالهم عالميا هو كتاب حرره الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي واعطاه الاسم : « كتاب معرفة مساحة الاشكال البسيطة والكربية - لبني موسى » ، ولا نعرف بالضبط اسم الكتاب الاصلي ، الا ان ابن التديم [٩] ، كما اوضحنا اعلاه . ذكر اسم الكتاب على شكل : « كتاب مساحة الاكر وقسمة الزوايا بثلاثة اقسام متساوية ووضع مقدار بين مقدارين ليتوالى على قسمة واحدة » ، اما ابن القفطي [٧] فذكر الاسم : « كتاب مساحة الكرة وقسمة الزاوية بثلاثة اقسام متساوية . من الواضح أن الاسماء المذكورة في كتابي ابن التديم وابن القفطي هي اسماء جزئية لمحتويات الكتاب الذي يحتوي على ثمان عشرة نظرية قوية ومهمة . يوجد العديد من المخطوطات في مكتبات العالم شرقها وغربها للكتاب الذي حرره الطوسي » كتاب معرفة مساحة الاشكال البسيطة والكربية - لبني موسى » : اما الكتاب الاصلي لبني موسى باللغة العربية

فهو مفقود ، ولا يوجد منه الا ترجمات غير سليمة باللاتينية ، وقد ترجمه جيرارد اوف كريمونا في القرن الثاني عشر الميلادي (اي قبل تحرير الطوسي لكتابهم في القسرون الثالث عشر الميلادي) واعطاه الاسم : Liber trium fratrum de geometria . لقد أخذ الاوربيون الهندسة اليونانية عن العرب لا عن اليونانيين ثم نقلوها الى اللاتينية وظلوا يتدارسونها كما عرفوها من العرب الى اواخر القرن السادس عشر حينما عثر الباحثون ، عام ١٥٨٣ م ، على مخطوط من كتاب اقليدس باللغة اليونانية . كتاب بني موسى « معرفة مساحة الاشكال » هو من اوائل الكتب العربية التي ترجمت الى اللاتينية . وبما ان الغرب لم يكن قد حصل على مخطوطات يونانية في ذلك الوقت ، كما ان تثليث الزاوية لبني موسى هو اول تثليث للزاوية وصل الغرب . ايضا نقول ان تثليث الزاوية لبني موسى هو اول تثليث عربي للزاوية . وقد نقل العديد من علماء العصور الوسطى عن كتاب بني موسى المذكور ونسبوا البراهين لانفسهم ومنهم جوردانوس وليناردو اوف بيزا (ليناردو بيزانو - ليناردو فيبوناشي ؟ [١٠] الذي نقل العديد من براهين الكتاب بصورة تكاد تكون حرفية علما بأن الغرب يعتبر ليناردو اوف بيزا اهم علماء العصور الوسطى .

Jordanus De Nemore

جوردانوس دي نيموري

لا يعرف تاريخ ولادته او وفاته بالضبط . المرجح انه عاش في نهاية القرن الثاني عشر واولائل القرن الثالث عشر ، اذ انه عاصر ليناردو اوف بيزا (١١٧٠ - ١٢٥٠ م) . القس نيكولاس تريفيت (١٢٥٨ - ١٣٢٨) يذكر ان جوردانوس عاش (؟ - ١٢٣٧ م) . يعرف ايضا بالاسم جوردانوس نيوراريوس . له كتاب اسمه « De datis numeris » ولايد وان الكثير من مادة هذا الكتاب مأخوذة عن « كتاب الجبر والمقابلة - لابي كامل » الذي ترجمه جيرارد اوف كريمونا في القرن الثاني عشر . له اعمال في

الحساب والهندسة والفلك والميكانيكا . الغرب يعتبره من اقدر علماء العصور الوسطى .

Johannes Campanus of Novara

كامبانوس

عاش في القرن الثالث عشر الميلادي . اهم اعماله هو ترجمة لكتاب اقليدس في الاصول الهندسية من العربية الى اللاتينية حوالي سنة ١٢٦٠ م . الحق المقالة الرابعة من كتاب اقليدس ببرهان تثليث الزاوية المذكورة في هذه الصفحات .

(ملاحظة : اقتبسنا المعنومات السابقة بخصوص بنى موسى وجوردانوس و كامبانوس من كتب : فروخ [١١] ، بوير [١٢] ، هيوز [١٤] ، كلاجيت [١٥] ، (معجم اعلام العلوم) DSB [١٦] ، سارتون [١٧] . ارقام الصفحات مذكورة في قسم المراجع) .

التحقيق والترجمة :

اننا نفترض ان الناسخ لا يعرف هندسة بما فيه الكفاية ونصحح اخطاء الناسخ الهندسية واللغوية بصمت دون ان نذكرها ، اذ اننا لا نرى ضرورة لأخذ حيز كبير لاطهار اخطاء الناسخ . في كثير من الاحيان يكتب الناسخ الكلمات دون ان يضع النقط على الحروف ونحن نضعها على الحروف . تسهلا للقارئ نضع علامات ترقيم بين كلمات المؤلف . نكتب « ثلاثة » بدلا من « ثلثة » . نفصل الحروف المتصلة بالحروف الهندسية فنكتب « فـ أ ب » بدلا من « فاب » ونكتب « لـ أ ب ج » بدلا من « لايج » . في بعض الاحيان نجد ان المؤلف يعامل المثني بصيغة الجمع والمؤنث بصيغة المذكر او العكس ونحن لا نصحح هذه الاخطاء طالما انها لا تغير المعنى الهندسي الصواب . اذا اقتنعنا بوجود خطأ هندسي من المؤلف فلا نصححه ، الا اننا نعلق عليه بعد الانتهاء من كتابة كلام المؤلف . ما نضيفه من طرفنا

الى كلام المؤلف بسبب نقص كلمة أو نقص حرف نضعه بين قوسين كبيرين [.....] وفي بعض الاحيان النادرة وعند الضرورة نضع توضيحاً بين قوسين صغيرين ونكتب (يقصد : ...) .

نشر مارشال كلاجيت [١٥] تحقيقاً باللاتينية وترجمة بالانجليزية لبرهاني جوردانوس وكامبونوس في مجلده الأول من مجلداته « ارشميدس في العصور الوسطى » . نترجم هذين البرهانين من هذا الكتاب ونعتمد في ترجمتنا على التحقيق اللاتيني اكثر من اعتمادنا على الترجمة الانجليزية وذلك لاننا رأينا ان مارشال كلاجيت تصرف في ترجمته الى الانجليزية .

في ترجمتنا للاحرف الهندسية اللاتينية الى العربية ، نحاول اعادة الاحرف العربية الأصلية التي ترجمها جيرارد اوف كريمونا الى اللاتينية ، وسنستكمل عن هذا بتفصيل اكثر ضمن تعليقتنا المرفق مع برهان جوردانوس ، اذ نعتقد اننا وجدنا « نظاماً معيناً » استعمله جيرارد اوف كريمونا في ترجمته من العربية الى اللاتينية . لقد حاولنا ان تكون الترجمة مطابقة للاصل بقدر الامكان مع الاحتفاظ بالمعنى ، وعليه فقد تلبو الترجمة ركيكة !

سنكتب « التعليق — التحليل — المقارنة » الذي يخص كلام كل مؤلف مباشرة بعد الانتهاء من كلام المؤلف ونبدأ كلامنا بكلمة « تعليق » .

المخطوطات :

(أ) نحقق شكل بيح (اي نظرية ١٨) من « كتاب معرفة مساحة الاشكال البسيطة والكرة » لبني موسى بن شاكر — تحرير محمد بن محمد بن الحسن الطوسي . نعتد في تحقيقنا لهذه النظرية على :

(١) مخطوطة ابا صوفيا رقم ٢٧٦٠ — الصفحات ١٧٧ أ — ١٨٣ ب .
نسخت سنة ٨٤٥ هـ .

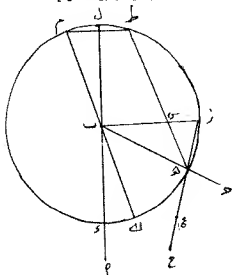
(٢) كتاب « مجموع الرسائل ... للطوسي » ، المجلد الثاني - المطبوع بمطبعة
جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ
(١٩٤٠) . هذه الطبعة مطبوعة بأخطائها افندسية وهي غير محققة وغير
مدققة .

(ب) نترجم تحقيق مارشال كلاجيت [١٥] لمسألة ٢٠-٢١ (IV . 20)
من كتاب جوردانوس « في المثلثات » . اعتمد كلاجيت في تحقيقه لهذه
المسألة على المخطوطات :

- (a) Dresden, Sach. Landesbibliothek, Db 86 5gr-v, early 14c. Ed.
- (b) Paris, BN. lat. 7434, 85v - 86r, 14c.
- (c) London, Brit. Museum, Sloane 285, 90r-v, 14c.
- (d) London, Brit. Museum, Harleian 625, 129r, 14c.

(ج) نترجم تحقيق مارشال كلاجيت [١٥] لمسألة تثلث الزاوية التي اخذها
من « تعليق كامبانوس على كتاب الاصول الهندسية » . طبع كتاب
كامبانوس باللاتينية سنة ١٤٨٢ م ، في editio princeps .
يقول كلاجيت انه نقل المسألة تقريباً كاية من editio
princeps (Venise, 1482) وانه اصلحها فقط في مكانين اعتماداً على
نسخة ثانية طبعت سنة ١٥٤٦ م (Ed2 Base, 1546, p. 586) .

[بنو موسى بن شاكر]



(يح) [نظرية ١٨] : لنا أن نقسم بهذه الحيلة اي زاوية شئنا بثلاثة أقسام متساوية . فليكن الزاوية أ ب ج ، وليكن أولا أقل من قائمة . ونأخذ من خطي ب أ ، ب ج مقداري ب د ، ب هـ متساويين ، ونرسم على مركز ب وبعدهما [دائرة] د هـ ل . ونخرج د ب الى ل . ونقيم ب ز عمودا على ل د . ونفصل هـ ز ونخرجه الى ح لا الى غاية . ونفصل من ز ح ، ز ع مثل نصف قطر [ال] دائرة . فاذا توهمنا ان ز ح يتحرك الى ناحية نقطة ل ونقطة ز لازمة للمحيط في حركتهما ، ونخط ز هـ ح في حركته لا يزال يمر على نقطة هـ من [ال] دائرة د هـ ل . وتوهمنا نقطة ز لا يزال يتحرك حتى تصير نقطة ع على خط ب ز ، وجب حينئذ ان تكون القوس التي بين الموضع الذي انتهت اليه نقطة ز وبين نقطة ل هي ثلث قوس د هـ ، والزاوية التي يوترها هذا القوس ثلث زاوية د ب هـ .

برهانه ليكن الموضع الذي انتهت اليه ز نقطة ط . ونخرج ط ه بقطع ب ز على س فخط ط س مساو لنصف قطر الدائرة لكونه مساويا ل زع . ونخرج من المركز قطرا يوازي ط ه وهو م ب ك . ونخرج م ط . ف ط س مساو وموازي ل م ب ، و م ط مواز ومساو ل ب س ، و ب س عمود على ل د . ف م ط عمود على ل د ، ولذلك يكون [م ط] مُنْصَفًا بِالْقَطَر ، ويكون م ل مثل ل ط ، و د ك مثل م ل ، و م ط مساويا ل ك ه ، ف د ك مثل نصف ك ه وثلاث د ه ، وزاوية ك ب د ثلث زاوية أ ب ج . وذلك ما اردناه .

ويحرك بالحيلة المذكورة ز ح على أن يتحرك ز على المحيط لا يفارقه ولا يزال يمر خط ز ح في حركته على نقطة ه حتى تقع نقطة ع على خط ب ز ، ويتم المطلوب . وان كانت الزاوية منفرجة نصفناها وثلثنا النصف ، فيكون ثلثا ثلث المنفرجة .

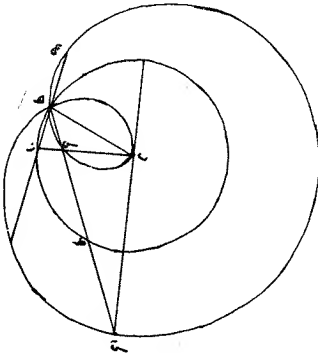
تعليق :

عند قول المؤلف « لنا أن نقسم بهذه الحيلة » فانه يشير الى طريقة « حيلة » استعمالها في المسألة السابقة من كتابه « كتاب معرفة مساحة الأشكال » وتلك الحيلة تشبه الحيلة التي يستعملها في هذه المسألة كي يجد حلا لمسألة التقارب الواردة في البرهان . والحيلة هنا هي كيفية تحريك الخط ز ح بحيث تبقى ز ملازمة للمحيط بينما الخط ز ح يمر دائما من النقطة ه ، وسنحل الآن هذه الحيلة التي هي اهم شيء في البرهان والتي تعطينا منحني بني موسى .

لنتخيل آلة ميكانيكية فيها قاعدة دائرية ثابتة ، وهذه الدائرة مجوفة دائريا على المحيط ، ونقطة ثابتة (ممر ثابت) على الدائرة وهي ه . عندنا قضيب طويل بما فيه الكفاية ، ونضع علامة (اي نثبت مسماراً او ما يعادله) على

تشليث الزاوية بالتقارب والالات الميكانيكية

القضيب تسميها ز ، وعلى احد طرفي ز علامة ع على القضيب بحيث يكون طول ع ز - نصف قطر الدائرة . نضع القضيب على الدائرة وندخل المسدس في التجويف الدائري على محيط الدائرة . لتتحرك الآلة بحيث تبقى العلامة ز ملازمة لمحيط الدائرة ويسر القضيب دائما من النقطة الثابتة (الممر الثابت) ه ، ونرسم المحل الهندسي لحركة النقطة ع . فطالما ان ز تدور حول محيط الدائرة فان المحل الهندسي للنقطة ع هو منحنى قوسي دليله (قاعدته) الدائرة . (انظر الشكل) . هذا المنحنى مكون من (اتحاد) القطعة المولبية الصغيرة الموجودة داخل الدائرة والمنحنى الموجود خارج الدائرة . كما ذكرنا في تمهيدنا ، سنسمي هذا المنحنى « منحنى بني موسى بن شاكر » .



نلاحظ ان تحرك ز على المحيط باتجاه ط يجعل النقطة ع تصل النقطة ه
ثم تدخل الدائرة لترسم لنا القطعة المولوية الداخلية . بالنسبة لبرهان بني موسى
فالشيء المهم هو موقع الخط ط س ه ، وبما أن النقطة ه ثابتة فهذا يعني
أننا نريد النقطة المهمة س كي نصلها بالنقطة ه ونحصل على الخط المهم .
وكما نرى فإننا وجدنا النقطة س وهي تقاطع المنحنى مع الخط ب ز . بلغة
التقارب فنحن ادخلنا الخط المعلوم الطول ز ع = ب ز = ط س بين الدائرة
والخط ب ز فالخط ط س يتقارب باتجاه النقطة الثابتة ه ، وبالتالي فإننا
وجدنا الحل لمسألة التقارب .

لايجاد معادلة قطبية لمنحنى بني موسى (المحل الهندسي لمسار النقطة ع)
نقول : لنكن ه هي القطب (نقطة الاصل) وليكن ه ب ممتدا هو المحور
القطبي (المحور السيني الموجب) . نفترض ان نصف القطر يساوي أ .
فمن معرفتنا بالاحداثيات القطبية (من كتب التفاضل والتكامل) نعرف
أن معادلة الدائرة المذكورة في برهان بني موسى هي $r = 2 \cos \theta$ حيث
أن قطعة المستقيم ه ط - ر = $2 \cos \theta$. ولكن بالنسبة لمنحنى بني موسى فنرى
أن قطعة المستقيم ط س = أ وبالتالي فقطعة المستقيم ه ط مستساوي $2 \cos \theta$
حتام + أ = أ (١ - ٢ حتام) أي أن معادلة المنحنى هي :

$$r = 2 \cos \theta + 1$$

نكرر القول أن برهان بني موسى المذكور هنا لتثليث الزاوية لم يعرف
قبل بني موسى وبالتالي فالبرهان « اصيل » ، كما ان هذا البرهان هو أول
برهان لتثليث الزاوية وصل الغرب ، وهو ايضا أول برهان عربي لمسألة
تثليث الزاوية .

ايضا نقول انه لا يوجد اي اشارة او اي دليل يدل على ان منحنى بني
موسى قد رسم او قد عرف او قد وصف قبل بني موسى ، وبالتالي فهو « اصيل »

يوجد براهين لتثليث الزاوية بها ثغرة وهي عدم حل مسألة التقارب وبالإمكان ملئ هذه الثغرة باستعمال منحني بني موسى . مثلا : نعلم ان اشهر تثليث زاوية موجود في كتب تاريخ الرياضيات الغربية الحديثة هو تثليث الزاوية المنسوب لارشميدس (وهذا البرهان هو المسألة (٨) من كتاب مأخوذات » المنسوب لارشميدس من قبل ثابت بن قرة الذي ترجم الكتاب . هذا البرهان فيه ثغرة وه ان ارشميدس لم يعط حلا لمسألة التقارب ، والسير توماس هيث [٢] يقول ان ارشميدس افترض امكانية حل مسألة التقارب دون اعطاء حل لما في هذه المسألة وفي المسائل ٥ ، ٦ ، ٧ من كتاب ارشميدس » المنحنيات اللولبية On Spirals . معظم الكتب الغربية تذكر برهان ارشميدس دون ذكر هذه الثغرة . ونقول هنا انه بإمكاننا ، وبسهولة ، ملئ هذه الثغرة الموجودة في برهان ارشميدس باستعمال منحني بني موسى . يبدو لنا ان ابن الهيثم انتبه الى هذه الثغرة الموجودة في برهان ارشميدس ، اذ نعلم ان ابن ابي اصيبعة [١٨] يذكر في كتابه » عيون الانباء في طبقات الاطباء » (صفحة ٥٥٥) ان لابن الهيثم رسالة عنوانها » رسالة في برهان الشكل قدمه ارشميدس في قسمة الزاوية ثلاثة اقسام ولم يبرهنه » .

في كتب التفاضل والتكامل الغربية الحديثة نجد ان منحني بني موسى يسمى ليماكون Limacon أو ليماكون اوف باسكال Limacon of Pascal لذلك راجعنا الموسوعة البريطانية [١٩] بخصوص المنحنيات الخاصة فوجدنا ان روبرير فال G.P. Roberval (١٦٥٠م) يقول بأن ايتيين باسكال Etienne Pascal قد اكتشف منحنى ، وسماه روبرير فال بالاسم ليماكون اوف باسكال وان معادله الديكارتية العامة هي :

$$(س + ٢ص + ٢أ) = ٢ب - ٢(س + ٢ص + ٢أ)$$

كما ان معادله القطبية العامة هي $ر = ب + ٢أ$ حتام .

الدكتور علي اسحق عبداللطيف

حيث ب هي القطعة ع ز المذكورة اعلاه كما ان هي نصف قطر الدائرة .

ونقول هنا انه في الحالة $A = B$ تصبح المعادلة القطبية هي :

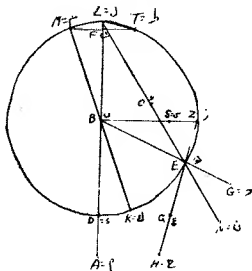
$r = A(1 + 2 \cos \theta)$ وهي معادلة منحنى بني موسى الذي تكلمنا عنه .

وهنا نسأل : من هو اول مكتشف لهذا المنحنى ؟



[جوردانوس]

[المسألة من كتاب جوردانوس الرابع « في المثلثات »]



[العنوان] : لقسمة أي زاوية مستقيمة الخطين الى ثلاثة اقسام متساوية .

فلتكن الزاوية الحادة أ ب ج هي المطلوب تثليثها . بافترض ب ك مركز ،
لتكن دائرة د ز م مرسومة . ليخرج د ب الى ل . وليكن ب ز قد اقيم كعمود
على د ل . ثم ليخرج خط ز ه الى ح . وانني [لا] افترض ح داً نهائياً
للخط ز ح . وسأفصل من ز ح ، ز ع مثل نصف القطر د ب . اذن ،
لنتوهم أن الخط ز ه ح تحرك الى قاحية ل بحيث أن ز ، أثناء هذه الحركة ،
لا تفارق المحيط ، والخط ز ح يستمر بالمرور من ه ويلازم ه ، وتستمر ز
بتحركها الى ان تقع ع على ب ز . ولتكن نهاية التحرك (يقصد : تحرك ز)
هو ط . اذن جزء من خط ز ح او بكلام آخر ز ح ينطبق على ط ه ، و ط م

يساوي زع الذي يساوي نصف القطر ب د . أقول ، بالإضافة الى ذلك ، ان [قوس] ط ل مثل ثلث قوس د ه . من النقطة ب لرسم ب م موازيان للخط ط ه ، ونخرج ب م الى ك ، ولتكن النقطتان ط و م متصلتان . نكمل : ط س يساوي م ب وبوازيه . إذن ، م ط ، ب س متساويان ومتوازيان . وب عمود على دل . إذن م ط سيقطع دل على زاويتين قائمتين . إذن ، دل سينصف قوس م ط . إذن ، القوسين م ل ، ل ط متساويين . ايضا م ل ، د ك قوسان متساويان لأن م ك ، دل يقطعان بعضهما البعض في المركز ب ، ويعملان زاويتين متساويتين [بالرأس] . إذن بالتساوي مرتين ، قوس ك ه هو ضعف قوس د ك . إذن ، زاوية ك ب ه هي ضعف زاوية ك ب د . إذن ، قسمت الزاوية ك ب ه الى نصفين متساويين والزاوية المطلوبة أ ب ح الى ثلاثة اقسام متساوية . الآن ، اذا كان المراد تقسيم زاوية منفرجة الى ثلاثة اقسام متساوية ، لتكن اولاً قد نصفت حتى يكون كل نصف زاوية حادة . ثم ليثلث كل نصف بالطريقة المذكورة . إذن ، ذلك المراد اصبح واضحاً .

نفس الشيء يمكن برهانه بشكل اوضح قليلا بتغير واحد فقط وهو ، بدلا من ح ز . ليرسم الخط ل ه ن . وبما أن ل ب ز زاوية قائمة . ليكن و ل يساوي خط ب ل . إذن ، لتتوهم أن ن ل تحرك ناحية ز بحيث انه يمر دائما من ه ويستمر في التحرك الى أن تقع وعلى ب ز ، وهكذا كما سبق .

الحيلة المذكورة بخصوص تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية لا لا ترضيني أبدا ، فانا لا أجد أي شيء أكيداً فيها . لعملها بشكل يرضيني ، سأبين نفس الشيء بالطريقة الآتية . لتكن الزاوية الحادة أ ب ج . إذن ، يقدم الفرجار واقعا على ب ، لترسم دائرة ، ولنخرج أ ب الى ل على المحيط . ثم من المركز ، ليكن ب ز قد أقيم كعمود على دل ثم بمسألة ٥ - ١٩ (V.19)

من البير سيكتيف (Perspective) ليكن خط قد رسم من النقطة ه وينصف قطر ب ز بحيث يكون ط س = نصف القطر ب ل . إذن ، ليكن ب م قد رسم موازيا للخط ط س ه ، ثم اخرج الى ك . بما أن ب م ، ط س متساويان ومتوازيان ، يكون ب س و م ط متساويين ومتوازيين . إذن ، بما أن زاوية ل ب ز قائمة ، فتكون زاوية ب ف ط قائمة . إذن ، م ط سينصف بالخط ب ف . إذن ، قوس ط م هو ضعف قوس م ل . وليكن القوس م ط يساوي القوس ك ه بسبب التوازي . إذن ، قوس ك ه هو ضعف قوس م ل ، فأذن ضعف د ك . إذن ، نصف ك ه ، فيكون المطلوب قد عمِل . اذا كانت الزاوية منفرجة ، فلننصفها الى زاويتين حادتين ، وليؤخذ ثلث كل منهما ، ويكون المطلوب قد عمِل .

تعليق :

من المعلوم ان جيرارد اوف كريمونا (القرن الثاني عشر) Gerard of Cremona ترجم العديد من الاعمال العربية الى اللاتينية ومنها « كتاب معرفة مساحة الاشكال » لبني موسى بن شاعر . ومن المعلوم ايضا ان جوردانوس عندما استعمل ترجمات جيرارد اوف كريمونا وغيره من المترجمين ، فانه استعمل نفس الاحرف التي استعملها المترجمون .

هنا نرغب ان نذكر ملاحظتنا الآتية : لتذكر الابدجيد العربية الشرقية « ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ » .

الاحرف اللاتينية هي نفس الاحرف الانجليزية تقريبا ولكننا نجد انه لا يوجد الحرف (J) كحرف مستقل في اللاتينية الكلاسيكية فالحرف (I) هو احد انواع الحرف (I) وكان يستعمل في ذلك الوقت بدلا من (I) في اماكن معينة من الكلمات وبلفظ تقريبا (Y) بدلا من اللفظ (J) (تذكر : يوليوس قيصر Julius Caesar) . كذلك لا يوجد الحرف (W) في

الابجدية اللاتينية . لذلك نحذف الحرفين (W, J) من الاحرف الانجليزية فتصبح الابجدية اللاتينية هكذا :

A, B, C, D, E, F, G, H, I, K, L, M, N, O, P, Q, R, S, T, U, V, X, Y, Z, (بامكان القارئ مراجعة قاموس لاتيني — انجليزي مثل قاموس كامبل [٢٠]) .

والآن لنقارن الاحرف الهندسية الواردة في برهاني بني موسى وجوردانوس فنلاحظ ان الترجمة هي ترجمة لفظية طالما انه يوجد لفظ لاتيني يقابل اللفظ العربي فنرى أن :

A = أ ، B = ب ، C = ج ، D = د ، E = هـ ، F = ف ، G = ج ، H = ح ، I = ع ، K = ك ، L = ل ، M = م ، N = ن ، O = و ، P = ط ، Q = ع ، R = ح ، S = س ، T = ط ، U = ع ، V = ح ، X = ع ، Y = ح ، Z = ز . أما الاحرف العربية التي ليس لها لفظ مقابل باللاتينية فنرى أن هـ - E ، ح - H ، ع - Q وهي الاحرف الخامس والثامن والسادس عشر على التوالي في الابجديتين العربية واللاتينية . وكلامنا هذا يعطي الفكرة ان جيرارد أوف كرىمونا لم يكن يترجم الاحرف الهندسية العربية الى اللاتينية عشوائيا بل كان عنده « نظام معين » وهو ما وصفناه .

أما الحرفان « O » و « N » الواردان في برهان جوردانوس فليس لهما علاقة ببرهان بني موسى وهما اضافة من قريحة جوردانوس وترجمتهما عشوائيا بالحرفين « و » و « ن » .

نلاحظ ان برهان جوردانوس عبارة عن ثلاث فقرات او ثلاث براهين . لابد وان تكون الفقرة الطويلة الاولى (البرهان الأول) منقولة ، تقريباً حرفياً ، عن النسخة اللاتينية للمسألة (١٨) (تثليث الزاوية) من كتاب بني موسى . ولانجد ضرورة لاقناع القارئ بهذا الامر ، فما على القارئ سوى أن يقرأ البرهانين ويتبسم .

الفكرة الموجودة في الفقرة الثانية (البرهان الثاني) هي فكرة جوردانوس ولكن لا يوجد فيها شيء جديد ، فسواء تحركت ز الى ط ملازمة للمحيط

بحيث زح تمر من ه أو تحركت ل الى ط ملازمة للمحيط بحيث ل ن يمر من ه فالنتيجة واحدة وهو انخط المهم ط س ه ونفس حل المسألة التقارب وكذلك نفس منحنى بني موسى .

يبدأ جوردانوس الفقرة الثالثة (البرهان الثالث) بقوله « الحيلة المذكورة بخصوص تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية لا ترصيني أبدا ، فانا لا أجد أي شيء أكيداً فيها . لعلها بشكل يرصيني ، سأبين نفس الشيء بالطريقة الآتية » . ثم يعطي عملاً يطابق العمل الموجود في برهان بني موسى ثم يقول الجملة : « ثم بمسألة ٥ - ١٩ (V.19) من البير سبيكتيف Perspective ، ليكون خط قد رسم من النقطة ه وينصف قطرب ز بحيث يكون ط س يساوي نصف القطرب ل » . يبدو لنا أن جوردانوس يكاد يعترف أن البرهان ليس برهانه فطالما إنه ليس راضياً عن البرهان فلماذا يقدمه ثم يقدم برهاناً أفضل منه ؟ والذي لا يرضي جوردانوس في البرهان (برهان بني موسى) هو الحركة الميكانيكية التي استعملت للحصول على الخط المهم ط س ه ، وبالتالي فهو غير راض عن الحل الوارد في برهان بني موسى لمسألة التقارب . فجوردانوس يريد حلاً يقبله العقل الرياضي أكثر من الحل الذي يعتمد على الحركة الميكانيكية ، وبالتالي فإن جوردانوس قرأ كتاب اسمه بيرسبيكتيف ووجد في هذا الكتاب مسألة يقول أن رقمها ٥ - ١٩ (V.19) وهذه المسألة تعطيه النقطة المهمة س والخط المهم ط س ه وحل لمسألة التقارب بشكل يقبله العقل الرياضي أكثر من الحل الذي يعتمد على الحركة الميكانيكية . والان ما هذا الكتاب الذي اسمه بيرسبيكتيف Perspective ؟

من المعلوم أن « كتاب المناظر » لابن الهيثم قد ترجم الى اللاتينية في أواخر القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر ولا يعرف بشكل مؤكد من الذي ترجم هذا الكتاب . (لأخذ فكرة عن حياة وأعمال ابن الهيثم ،

بالامكان الرجوع الى المجلد السادس من « معجم اعلام العلوم » DSB [٢١] ،
وهي مقالة لعبد الحميد صبرة .

« كتاب المناظر » (١) عبارة عن تسعة كتب . والاسم الذي اعطي لهذا
الكتاب باللاتينية في ذلك الوقت هو *Perspectiva* . كما ان فريدريك
رايزنر Frederick Risner نشر الكتاب في بازل Basel سنة
١٥٧٢ في مجلد اسمه *Opticee thesaurus* . المهم ان الكتاب الخامس
من « كتاب المناظر » لابن الهيثم يحوي حلولا لمسائل كروية واسطوانية
وقطوع مخروطية ، وفي إحدى مسائل « الكتاب الخامس » هذا يستعمل
ابن الهيثم القطع الزائد لحل مسألة التقارب التي تعطينا الخط المهم ط س هـ
المذكور في برهان بني موسى والبرهان الذي ينسبه جوردانوس لنفسه . اننا
نعقد أن هذه المسألة هي المسألة التي يشير اليها جوردانوس في الفقرة الثالثة
(البرهان الثالث) بالرقم ٥ - ١٩ ١٩ . ٧ بيرسيكتيف . والآن فان
جوردانوس وجد حلا مقنعا رياضيا لمسألة التقارب ولايجاد الخط المهم ط س هـ
وأخذ هذا الخط واستعمله في الفقرة الثالثة وأكمل البرهان بطريقة مشابهة تماما
لبرهان بني موسى .

رأينا في البرهان الأول ان جوردانوس اخذ برهان « تثليث الزاوية »
تقريبا حرفيا عن بني موسى . نضيف قولنا اننا على علم بأن جوردانوس اخذ
برهان نظوية « وسط متناسب » (١) (ايجاد متداولين يقعان بين مقدارين
مفروضين لتتوالى الاربعة على نسبة واحدة) تقريبا حرفيا عن بني موسى .

(١) بعض المعلومات المذكورة هنا عن كتاب المناظر مقتبسة عن مقالة عبد الحميد
صبرة في « معجم اعلام العلوم » [٢١] .

(١) حسب قول مارشال كلاجيت [١٥] ص ٢٢٤ .

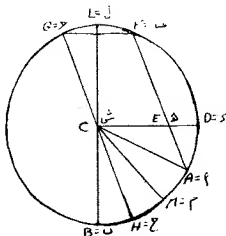
وأخذ البرهان الذي نسبته الطوسي للخازن بخصوص « معادلة هيرون » (٢) ،
كما أنه أخذ الكثير من مادة « كتاب الجبر والمقابلة » لابن كامل » (٣) .
علما بأن الغرب يعتبر جوردانوس من اقدر علماء العصور الوسطى وإلى
درجة ما من مستوى ليناردو أوف بيزا .



(٢) كتبنا بحثا بعنوان : « معادلة هيرون عبر العصور (أرجاع الفضل لاهل الفضل) » وقد اجيز هذا البحث للنشر في مجلة معهد المخطوطات العربية من قبل هيئة التحكيم ، وسينشر في الجزء الثاني من المجلد الثلاثين (يونيو - ديسمبر ١٩٨٦) في مجلة المذكورة .
(٣) اقرأ هيوز [١٤] ص ١١ .

[كامبانوس]

[من تعليق كامبانوس على كتاب الأصول]



[العنوان] لتقسيم زاوية معطاة الى ثلاثة اقسام متساوية .

لتكن الزاوية المعطاة هي ش . اريد ان اقسها الى ثلاثة زوايا متساوية ،
وسأعمل ذلك هكذا . اولاً ، افترض ش كمركز لدائرة وذلك برسم دائرة
مهما كانت . واخرج الضلعين اللذين يحويان الزاوية المعطاة الى ان يقطعا
المحيط في النقطتين أ ب . ثم . من النقطة ش ، التي هي مركز الدائرة ، ارسم
خط ش د عمود على خط ش ب . وعلى خط ش د أعين النقطة ه ، والتي
ارسم منها خطاً مساوياً ل ش ب حيث يقطع محيط الدائرة في النقطة ت
واخرج [الخط من] ه الى أ . ثم ارسم خط ج ح موازياً ل ف أ . واضح
أن ج ح يمر من المركز . وارسم ف ج موازياً لخط د ش ، واخرج ش ب
باستمرار على استقامته الى ل وامتداده يقطع ف ج عمودياً في النقطة و ،
و [بالتالي] يتصنفه . أقول ، إذن إن قوس ل ج مساو لقوس ح ب ، لأن

زاوية ل ش ج تساوي زاوية ح ش ب ، لأن الزاويتين متقابلتان بالرأس .
 قوس ف ج هو ضعف قوس ل ج ، أيضا قوس ف ج ضعف قوس ح ب .
 ولكن قوس ف ج يساوي قوس ح أ ، لانهما بين خطين متوازيين ف أ و
 ج ح . اذن قوس ح أ هو ضعف قوس ح ب . اذن ، زاوية أ س ح هي
 ضعف زاوية ح ش ب . اذن سأنصف زاوية ش ح بالخط ش م ، فذلك
 المطلوب قد اصبحت واضحا .

تعليق :

من الواضح ان كامبانوس أخذ البرهان عن بني موسى الا انه حاول
 اخفاء ذلك ، فغير الاحرف وحاول أن يختصر الحل حتى يبدو وكأن الحل
 من خاطره . ولكن في محاولته اختصار الحل وقع في فجوة ، اذ انه لم يدرك
 أهم مشكلة في الحل وهي حل مسألة التقارب . يقول كامبانوس : « أعين
 نقطة ه . والتي ارسم منها خطا مساويا ل ش ب بحيث تقطع محيط الدائرة
 في النقطة ف . واخرج [الخط من] ه الى أ ه .

النقطة ف ، ه ، أ هنا هم النقط ط ، س ، ه (على الترتيب) في
 برهان بني موسى . ان ايجاد النقطة ه (س عند بني موسى) هو الأمر الحيوي
 وهو حل مسألة التقارب ، اي اننا لا يمكننا ان نعين النقطة ه عشوائيا . فاذا
 عينا النقطة ه عشوائيا على الخط ش د ، ووصلناها بالنقطة أ . ومددنا الخط أ ه
 الى ف على المحيط فان ه ف لن يساوي نصف قطر الدائرة . ايضا ، اذا عينا ه
 على الخط ش د ورسمنا نصف قطر ه ف يقطع المحيط في النقطة ف ومددنا
 المستقيم ف ه على امتداده فلن يمر بالنقطة أ . وفي كلا الحالتين لا يمكن
 اكمال الحل . وبالتالي ، وحتى يصبح برهان كامبانوس صوابا فيجب علينا
 ملء الفجوة ، أي يجب حل مسألة التقارب ، أي يجب العودة الى الجملة
 (الحركة الميكانيكية) المذكورة في برهان بني موسى وعندئذ يصبح برهان
 كومبانوس نسخة طبق الأصل عن برهان بني موسى .

المراجع

REFERENCES

- [1] Ivor Thomas, Greek Mathematical Works, Vol. I, From Thales to Euclid, (London, William Heinemann Ltd., 1939). pp. 346-356.
- [2] Sir T.L. Heath, The Works of Archimedes, (New York, Dover Publications, Inc., This new Dover Edition is an unabridged reissue of Heath Edition of 1897 and includes the supplement of 1912). pp. c-ci.
- [3] Sir Thomas Heath, A History of Greek Mathematics, Vol. I, From Thales to Euclid, (Oxford, At the Clarendon Press, First Published 1921. Reprinted From Sheets of the First Edition 1960, 1965). pp. 235-244.
- [4] Sir Thomas L. Heath, A Manual of Greek Mathematics, (Dover Publications, Inc. New York. This new Dover edition, first published in 1963, is an unabridged and unaltered republication of the work first published by Oxford University Press in 1931). pp. 147-152.
- [5] Lucas N.H. Bunt, Phillip S. Jones, Jack D. Bedient, The Historical Roots of Elementary Mathematics, (Prentics-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1976). pp. 103-112.

[٦] تحقيق : الدكتور أحمد سليم سميدان ، تثليث الزاوية في العصور الإسلامية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثامن والعشرون - الجزء الأول ، يناير - يونيو ١٩٨٤ م . ص ٩٩ - ١٣٧ .

[٧] جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنحنيات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء . بأخبار الحكماء .

LEIPZIG DIETERICH'SCHE VERLAGSBUCHHANDLUNG,
THEODOR WEICHER, 1903

- مكتبة المثنى ببغداد - مؤسسة الخانجي بمصر . ص ٣١٥ - ٣١٦ .
- [٨] وفيات الاميان وانباء الزمان ، لابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، حققه الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة - بيروت - لبنان . المجلد الخامس . ص ١٦١ - ١٦٣ .
- [٩] روائع التراث العربي - الفهرست لابن النديم - مكتبة خياط - شارع بلس - بيروت - لبنان . ص ٣٧١ .
- [10] B. Boncompagni, ed., Seritti di Leonardo Pisano (Practica geometrie), Vol. 2 (Rome, 1862), pp. 40-42, 87-91, 153-58, 178-87.
- [١١] تاريخ العلوم عند العرب - تأليف عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت ١٢٩٠ هـ - ١٩٧٠ م . ص ١٤٧ .
- [12] Carl B. Boyer, A History of Mathematics, (John Wiley & Sons, Inc. 1968). pp. 283-285.
- [13] J.F. Scott, A History of Mathematics - From Antiquity to the Beginning of the Nineteenth Century, (Barnnes & Noble Books - New York, 1975). p. 64.
- (14) Barnabas B. Hughes, Jordanus de Nemore De numeris datis, University of California Press, 1981. pp. 2, 11.
- (15) Marshall Clagett, Archimedes in the Middle Ages, Vol. 1, (The University of Wisconsin Press, Madison, 1964). pp. 223-227, 638, 673-681.
- (16) Dictionary of Scientific Biography, Charles Coulston Gillipie, Editor in Chief, Vol. 1, Pierre Abailard-L.S. Berg (Charles Scribner's Sons - New York, 1970). pp. 443-446.
- (17) George Sarton, Introduction to the History of Science, (Published For the Carnegie Institution of Washington by the Williams & Wilkins Company, Baltimore, 1927). pp. 560-561.
- (١٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء - تأليف موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ

ابن ابي اصيبعة - شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا - منشورات
دار مكتبة الحياة - بيروت (١٩٦٥) ، ص ٥٥٥ .

- (19) "Curves, Special" Encyclopedia Britanica, Vol. 6, Chicago 1973, pp. 919-920.
- (20) Cassell's New Latin-Engllsh, English-Latin Dictionary, by D.P. Simpson, M.A., Cassel-London, Fifth Edition, Third Impression 1971, p. 332.
- (21) Dictionary of Scientific Biography, Charles Coulston Gillispie, Editor in Chief, Vol. VI, Jean Hachette - Joseph Hyrtil, (Charles Scribner's Sons - New York. 1972). pp. 189-210.



معادلات الدرجة الثالثة فافوق عند العرب

الاستاذ المساعد

فالح احمد السارني

كلية التربية - جامعة بغداد

ابتدا اشتغال الرياضيين العرب في الجبر في القرن التاسع الميلادي وبوجه التحديد في عهد الخليفة العباسي المأمون (٨١٧م - ٨٣٣م) ، حيث عاش فيه أوائل الرياضيين وفي مقدمتهم محمد بن موسى الخوارزمي (١) وأعقبه علماء كثيرون أسهموا في تقدم علم الجبر وخلقوا فيه تراثا مهما في الرياضيات الحديثة .

ولعل أحسن ما يدل على أهمية التراث الرياضي العربي ابتداء من اشتغال الخوارزمي في الجبر أن كلمة الجبر في جميع اللغات الأوروبية مأخوذة من المصطلح العربي « الجبر » الذي استعمله الخوارزمي في عنوان كتابه المشهور « كتاب الجبر والمقابلة » (٢) حيث يقصد الخوارزمي بالجبر نقل الحدود من طرف لآخر وبالمقابلة جمع الحدود المتماثلة . فالعبارة مثلا :

$$\begin{aligned} \text{باس} + ٢ \text{ ح} &= ٢ \text{ س} + \text{باس} - \text{ح} \\ \text{تصبح بالجبر باس} + ٢ \text{ ح} &= ٢ \text{ س} + \text{باس} \\ \text{وبالمقابلة س} &= ٣ \text{ ح} \end{aligned}$$

-
- (١) هو أبو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمي ، كان يعيش في بغداد أيام الخليفة المأمون (١٩٨هـ - ٢١٨هـ) (٨١٣م - ٨٣٣م) كان عالما بالرياضيات والجغرافية والفلك ، ويعتبر واضع علم الجبر ، وعينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة ، وقد توفي عام ٨٤٥م .
- (٢) كتاب الجبر والمقابلة تأليف الخوارزمي ، نشره علي مصطفى مشرفة ومحمد موسى أحمد .
- منشورات الجامعة المصرية . كلية العلوم . طبعة ثانية . مصر مطبعة فتح الله الياس نوري وأولاده ، ١٩٣٩ .

أما أبو الوفاء البوزجاني (٣) في كتابه علم الحساب العربي (٤) فيقول أن « الجبر » يشمل إزالة الحدود السالبة من طرفي المعادلة كما يشمل إزالة الكسور . أما المقابلة فتعني حذف الحدود المشتركة من الطرفين حتى تصبح المعادلة بأبسط شكل ، ففي المعادلة :

$$\frac{1}{5} \text{ س} - 3 = \frac{1}{2} \text{ س}$$

إضافة ٣ لكل من الطرفين جبر وهذا يؤدي إلى :

$$\frac{1}{5} \text{ س} = \frac{1}{2} \text{ س} + 3$$

ثم ضرب الطرفين في ١٠ لإزالة الكسر جبر وهذا يؤدي إلى :

$$2 \text{ س} = 5 \text{ س} + 30$$

أما المقابلة فتأتي الآن ومنها نستنتج أن ٣ س = ٣٠ .

وعلى هذا فالجبر علم عربي أوجده الخوارزمي ، وهذا لا يعني أن الجبر لم يكن عند العرب وعند غير العرب ، ولكن الخوارزمي جعل منه علماً منظماً ، فالخوارزمي قد خرج من الحال التي عرفه بها اليونان والهنود ، تلك الحال التي لم تكن تزيد على أنها وجه من أوجه الحل في الحساب إلى المعادلة العامة التي هي أم المعادلات كلها وأساس علم الجبر . ثم أن الخوارزمي أخرج علم الجبر من الأمثلة المفردة وجعل منه نظاماً آلياً ذا قواعد مقررة ثابتة ، فإذا أنت حللت بأحدى قواعده مسألة حسابية فإن جميع المسائل المشابهة لتلك المسألة تجري مجراها في الحل على تلك القاعدة .

الرموز الجبرية :

استعان الجبريون بعدة وسائل أو مصطلحات للتعبير عن الكميات المجهولة وغيرها من الأعداد ، وقد قارب البعض منهم أن يوجد رموزاً جبرية تضاهي الرموز المستعملة في الجبر الحديث .
فقد قسم الخوارزمي الأعداد في الجبر إلى ثلاثة أنواع :

- (٣) هو محمد بن يحيى بن اسماعيل العباس ولد في بوزجان عام ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) وانتقل إلى العراق عام ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) وعاش في بغداد - وتوفي عام ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) يعتبر من مشاهير القرن العاشر الميلادي ، اشتهر بشروحه لمؤلفات أقليدس وحل بعض المعادلات الجبرية هندسياً .
- (٤) علم الحساب العربي (حساب اليد) تأليف أبو الوفاء البوزجاني ، تحقيق أحمد سعيدان (عمان ١٩٧١) .

- ١ - كلمة « الجذر » وكان يسمى ايضا « الشيء » حيث اختصرها القلصادي (٥) ومثلها بالحرف ش (٦) .
- ٢ - « المال » ويمثل ذلك مربع المجهول (س) واختصره القلصادي ومثلها بالحرف « م » .
- ٣ - « المفرد » أو « الخالي » ويقصد به العدد المطلق وقد اضاف علماء الرياضيات العرب المصطلحات الجبرية الآتية :
 ١ - « الكعب » ويمثل ذلك مكعب المجهول (س) وهو مضروب المال في الشيء وكان يرمز له بالرمز ك .
 ٢ - « مال المال » ويمثل ذلك (س) ومثل له بالحرفين (م م) .
 ٣ - « كعب المال » ويمثل ذلك (س) ومثل له بالحرفين (ك م) .
 ٤ - « التعادل » ويمثل ذلك المساواة وكان يرمز له بالحرف « ل »
 ليقابل اشارة المساواة الحديثة (=) .

لقد كتب القلصادي المعادلة :

$$٣س^٢ = ١٠س + ٨ \text{ بالشكل}$$

$$\begin{matrix} ٣ & ١٠ & ٨ \\ & \text{ش} & \\ & \text{ل} & \end{matrix}$$

والمراجع ان الرياضي الفرنسي (فرنسوا فيتا) (١٥٤٠م - ١٦٠٣م) اخذ فكرة القلصادي وطورها في تعبيره عن الاعداد بالحروف و اضاف الى ذلك بعض الاشارات الهامة مثل علامة (+) للزائد (-) للناقص ويعد هذا الرياضي اول من اوجد مبدا الرموز الجبرية في اوروبا .

المعادلات الجبرية :

قسم الخورازمي في كتابه الجبر والمقابلة المعادلات الجبرية الى ستة اقسام وعرفت بالمسائل « الست الجبرية » وهي مكونة من معادلة خطية وخمس معادلات من الدرجة الثانية ، يمكن كتابتها بالرموز الجبرية على النحو الآتي :

- (٥) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي القلصادي . ولد في مدينة بسطة في الاندلس عام ٨١٥هـ ، ١٤١٢م وتوفي في باجة في تونس عام ٨٩١هـ ، ١٤٨٦م .

(٦) يلفظ حرف X باللغة الاسبانية القديمة ش وعلى ذلك استعمل الاسبان حرف X لتمثيل المجهول او الشيء بالجبر بما يقابل اللفظ العربي ش ثم اخذ الاوربيون الحرف X عن الاسبان واستعملوه لتمثيل المجهول في الجبر . ثم اخذ العرب من الغرب مرة ثانية في عصرنا هذا فكان حرف س يمثل للمجهول في الجبر .

معادلات الدرجة الثالثة

$$ب س = ١$$

$$ح س = ٢$$

$$ح س = ٢ ب س$$

$$ح س = ٢ ب س + ١$$

$$ح س = ١ + ب س$$

$$ح س = ٢ ب س + ١$$

حيث ١ ، ب ، ح ثوابت .

لقد حل الخوارزمي هذه المعادلات باعطاء أمثلة عددية واعطى لكل حالة بالكلمات دون استخدام الرموز .

لقد سار العلماء الرياضيون العرب بعد الخوارزمي على نهجه في حل هذه المسائل وقد اطلق عليها المسائل الست لشهرتها كما كتبوا للحالات الثلاث الاخيرة طريقة عامة للحل وهي :

« اذا كانت الجذور مع الاموال نطرح النصف وان كانت مع العدد نعلمه ، وان كانت وحدها طرحت العدد من ضرب النصف في نفسه وحملت جذور الفاضل ونقصه يخرج لك جذر المال » ...

اما معادلات الدرجة الثالثة فقد قام عدد من العلماء الرياضيين العرب بتصنيفها ، وقد استخرج الامام شرف الدين المسعودي (٧) تسع عشرة مسألة غير الست المشهورة ، وبين كيفية استخراج المجهول فيها .
اما المعادلات التكميلية التسع عشرة بالرموز الحديثة فهي (٨) :

$$د س = ٢$$

$$د س = ٢ ب س$$

$$د س = ٢ ح س$$

$$د س = ٢ ب س + ١$$

$$د س = ٢ ح س + ١$$

$$د س = ٢ ح س + ب س$$

(٧) شرف الدين المسعودي ، هو رياضي عاش في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر وقد عاش في خراسان .

(٨) انظر « كتاب مفتاح الحساب » تأليف « جمشيد فياض الدين الكاشي » تحقيق وشرح الاستاذ احمد سعيد الدمرداش ، والدكتور محمد حمدي الحفني الشيخ .

مراجعة الاستاذ عبدالحميد لطفى .

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٧ صفحة ٣١٠ .

$$\begin{aligned}
 د س^2 + 1 &= باس \\
 د س^2 + 1 &= ح س^2 \\
 د س^2 + باس &= 1 \\
 د س^2 + باس &= ح س^2 \\
 د س^2 + ح س^2 &= 1 \\
 د س^2 + س^2 &= باس \\
 د س^2 + ح س^2 + باس + 1 &= \\
 د س^2 + باس + 1 &= ح س^2 \\
 د س^2 + ح س^2 + 1 &= باس \\
 د س^2 + ح س^2 + باس &= 1 \\
 د س^2 + 1 &= ح س^2 + باس \\
 د س^2 + باس &= ح س^2 + 1
 \end{aligned}$$

أما معادلات الدرجة الرابعة فيمكن تصنيفها وترتيبها في خمس وستين معادلة (٩) وقد تمكن عدد من العلماء الرياضيين العرب من حل هذه المعادلات ، ويمكن كتابتها بالرموز الحديثة على النحو الآتي :

$$\begin{aligned}
 ح س^4 &= 1 \\
 ح س^4 &= باس \\
 ح س^4 &= ح س^2 \\
 ح س^4 &= د س^2 \\
 ح س^4 &= باس + 1 \\
 ح س^4 &= ح س^2 + 1 \\
 ح س^4 &= د س^2 + 1 \\
 ح س^4 &= ح س^2 + باس \\
 ح س^4 &= د س^2 + باس \\
 ح س^4 &= د س^2 + ح س^2 \\
 ح س^4 &= 1 + باس \\
 ح س^4 &= 1 + ح س^2 \\
 ح س^4 &= 1 + د س^2 \\
 ح س^4 &= باس + 1 \\
 ح س^4 &= باس + ح س^2
 \end{aligned}$$

معادلات الدرجة الثالثة

$$\begin{aligned}
 & \text{هـ س}^2 + \text{ب س} = \text{د س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{ب س} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{د س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 = \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 = \text{ب س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 = \text{ج س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 = \text{ج س}^2 + \text{ب س} + \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 = \text{د س}^2 + \text{ب س} + \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 = \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 + \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 = \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 + \text{ب س} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{ب س} = \text{أ} + \text{ج س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{ب س} = \text{أ} + \text{د س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{ج س}^2 + \text{أ} = \text{ب س} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{ج س}^2 + \text{أ} = \text{د س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 = \text{أ} + \text{ب س} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 = \text{أ} + \text{ج س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ب س} = \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ب س} = \text{ج س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{أ} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{ب س} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{د س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{أ} + \text{ب س} \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{أ} + \text{د س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{أ} + \text{ب س} + \text{د س}^2 \\
 & \text{هـ س}^2 + \text{د س}^2 + \text{ج س}^2 = \text{أ} + \text{ب س} + \text{د س}^2
 \end{aligned}$$

$$\begin{aligned}
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 = \text{ح س}^2 + \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 = \text{ح س}^2 + \text{ب س} \\
 & \text{ه س}^4 = \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 + \text{ب س} + \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 + \text{ب س} = \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 + \text{ا} = \text{ب س} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ب س} + \text{ا} = \text{ح س}^2 \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 + \text{ب س} + \text{ا} = \text{د س}^3 \\
 & \text{ه س}^4 + \text{ا} = \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 + \text{ب س} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{ب س} = \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 + \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 = \text{ح س}^2 + \text{ب س} + \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 = \text{ب س} + \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ب س} = \text{ح س}^2 + \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ا} = \text{ب س} + \text{ح س}^2 \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ب س} = \text{ح س}^2 + \text{ا} \\
 & \text{ه س}^4 + \text{د س}^3 + \text{ح س}^2 = \text{ب س} + \text{ا}
 \end{aligned}$$

طرق حل المعادلات من الدرجة الثالثة

١ - طريقة المعادلات التربيعية

بالاستناد الى واحدة من المسائل الثلاث الاخيرة للمسائل الست الشهيرة ، قام عدد من العلماء العرب بحل بعض المعادلات الخاصة من الدرجة الرابعة والسادسة .

ينسب الى الكرجي (١٠) حل نوط من المعادلات على

$$\text{ا س}^2 + \text{ب س}^2 = \text{ح} + \text{ب س}^2 = \text{ح}$$

فقد حل الكرجي مسائل تؤدي الى المعادلات الجبرية الآتية :

$$\text{س}^4 + ٥ \text{س}^2 = ١٢٦$$

$$\text{س}^4 + ٦ \text{س}^2 = ٤٠$$

$$\text{س}^4 + ٢٤ = ١٠ \text{س}^2$$

(١٠) هو أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي ويسميه بعضهم بالكرجي ، ظهر في بغداد في عهد فخر الملك ابن غالب المتوفى سنة ١٠١٦ م ، وقد توفى الكرجي سنة ١٠٢٩ م .
وللكرجي كتاب الكافي في الحساب وكتاب الفخري في الجبر .

$$\begin{aligned} 27 + 6س + 1س^2 &= 4س^3 \\ 104 &= 3س^2 + 5س + 1س^3 \\ 16 + 10س + 1س^2 &= 3س^3 \\ 16 + 6س + 1س^2 &= 1س^3 \end{aligned}$$

أما جيميد غياث الدين الكاشي (١١) في كتابه مفتاح الحساب (١٢) فقد حل نوا من المسائل على الصورة الآتية :

$$\begin{aligned} (1) \quad \text{إذا كان } 1س^3 + 2س^2 + 3س + 4 &= 1س^3 \\ \text{فإنه إما أن } 1س^3 + 2س^2 + 3س + 4 &= 1س^3 \text{ صفر أو} \\ \text{إما أن } 1س^3 + 2س^2 + 3س + 4 &= 0 \end{aligned}$$

مثال ذلك :

$$1س^3 + 8س^2 + 8س = 0$$

وهذه تقسم مع معادلة الدرجة الثانية

$$1س^3 + 8س^2 + 8س = 0$$

$$(ب) \quad \text{إذا كان } 1س^3 = 8س^2 \text{ فإن } 1س^3 = 8س^2$$

$$\begin{aligned} \frac{1س^3}{1س^2} &= \frac{8س^2}{1س^2} \\ 1س &= 8س \\ 1س - 8س &= 0 \end{aligned}$$

(١١) ولد الكاشي في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في مدينة كاشان ، وجاء إلى سمرقند وعمل مع الأمير أولوغ بك ، وكانت وفاته في عام ١٤٣٦ م .

(١٢) انظر المصدر في هامش (٨) .

ومثال ذلك :

$$\sqrt[3]{x} = \sqrt[4]{16} \quad (1)$$

$$16 = \frac{16}{1} = \frac{2^4}{1}$$

$$2 = \sqrt[4]{16} = \sqrt[4]{2^4} = 2$$

$$\sqrt[3]{x} = 2 \quad (2)$$

$$x = \frac{2^3}{1} = 8$$

$$2 = \sqrt[3]{8} = \sqrt[3]{2^3} = 2$$

$$\sqrt[4]{x} = \sqrt[3]{243} \quad (3)$$

$$243 = \frac{243}{1} = \frac{3^5}{1}$$

$$3 = \sqrt[5]{243} = \sqrt[5]{3^5} = 3$$

أما ابن بدر (١٣) فقد حل المسائل التي تؤدي الى معادلة من الدرجة الرابعة

(١٣) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر ، من علماء القرن الثالث عشر للميلاد ، من اشيعلية له كتاب في اختصار الجبر والمقابلة .

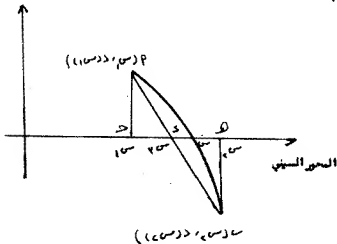
معادلات الدرجة الثالثة

وهي من الشكل $\frac{s^3}{12} - s^2 + 24 = 0$

بأن فرض $s = 2$ ثم حل المعادلة $\frac{s^3}{12} - s^2 + 24 = 0$

٢ - طريقة موقع الخطا المزدوج

هي واحدة من الطرق العربية لحل معادلات الدرجة الثالثة بصورة تقريبية ولتوضيحها بالاسلوب الحديث ، نفرض أن $s = 1$ ، عدنان يقعان قرب وعلى جهتي جذر s للمعادلة $d(s) = 0$. فان التقاطع مع محور s والوتر الواصل بين النقطتين :
 $(s_1, d(s_1))$ و $(s_2, d(s_2))$ يعطي تقريبا s للجذر المطلوب البحث عنه .



شكل ١

لاحظ الشكل (١) يمكن البرهنة على أن :

$$\frac{(s_1) > s_1 - (s_2) > s_2}{(s_1) > - (s_2) >}$$

ونتم ذلك من المثلثين القائمي الزاوية المتشابهين ا ج د ، د ب ج

$$\frac{ج د}{د ه} = \frac{ا ح}{ه ب}$$

$$\frac{(s_1) > s_1 - s_2}{=}$$

$$- (s_2) > s_2 - s_1$$

$$- = (s_1) > s_2 - (s_1) > s_2$$

$$(s_2) > s_1 + (s_2) > s_2$$

$$= (s_1) > - (s_2) > s_2$$

$$(s_1) > s_2 - (s_2) > s_1$$

$$\frac{(s_1) > s_2 - (s_2) > s_1}{= s_2}$$

$$(s_1) > - (s_2) >$$

أو

$$\frac{(s_2) > s_1 - (s_1) > s_2}{= s_1}$$

$$(s_2) > - (s_1) >$$

٣ - الطريقة الهندسية :

الى جانب استعمال الرياضيين العرب الجبر في حل بعض القضايا الهندسية وضعوا طرقا هندسية لحل بعض معادلات الدرجة الثانية . وحلّ الجبريون العرب بعض المعادلات من الدرجة الثالثة والرابعة هندسيا مثل ابن الهيثم وثابت بن قرة وسنان بن الفتح وعمر الخيام وغيرهم .
هناك طريقتان هندسيتان رئيسيتان لحل معادلة الدرجة الثالثة .

الاولى : باثشاء مضلع منتظم داخل دائرة بسبعة أضلاع أو تسعة اضلاع فنجد مثلا ان « أبو الجود »^(١٤) قد حل معادلة الدرجة الثالثة $x^3 - 2x^2 - 3x + 1 = 0$ باثشاء ضلع مسبع منتظم داخل دائرة بعد ان حاول الكثيرون حل هذه المعادلة^(١٥) .

أما البيروني^(١٦) في كتابه استخراج الاوتار من الدائرة^(١٧) ، فقد حل معادلة الدرجة الثالثة $x^3 - 3x + 1 = 0$ باستخراج ضلع ذي تسعة اضلاع منتظم

(١٤) أبو الجود بن محمد بن الليث وهو من علماء القرن العاشر للميلاد ، اشتغل بالهندسة ورسم المضلعات المنتظمة « المسبع والمتسع » وحل المعادلات الجبرية بالقطع المخروطية .
(١٥) « انظر » التراث العلمي العربي ، تأليف قدري طوقان سنة ١٩٥٤ ، ص ١٤ و ٧٧ .

(١٦) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، ولد في برون عاصمة خوارزم سنة ٣٦٢ هـ = ٩٦٣ م وعاش فترة طويلة من حياته في الهند ، واشتغل بالرياضيات والفلك والفيزياء والتاريخ والجغرافية والفلسفة . توفي عام ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م .

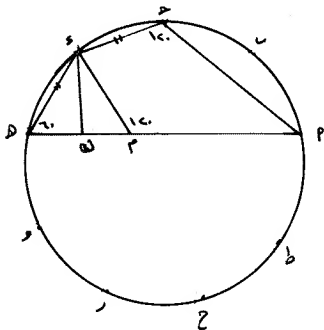
(١٧) استخراج الاوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها ، تأليف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني .
تحقيق الاستاذ أحمد سعيد الدمرداش ومراجعة الاستاذ عبد الحميد لطفي .

المؤسسة المصرية للتأليف والانباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، اذار سنة ١٩٦٥ .

داخل دائرة ، وتتم العملية كالآتي :

« المطلوب ايجاد وتر التسع المنتظم داخل الدائرة »

العمل : تقسم الدائرة الى تسعة اجزاء متساوية في أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط . ثم نصل أ ح ، أ د ، أ هـ ، ج د ، د هـ ، هـ ز . ثم ننزل العمود د ل .



البرهان : نقطة د منتصف القوس أ د ر .

$$\therefore \angle د = \frac{1}{2} \angle أ هـ ز + \frac{1}{2} \angle أ هـ د$$

$$\left[\text{لأن: } \frac{1}{a} + \frac{1}{b} = \frac{1}{c} \right]$$

$$= \frac{1}{a} + \frac{1}{b} - \frac{1}{c}$$

$$= \frac{1}{b} + \frac{1}{a} - \frac{1}{c}$$

$$= \frac{1}{c} + (a + b) (a - b)$$

$$= \frac{1}{c} + a \cdot a - a \cdot b$$

$$= \frac{1}{c} + a \cdot a - a \cdot b$$

$$= \left[\frac{1}{c} + a \cdot a - a \cdot b \right]$$

كذلك نقطة ح منتصف الوتر أ ح هـ

$$\therefore \frac{1}{a} = \frac{1}{b} + \frac{1}{c} + a \cdot a - a \cdot b$$

$$\therefore \frac{1}{a} = \frac{\frac{1}{b} - \frac{1}{c}}{a}$$

وباعتبار ضلع التسع 1 أي د هـ هـ د ح - ..

$$\text{يكون } a = \frac{\frac{1}{b} - \frac{1}{c}}{1} = \frac{1}{b} - \frac{1}{c}$$

$$\therefore \frac{1}{2}a = \frac{1}{2}a + 1 - 1 + \frac{1}{2}a$$

$$\text{وباعتبار } a = m = r = s$$

$$\therefore \frac{1}{2}a = \frac{1}{2}a + 1 - 1 + \frac{1}{2}a$$

$$\text{ولكن } \frac{1}{2}a = \frac{1}{2}a + 1 - 1 + \frac{1}{2}a$$

$$+ (m + m) r$$

$$= \frac{1}{2}a + \frac{1}{2}a + m \cdot r$$

$$= \frac{1}{2}a + \frac{1}{2}a + m \cdot r$$

$$= 1 + s + s$$

$$\therefore s + 1 + s = 1 + s + s$$

$$\therefore s + s = 1 + s$$

$$\therefore s + s = 1 + s$$

وقد قام البيروني بحل هذه المعادلة بالاستقراء ووصل الى ان

$$س = ١ - ٥٢ \sqrt[٤]{٤٥} \sqrt[٤]{٤٧} \sqrt[٤]{١٣} + ١ + \frac{٥٢}{٦٠} + \frac{٤٥}{٦٠}$$

$$+ \left[\frac{١٣}{٤ \cdot ٦٠} + ٣ \frac{٤٧}{٣٦٠} + \right.$$

$$\left. \sqrt[٤]{١٣} \sqrt[٤]{٤٧} \sqrt[٤]{٤٥} - ٥٤ \right] = ١$$

باعتبار ان وتر المتسع ١ . وينتج من ذلك ان وتر المتسع هو :
(٠ ، ٤١ ، ٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٥٥)^(٦) وتحوطه الى كسر عشري
ينتج ان وتر المتسع يساوي :

$$\frac{١}{٦} + \frac{٤١}{٢٦} + \frac{٢٢}{٤٦} + \frac{٢}{٣٦} + \frac{٤١}{٢٦} + \frac{٥٥}{٦٠} \text{ اى يساوى } ٠.٢٧٤٠٦٨٤٠٣٧٨ \text{ (١٨) .}$$

الثانية : الطريقة الهندسية لحل معادلات الدرجة الثالثة والرابعة
باستخدام تقاطع القطوع المخروطية ، فقد استخدم هذه كل من ابن الهيثم^(١٩)
وثابت بن قرة^(٢٠) والخيام^(٢١) وغيرهم ، فاذا كانت المعادلة التكعيبة من
الشكل :

- (١٨) انظر المصدر في هامش ١٧ صفحة ١٦٨ .
(١٩) ولد ابو علي الحسن بن الهيثم في البصرة في حدود ٩٦٥ م وتوفى في
مصر في حدود ١٠٣٩ م ، حيث قصد القاهرة وعاش فيها في عهد الخليفة
الفاطمي الحاكم (٩٦٩ - ١٠٢١ م) وسال حظوة كبيرة في بلاطه .
وقد برز في الطبيعة والفيزياء والرياضيات .
(٢٠) اصل ثابت بن قرة (٨٣٥ - ٩٠٠ م) من حران في الشام واشتهر
باشغفاله بالرياضيات والطب والفلك والفلسفة .
(٢١) هو ابو الفتح عمر الخيام العالم والشاعر والفيلسوف ، ولد في نيسابور
سنة ١٠٤٨ م ، توفى فيها سنة ١١٢٢ م . كتب في الجبر في حل المعادلات

$$س^2 + أ س^2 + ب^2 س + ح^2 = ٠$$

فعند التعويض عن س² في هذه المعادلة في م² م نحصل على :

$$م^2 س + ص + أ م + ب^2 س + ح^2 = ٠$$

ولما كانت المعادلة الناتجة تمثل قطعاً زائداً والتساوى س² = م² ص المستخدم بالتعويض يمثل قطعاً مكافئاً ، فإن من الواضح انه اذا رسم القطع الزائد والقطع المكافئ على محور احداثي واحد فان البعد السيني لنقطة تقاطع المنحنين ستكون جذر المعادلة التكعيبية . وهناك عدد من ازواج القطوع المخروطية قد استخدمت بالطريقة نفسها لحل المعادلات التكعيبية .

فحل معادلة الدرجة الثالثة :

$$س^3 + أ س^2 + ب^2 س + ح^2 = ٠$$

يكون بحساب المسافة الافقية لتقاطع القطع الزائد :

$$س (س + ص) = ب^2 ح \text{ والدائرة } ص^2 = (س + أ) (س - ح)$$

وحل المعادلة :

$$س^3 - أ س^2 + ب^2 س + ح^2 = ٠$$

يكون بحساب المسافة الافقية لتقاطع القطع المخروطي

$$س (س - ب) = ب^2 ح \text{ والدائرة } ص^2 = (س - أ) (س - ح)$$

$$ص^2 = (س - ب) (س - أ)$$

وحل البوزجاني المعادلة

$$س^3 + ح س^2 = ٠$$

بطريقة تقاطع القطع الزائد ص² + ح س ص - ه = ٠ والقطع المكافئ

$$ص^2 = س$$

= من الدرجة الثالثة واعتقد خطأ ان حل هذه المعادلات بشكل عام لا يكون الا بالطرق الهندسية ، كما لم يبحث عن الحلول العددية الا في حالة الجدور الموجبة .

ويمكن الخيام من حل المعادلة من الدرجة الرابعة (١٠٠ - س^٢)
 (١٠٠ - س^٢) = ٨١٠٠ +
 بحساب المسافة الافقية تقاطع القطع الزائد (١٠ - س) ص = ٩٠ +
 والدائرة س^٢ + ص^٢ = ١٠٠
 والآن لنأخذ المعادلة التكعيبة :

$$س^٣ + ب^٣ س + ج = س^٣$$

حيث تمثل أ ، ب ، ج ، س اطوال قطعات مستقيمة ونحاول أن نرسم
 القطعة الافقية لتقاطع القطوع المخروطية بالطريقة التي يعملها الرياضيون
 العرب .

ان خطوات حل المعادلة السابقة هي (٢٢) :

(١) اذا علمت قطعات المستقيمات التي اطوالها أ ، ب ، ن ونفرض رسم

$$\frac{ب}{أ} = \frac{ن}{س} \text{ نقول اذا كان } \frac{ب}{أ} = \frac{ن}{س}$$

$$\frac{ب}{أ} = \frac{ن}{س}$$

$$\frac{ب}{أ} = \frac{ن}{س} \text{ ومن ثم اذا كان } \frac{ب}{أ} = \frac{ن}{س}$$

(٢٢) انظر كتاب « مقدمة في تاريخ الرياضيات » .

تأليف « هوارد ايفنز »

منشورات هلوت وانيفرات وونستون . الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩ ،

صفحة ٢٠٢ .

$$٦ - ب(هـ ل + ل) = \frac{٢ ا}{ب} (هـ ل - ح) \quad (٢)$$

$$٧ - (هـ ل) + ب(هـ ل) + ا = ح(هـ ل) \quad (٣)$$

وهكذا يكون هـ ل جذر المعادلة التكعيبية المعلومة .

البرهان :

$$\frac{٢ ا}{ب} = ح د هـ = ح د هـ$$

$$د ع = \frac{٢ ا}{ب} + ح$$

نجد نقطة ص بحيث أن (هـ ص) (ي و) = (هـ ي) (د هـ) من خصائص القطع الزائد المستطيلي أن :

$$ط ك = و م = هـ ط ، ي ك = ل و$$

اذن (ي ك) (ط ك) = (هـ ص) (ي د) = (هـ س) (د هـ) وهذا

برهان (١) لبرهان (٢) ، نكتب :

$$\frac{ك ط}{د هـ} = \frac{هـ ي}{ي ك}$$

$$\frac{طن + هـ ي}{د هـ + ي ك} = \frac{هـ ي}{ي ك} ، هـ ي = ل ك ، ي ك = هـ ك$$

$$\frac{ط ك + ل ك}{د هـ + هـ ي} = \frac{هـ ي}{ي ك}$$

(هـ ل) (ل ط) = (هـ ي) (د ل) وهو برهان (٢) .

لبرهان (٣) : بما أن المثلثين القائمي الزاوية د ط ل ، ل ط ع متشابهان ،

لان كلا منهما يشابه المثلث القائم الزاوية د ط ع .

$$\frac{\text{دل}}{\text{ل ط}} = \frac{\text{أو اذن :}}{\text{ل ط}} = \frac{\text{ل ع}}{\text{ل ط}}$$

ومنهما :

$$\text{(ل ط ٢)} = \text{(دل) (ل ع) وهو برهان (٣)}$$

لبرهان (٤) نكتب من (٢) :

$$\frac{\text{هي}}{\text{ل ط}} = \frac{\text{دل}}{\text{ل ع}}$$

$$\frac{\text{(هي ٢)}}{\text{(ل ط ٢)}} = \frac{\text{(دل)}}{\text{(ل ع)}} = \frac{\text{(هل ٢)}}{\text{(دل)}}$$

لبرهان (٥) ، نكتب

$$\text{(هي ٢) (دل)} = \text{(هل ٢) (ل ع)}$$

والى (٦) نكتب :

$$\text{ب ٢ (دل + هل)} = \text{(هل ٢) (هل - هل)}$$

٢١

$$\text{ب ٢ (هل)} = \left(\frac{\text{٢١}}{\text{ب ٢}} + \text{(هل ٢) (هل - هل)} \right)$$

وأخيرا .. نكتب :

$$\text{(هل ٢)} + \text{ب ٢ (هل)} = \text{٢١} + \text{(هل ٢) (هل - هل)}$$

وهكذا يكون $\text{هل} = \text{جلر المعادلة التكعيبية} :$

$$\text{س}^٢ + \text{ب ٢ س} + \text{٢١} = \text{ح س}^٣$$

وخلاصة القول ، ان الحلول الهندسية لمعادلات الدرجة الثالثة كانت واحدة من المساهمات العظيمة للرياضيين العرب في الجبر .

التَّعْدِيَةُ بِالْبَاءِ فِي تَحْقِيقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ

الدكتور محمد رضاي صماري

جامعة بغداد — كلية الآداب

أشار اللغويون المحدثون إلى تراكيب في منظوم الشعراء ، ومنثور الأدباء ، ومنقول المترجمين إلى العربية في مختلف المعارف والعلوم ، مبيّنين أن تلك التراكيب قد عدت ما استعملته من الأفعال — أو ما جرى مجراها — بالباء تعدية مخالفة لما تقتضيه العربية في أسلوبها العالي ، وقواعدها الدقيقة .

وقد لاحظت : وأنا أقف على أقوال أولئك العلماء ، أن من تحقيقاتهم ما كان موضع اختلافهم الشديد الذي قد يصل إلى أن يمنع هذا ما هو الأعلى عند ذلك ، وأن كلاً يسعى إلى إثبات ما يهدي بما يقع عنده من أدلة أو استناد . ثم لاحظت أن من تحقيقاتهم ما لا يصح أن يوصف بصفة التحقيق ، لأنه إنما أصدر مفتقراً إلى التوثيق العلمي الكافي أو خلواً من أي تحقيق أو توثيق !

وعلى ذلك ، رأيت أن أحقق تلك التراكيب التحقيق الذي يستلزمه البحث العلمي ، مبتغياً الوصول إلى حقيقة ودفع الخلاف بين الذين تصدوا لمعالجته ؛ فلم يتفقوا على القول فيه قولاً واحداً .

لقد انتهى هذا البحث إلى ما رآه من نتائج ، وما خصص إليه من أحكام ، بعد استقراء وتأمل ، وموازنات وترجيح وكان ذلك أسلوبه ومنهجه في جميع ما خاض فيه وما بذل ، وهو يسعى إلى التركيب العربي الأصيل .

« بَصْرَ »

خطأ زهدي جار الله أن يقال : « بَصْرَهُ بِالْحَقِيقَةِ » بمعنى « عَرَفَهُ إِيَّاهَا » موجباً حذف الباء (١) . ولم يورد ما يدعم به تلك التخطئة من شواهد أو قواعد . وقد جاء في اللسان هذا النص : « بَصْرَهُ الْأَمْرُ : . . . فَهَمَّةٌ إِيَّاهُ » (٢) مما يُعَدُّ مستنداً للباحث المذكور ولمن ارتضى تلك التخطئة كـ محمد جعفر الكرباسي الذي أورد النص القرآني : (يَبْصُرُونَهُمْ) (٣) . ثم قال : . . . « فلا يقال : بَصْرَهُ بِالْحَقِيقَةِ . الصواب : بَصْرَهُ الْحَقِيقَةُ » (٤) . . . لكن صحة هذا التعبير (بحذف الباء) لا تعني خطأ التعبير الآخر (بإثبات الباء) ، وأن عدم ورود الإثبات في اللسان لا يمنع وروده في غيره من المظان . وعلى هذا يقف هذا البحث مع محمد العدناني حين أورد إثبات الباء عن أساس البلاغة وعن المصباح المنير . يقول الأساس : « بَصْرَتُهُ كَذَا ، وَبَصْرَتُهُ بِهِ : إِذَا عَلِمْتَهُ إِيَّاهُ » . (٥) ، ويقول المصباح : « وَبَعْدَى [يَقْصِدُ الْفِعْلَ « بَصْرَ »] بالتضعيف الى ثانٍ : يقال : بَصْرَتُهُ بِهِ تَبْصِيرًا » (٦) . ثم أشار العدناني الى إجازة الوجهين في مد القاموس وفي المعجم الوسيط (٧) . على أن ما

- (١) الكتابة الصحيحة : زهدي جار الله - ٤٦ - (ط ٢ . بيروت ١٩٧٧) .
- (٢) لسان العرب : ابن منظور - مادة (ب ص ر) . (طبعة دار صادر - بيروت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) .
- (٣) المعارج - ١١ .
- (٤) نظرات في اخطاء المنشئين : محمد جعفر ابراهيم الكرباسي - ٦٠/١ . (النجف - مطبعة الآداب ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- (٥) اساس البلاغة : جار الله الزمخشري - مادة (ب ص ر) . (بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .
- (٦) المصباح المنير : الغويي - مادة (ب ص ر) (القاهرة - البابي الحلبي - ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م) .
- (٧) معجم الاخطاء الشائعة : محمد العدناني - ٣٨ . (بيروت - مكتبة لبنان - ١٩٧٣م) . وينظر في مادة (ب ص ر) في « مد القاموس » - وليم لين ، و « المعجم الوسيط » - مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .

ينبغي التنبيه له أن الصورتين ليستا على صعيد واحد من حيث السعة والذوبان ، وأن غياب صورة الاثبات في معظم معجمات العربية ، ولا سيما التاج واللسان ليحمل هذه الدلالة . ولقد رجعت الى القرآن الكريم فألفت هذا الفعل (بَصَّرَ) متعدياً بنفسه لا بالباء ، ورجعت الى الحديث الشريف فلم أجِد سوى ذلك ومنه « ثم لقد بَصَّرَ أبو بكر الناس اخدي » (٨) وبذا يخلص هذا البحث إلى أن التخطئة (تخطئة الاثبات) ليست في محلها ، لأن النصوص الفصيحة تعضد صورة الاثبات ، مثلما هو يخلص إلى أن الاجازة (إجازة الوجهين) بعيداً عن بيان المستوى اللغوي وأفضلية التعبير ليست موافقة للواقع اللغوي ولا منسجمة مع مواقف المعاجم الأساسية ، وأن ما يطمئن إليه هذا البحث هو اعتماد صورة الحذف من دون إنكار صورة الإثبات .

« حـدا »

خطأ إبراهيم اليازجي أن يقال : « حـلـابه » (٩) وأوجب حذف الباء وسار في إثره إبراهيم المنذر (١٠) ، ومصطفى جواد (١١) . أما محمد العدناني فقد منع الباء إذا كانت الدلالة عامة ؛ وهي الحث عامة . لكنه أجازها إذا كانت الدلالة خاصة وهي حث الأبل على السير بالحداء ؛ فانه يقال : حـدا الإبل واحداً بها (١٢) .

- (٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : فنسك وآخرون - ١/١٨٤ الممود الثاني (لیدن ١٩٣٦ م) .
- (٩) مقالات الكتاب ومناهج الصواب : جرجي البولسي - ٢٩ (حريصا - مطبعة القديس يونس - د . ت .) .
- (١٠) نظرات في اللغة والأدب : مصطفى الفلايني - ١٦ (بيروت - مطبعة طيارة - ١٩٢٧ م) .
- (١١) الباحث اللغوية في العراق : مصطفى جواد - ٥٦ / الهامش الرابع . (بغداد - مطبعة العاني ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .
- (١٢) معجم الأخطاء الشائعة - ٦٣ .

وعلى الطرف الآخر نجد مصطفى الغلاييني يرد على المنابر هذه التخطئة (١٣) ، ويجيز الوجهين معاً مستنداً بما في اللسان والقاموس : « حدا الإبل وحدا بها » . وكذلك نجد صلاح الدين الزبيلوي يرد على اليازجي تلك التخطئة ويقول : « لست أدري لهذه التخطئة وجهاً البتة » لأنك تقول : (حدوت الإبل وحلوت بها) إذا سفتها ، فتقول من ذلك على المجاز : (حداني الأمر الى كذا ، وحداني) إذا ساقك الى ماتشير إليه (١٤) « وهكذا أجاز الوجهين معاً على حد سواء .

إن ما يراه هذا البحث أن المحور الذي يدور عليه الخلاف هنا هو الدلالة الحقيقية الوضعية ، والدلالة المجازية . وقد عاد هذا البحث الى جمهرة المعاجم العربية الأصيلة ، فوجد أن المعنى الوضعي هو سوق الإبل وأن التعبير عنه قد ورد بالطريقتين : « حدا الإبل ، وحدايها » . أما المعنى المجازي فقد روت المعاجم أسلوب الحذف (١٥) واحتج اللسان لذلك بحديث الدعاء : (نحلوني عليها خلّة واحدة) ثم أوضح الأصل وقال : « وهو من حدو الإبل » (١٦) . ومن هنا اختلف المحققون اللغويون : فمنهم من سار على هذا النهج مفرقاً بين حد الإبل خاصة والحد عامة (كالدناني) ، ومنهم من لم يشر في تحقيقه الى حد الإبل ، مكتفياً بالقول إن الصواب هو الحذف (كاليازجي والمنذر ومصطفى جواد) ، ومنهم من أجاز الوجهين مطلقاً من دون أي إشارة الى

(١٣) نظرات في اللغة والأدب - ١٦ . وقد رجعت الى كتاب المنذر في طبعته الثالثة ١٩٢٧م فلم أجد هذه التخطئة ولعله عدل عنها .

(١٤) أخطاؤنا في الصحف والدواوين : صلاح الدين الزبيلوي - ١٦٣ . (دمشق - المطبعة الهاشمية - ١٩٣٩م) .

(١٥) مادة (ح د و) في كل من : معجم مقاييس اللغة لآحمد بن فارس (٢ / ٣٥) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٦٩م ، وأساس البلاغة ، ولسان العرب ، وتاج العروس ...

(١٦) لسان العرب : مادة (ح د و) .

الحقيقة والمجاز (كانغلايني) ومنهم من أجاز ذلك مع الإشارة الى الانتقال من الحقيقة الى المجاز (كانزعلوي) .

ولا يشك هذا البحث في أن ما جاء به الغلابيني والزعلاوي معقول مقبول ، وأن مبدأ تطور الدلالة من حيث تعميم الخاص يسعف في هذا الاتجاه ، وهو مبدأ علمي فسر علماؤنا الماضون والمحدثون آلاف الدلالات في هديه ، وحسبنا هنا أن نشير الى كتاب « الزينة في الكلمات الإسلامية العربية » لأبي حاتم الرازي (٨٣٢٢) فإن نظرة فيه كافية في هذا المجال . هذا إلى أن ما وجدته في معجم مقاييس اللغة يوثق ذلك ويؤيده ، إذ يقول : « النحاء والدال والحرف المعتل : أصل واحد ، وهو السوق » (١٧) فإذا كان ذلك كذلك ، خرج السوق عن أن يكون للإين خاصة ، وصح أنه عام أصلاً (أي بالمعنى الوضعي) ، وما عاد الأمر ثقلاً من الحقيقة الى المجاز . ولقد انجبه هذا البحث : وهو يتعقب دلالة (حادا) التي يدور عليها الخلاف الحاد في التخطئة والتصويب ، الى الحديث الشريف ، فألقى فيه هذا النص : « كان عامر رجلاً شاعراً ، فتزل يحدو بالقوم يقول . . . » (١٨) ، فيها هو ذا شاهد على إثبات الباء في غير ما هو خاص بالإيل ، فالنص : « يحدو بالقوم » ، قاطع على أن خلقت منه المعاجم لانتخلو منه العربية ، وأن السماع الذي لم يهتد إليه الغلابيني والزعلاوي إنما هو حق واقع يعضد هذا الاستعمال الذي يعضده ماتقدم من تفسير دلالي سليم موافق لحقيقة اللغة العربية ومسلكها السديد في تلون التلاوة وتوزعها توزعاً طبعياً غالبة في الدقة والايفاء .

بيد أن قناعة هذا البحث بصحة صورة الإثبات ، ووجه من أسرع الى تخطئتها ، لانتسبه أمراً جوهرياً ، وهو تحديد مرتبة هذه الصورة الفصيحة . ذلك أن

(١٧) معجم مقاييس اللغة : مادة (ح د و) ٢/٣٥ .

(١٨) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ١/٤٣٨/العمود الأول .

إخراج هذه الصورة من دائرة الخطأ الى دائرة الصواب لا يعني أن شهرتها في النصوص القصيدة شهرة الصورة الأخرى (صورة الحذف) ، بل الحذف هو الأشهر في حث الناس ودفعهم (حذاهم) وأن ما يتغيه هذا البحث إنما هو ردُّ التخطئة من دون أن ننسى أن الوجه الأشهر هو الأوَّلُ ، مادامنا نروم أعلى الأساليب ، وننتقي أقوى الأوجه اللغوية المغنية عن غيرها مما هو أدنى منها .

« أسرف »

خطأ زهدي جار الله أن يقال : « أسرف بالمال » وقال بحذف الباء لزوماً : « أسرف المال » (١٩) . ثم أعقبه في هذا محمد جعفر الكرباسي ، مخطئاً إثبات الباء (٢٠) .

ولم يذكر الباحثان شيئاً مما يؤثقان به هذا القول ، فلا من شاهد في هذا ، ولا من نص قديم أو حديث !

إن المشهور المستفيض في أعلى النصوص وأبلغها أن يعدى هذا الفعل (وما يتصل به من المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل) بحرف الجر « في » . قال تعالى : (فلا يُسْرِف في القتل) (٢١) ، وقال تعالى : (وإسرافنا في أمرنا) (٢٢) . وجاء في الحديث الشريف : « ولا يسرف أحد منكم في هذا الأمر » (٢٣) وفي مصنفاته : « باب كراهية الإسراف في الماء » (٢٤) وقال الإربلي إن هذا الفعل إنما يساق على هذا النحو :

(١٩) الكتابة الصحيحة - ١٥٩ .

(٢٠) نظرات في أخطاء المنشئين ١/٢١٠ .

(٢١) الاسراء - ٣٢ .

(٢٢) آل عمران - ١٤٧ .

(٢٣) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢/٤٥٤/المعجم الثاني .

(٢٤) نفسه ٢/٤٥٥/المعجم الأول .

«أسرف فلان في فعله» (٢٥) . . . إلخ .

ومما يقف البحث عنده أن الباحثين المذكورين لم يغفلا عن هذا ، بل أوردوا من النصوص على إثبات الحرف (في) ، وكذلك الحرف (على) ، نحو قوله تعالى : (الذين أسرفوا على أنفسهم) (٢٦) . . .) ولكنهما لم يذكرنا شيئاً عما هما بصدد من التخطئة والتصويب ! ! وهكذا حكما بأن «أسرف بالمال» خطأ صوابه «أسرف المال» لا غير ، على حين وجدنا المعاجم العربية حتى الحديث منها كالمعجم الوسيط ، إنما تشير الى التعدية بالحرف قال الوسيط مانعه : « يقال : أسرف في ماله ، وأسرف في الكلام ، وأسرف في القتل » (٢٧) . . . فما شواهد التعدية المباشرة ؟ وما مصادرها ؟ وما مبلغ ورودها في عصور الفصحاة اللغوية ؟ !

جاء في إصلاح المنطق : « سرف الشيء أسرفه سرفاً إذا أغفلت وجهته . . . » (٢٨) . هذا هو النص القديم ، وهو خاص بالثلاثي (سرف يسرف) لا الرباعي (أسرف يسرف) ، والمعنى غير المعنى . فمن أين جاءت التعدية المباشرة للرباعي وبالمعنى المألوف وهو التفريط والتبذير ؟ !

(٢٥) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب : عملاء الدين الاربلي - ٢٧٢ .
(النجف ١٣٨٩ هـ) .

(٢٦) الزمر - ٥٣ .

(٢٧) مادة (س ر ف) .

(٢٨) إصلاح المنطق : ابن السكيت - ١٩٢ . (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - القاهرة) دار المعارف ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) .

« ظن »

قال الزهاوي :

أظنّ بأن الموت قد كان قاصداً

سليمى ، فقالت : إئتني أناذ لير

وعقب إبراهيم الوائلي بقوله : « وفي الديوان : وظني أن الموت... ولعله تجنب تعمية الفعل « ظن » بالباء ، وهو يتعدى بنفسه ، ولا ضمير من تعديته بالباء (١٢٨) .

والحق أن تعمية الفعل « ظن » بالباء لاتصح دائماً ، ولا تجوز دائماً . وعليه يلزم البيان الوافي للحالة التي يتعدى فيها هذا الفعل بنفسه ، والحالة التي يتعدى فيها بالباء . ذلك أن التعمية بالباء لاتصح إلا في الحالة التي يكون فيها المجرور بتلك الباء موضعاً للظن . جاء في الكتاب : « وتقول : ظننت به . جعلته موضع ظنك ، كما قلت : نزلت به ونزلت عليه (٢٩) » . وعلى ذلك يكون معنى قولنا مثلاً : « ظننتُ بزيدٍ الوفاء » أي ظننت الوفاء مستقراً في هذا الموضع (وهو زيد) ، لا أن زيدا هو الوفاء .

قال تعالى : « وتظنون بالله الظنونا » (٣٠) . « الظانين بالله ظنّ السوء » (٣١) « ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً » (٣٢) وجاء في الحديث الشريف : « إن ظنّ في خيراً فله » (٣٣) « كيف ظنك بربك ؟ » (٣٤) ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » (٣٥) .. إلخ

(١٢٨) اضطراب الكلم عند الزهاوي : إبراهيم الوائلي - ٨٦ . (بغداد -

مطبعة الايمان - ١٩٧١ م) .

(٢٩) كتاب سيبويه - ٤١/١ . (تحقيق عبدالسلام محمد هارون القاهرة - ١٩٦٦ م) .

(٣٠) الأحزاب - ١٠ . (٣١) الفتح - ٦ .

(٣٢) النور - ١٢ .

(٣٣) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - ٨٥/٤ / العمود الثاني .

(٣٤) نفسه - ٨٧/٤ / العمود الاول . (٣٥) نفسه .

وهكذا فإن «ظنّ به» هي غير «ظنّته»، وإن حذف الباء يعني أن المفعول الثاني وصف للأول، فقولنا: «ظننتُ زيداً وفاقاً» يعني أن زيداً هو نفسه أنوفي، خلافاً لقولنا «ظننتُ يزيد الوفاء» على ما تقدم، ومن هنا خطأ شاكر شقير اللبناني (في القرن التاسع عشر) من يقول:

«ظن بها نورماندية» قائلاً: «فمن رأى في كتب العرب: ظننت يزيد عاقلاً؟» (٣٦). وخطأ يوسف بركات أن يقال: «ظننت بألك عالم»، موجياً حذف الباء (٣٧).

إن هذا الحذف لازم، لا مجال للإغضاء عنه. ورجعت إلى القرآن الكريم، المصدر الأعلى في التوثيق اللغوي، فوجدته يستعمل هذه المادة في اشتقاقات مختلفة، وكلها لا يثبت الباء في الحالة التي نحن بصددّها، (ويثبتها في الحالة الأخرى المذكورة آنفاً في هذا البحث)؛ فتحذف الباء باطراد لا ينقطع، وهي معداة بالمصدر المؤول (من أن) — المشددة والمخففة — ومعمولها (ضمن الحالة التي ورد فيها بيت الزهاوي. قال تعالى:

- إني ظننت أنّي ملاقٍ حسايه (٣٨)
- (ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) (٣٩).
- وظن أهلها أنهم قادرون عليها (٤٠).
- (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) (٤١).

-
- (٣٦) لسان غصن لبنان في انتقاد اللغة العصرية: شاكر شقير اللبناني — ٢١.
(بعيدا — المطبعة العثمانية — ١٨٩١م).
- (٣٧) فلسفة النحو: يوسف بركات — ٥٨. (بيروت — مطبعة الانصاف — ١٩٤٩م).
- (٣٨) الحاقّة — ٢٠. (٣٩) فصلت — ٢٢.
- (٤٠) يونس — ٢٤. (٤١) الجن — ٧.

- (قال ما أظن أن تتبد هذه أبداً) (٤٢) .
 — (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) (٤٣) .
 — (الذين يظنون أنهم ملائكة ربهم) (٤٤) .
 . . . الخ ! !

هذه شواهد من القرآن الكريم (ويزخر الحديث الشريف ، والأدب العربي بما لا حصر له من النصوص . . . وكلها يحذف الباء .

لقد رجح الوائلي في قوله المتقدم أول هذا المبحث أن يكون الزهاوي قد تجنب تعدية الفعل « ظن » بالباء ، فعلمل عن : « أظن بأن الموت » الى : « وظني أن الموت » . فاذا كان ذلك هو ما وقع فعلاً ، فإن الزهاوي كان قد فعل خيراً ، على أن قول الوائلي مشيراً إلى الفعل « ظن » : « ولاصير من تعديته بالباء » على ما تقدم أول هذا المبحث لا يطابق الحقيقة في هذا الموضع من التركيب ، وأنه لا مناص من الحكم بالخطأ على بيت الزهاوي في إثباته الباء في تلك الصورة ، والإفصاح معنى ذلك البيت إذا جعلنا المصدر المؤول فيه مجروراً بالباء على أنه موضع للظن ! ثم أين الأدلة والشواهد التي تدعم هذا الإثبات . . . بعد أن رأينا من الشواهد القرآنية ما يقطع بأن لا مجال أبداً لإثبات الباء في هذه الحالة ؟ !

« اعتقد »

خطأ إبراهيم المنذر (٤٥) ، وأسعد داغر (٤٥أ) ، وزحدي جار الله (٤٥ب) ،

- (١٢) الكيف — ٣٥ . (٤٣) المطففين — ٤ .
 (٤٤) البقرة — ٤٦ .
 (٤٥) كتاب المنذر : إبراهيم المنذر ٩/١ : ٣٢ ، ٦٥ ، (ط ٣ : بيروت — مطبعة الاجتهاد — ١٩٢٧ م) .
 (٤٥أ) تذكرة الكاتب : أسعد خليل داغر : ص (٥١ — ٥٢) ، ص (١٢) من الملحق — (القاهرة — المطبعة العصرية — ١٩٣٣ م) .
 (٤٥ب) الكتابة الصحيحة — ٢٥٥ .

ومحمد الكرباسي (٤٦) أن يقال : « اعتقد به » وأوجبوا « اعتقده » ، لأن الفعل متعدٍ بنفسه .

ورفض الغلاييني هذه التخطئة المطلقة وقال بأن لامانع من الباء إذا كان المقصود بالفعل (اعتقد) هو (آمن) ؛ فإنه سيتعدى الى مفعوله بالباء على النضمين (٤٧) . ثم جاء العدناني فأيد مذهب الغلاييني في ذلك بعد أن ساق مذهب ابن سيده في أنه متى أشرب الفعل معنى فعل آخر لمناسبة بينهما تعدى تعديته أولزم لزومه (٤٨) .

والذي ينبغي هذا البحث التحقق منه والاطمئنان إليه هو ورود الفعل (اعتقد) بمعنى (آمن) في كلام العرب الفصحاء ضمن العصور المعتمدة من حيث الاستدلال اللغوي . ولقد ضرب الغلاييني هنا امثال الآتي : « اعتقد بالله » ، والإعتقاد بالله « لبيان مجيء الفعل لهذا المعنى » ولكنه لم يحل على أي مصدر ، ولم يبين للقارئ الباحث متى كان وقوع هذا الاستعمال في تاريخ العربية ؛ وفي أي مكان من الاصقاع والبيئات ؟ ! ومع أن العدناني قد أيد مذهب الغلاييني ؛ لم يستطع أن يجد معنى « آمن » بين المعاني الكثيرة التي وجدها وسردها للفعل « اعتقد »

(٤٦) نظرات في أخطاء المنشئين - ٨٦/٢ .

(٤٧) نظرات في اللغة والادب - ١١ .

قال الغلاييني هنا راداً على المنذر : « ان اللغويين لم يدركوا هذا الحرف الا متعدياً بنفسه ، لذلك جعل الأستاذ (اعتقد به) خطأ ، لانه لم يرد في كتب اللغة . ونحن نسلم بخطأ (اعتقد به) ان أراد الكاتب أنها بمعنى « صدقه » ، ولانسلم بخطئه ان أراد معنى « آمن به » . فالاعتقاد ان تضمن معنى الايمان جازت تعديته بالباء ؛ لأن الفعل يختلف تعديته باختلاف استعماله ، ليتضح معناه المراد . وقد قالوا : « اعتقد بالله » والاعتقاد بالله « بمعنى آمن به » والايمان به » .

(٤٨) معجم الأخطاء الشائعة ١٧٥ . والعدناني تأييد آخر حيث قال [١٨٠] : « وما تضمن معناه له حكمه » .

ولقد عدت الى أشهر معاجم العربية ، ومنها الاساس ، والمصباح ،
واللسان ، والتاج ، وآخرها المعجم الوسيط فما وجدت شيئاً من هذا المعنى
(آمن) في أيّ منها !! مثلما لم أجده الباء مع « اعتقد » في أيّ معنى
من تلك المعاني التي سجلتها له المعاجم الموثقة تلك (٤٩) ؛ فمن أين جاء هذا
المعنى ؟ وهل من شاهد صحيح عليه ؟ ثم إن التضمنين إنما يقع بعد
ورود النصوص الفصيحة التي تحتاج الى ذلك ، فأين تلك النصوص التي
حملت الباء مع الاعتقاد حتى يفكر أهل اللغة بتخريجها ؟ !

« كلف »

خطأ إبراهيم اليازجي (٥٠) ، وإبراهيم المنذر (٥١) ، وأسعد داغر (٥٢)
وكمال إبراهيم (٥٣) ، ويوسف بركات (٥٤) و مازن المبارك (٥٥) ،
وعباس أبو السعود (٥٦) ، ومحمد العدناني (٥٧) ومحمد جعفر
الكرباسي (٥٨) . . . أن يقال مثلاً : « كلفته بالأمر » وأوجبوا حذف الباء .

- (٤٩) والتي منها : اشتري ، اقتنى ، عصب ، اتخذ ، اشتد ، بنيت ، . . .
السخ . ينظر الى التاج في مادة (ع ق د) .
(٥٠) مقالات الكتاب - ١٠٥ .
(٥١) كتاب المنذر - ٩/١ ، ٧٢ .
(٥٢) تذكرة الكاتب - ص (٥) من الملحق .
(٥٣) أغلاط الكتاب : كمال إبراهيم - ٧ . (بغداد - المطبعة العربية -
١٩٣٥ م) .
(٥٤) فلسفة النحو - ٥٤ ، ٦٠ .
(٥٥) نحو وعي لغوي : مازن المبارك - ١٩٩ .
(دمشق - مكتبة الغارابي - ١٩٧٠ م) .
(٥٦) أزهير الفصحى في دقائق اللغة : عباس أبو السعود - ٧٩ . (القاهرة -
دار المعارف - ١٩٧٠ م) .
(٥٧) معجم الاخطاء الشائعة - ٢٢١ .
(٥٨) نظرات في اخطاء المنشئين - ٢١٦/٢ .

وقد وقف على طرف آخر فريق لغوي كمصطفى جواد وأنستاس الكرملي (٦٠) ، وصلاح الدين الزعبلوي (٦١) ، ومحمد علي النجار (٦٢) ... يسوغ إثبات الباء ويلتمس له التخريج والتوجيه .

ويستند المخطئون الى أن هذا الفعل متعد بنفسه ، ولم ترد تعديته بالباء . ويرى المجوزون أن هذا الفعل يمكن أن يضمّن معنى فعل آخر كأن يكون : « أمر » أو « أغرى » (٦٤) وعندها يجوز إثبات الباء .

وقد عاد هذا البحث الى مصادر التوثيق اللغوي ليقف على ما تبديه ، إن في النصوص العالية ، أو في المعاجم الأصيلة : قال تعالى :

— (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (٦٥) .

وقال تعالى : — لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاه (٦٦) .

وجاء في الحديث الشريف : — « متى كلفتموها ذلك ؟ » (٦٧) .

وجاء في الحديث الشريف : — « كلف أن يحمل ترابها الى المحشر » (٦٨) — وجاء في الشعر :

(٥٩) أغلاط اللغويين الأقدمين : أنستاس الكرملي : ص (٢٠ - ٣١) .

(بغداد - مطبعة الأيتام - ١٩٣٣ م) .

(٦٠) نفسه - ٧٢ .

(٦١) أخطاؤنا في الصحف والدواوين : ص (٢٥٥ - ٢٥٦) .

(٦٢) محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة : محمد علي النجار - ٤٠/٢ .

(القاهرة - معهد الدراسات العربية العالية - ١٩٥٩ م) .

(٦٣) أخطاؤنا في الصحف والدواوين : - ٢٥٥ .

(٦٤) محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة - ٤٠/٢ .

(٦٥) البقرة - ٢٨٦ .

(٦٦) الطلاق - ٧ .

(٦٧) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : ٥٤/٦ - العمود الثاني .

(٦٨) نفسه .

— قال المثقب العبدى :

كلّفنتها تهجير داويّةٍ من بعد شأوي ليلها الأبعد (٦٩)

— قال رؤبة (٧٠) :

كلّفنتها المهرية الضوابع .

ذلك هو الأصل في استعمال هذا الفعل وما يتصل به ، وهو الوصول الى المفعول بالباء ، بشهادة مايتعذر إحصاؤه من أعلى النصوص العربية وأنقأها مما يستدل به في علوم اللغة العربية . وهو ما حمل المعاجم العربية خلال التاريخ أن تسجله على هذه الصورة وحدها من غير إجازة لإثبات الباء . وكان ذلك في الجمهرة ، والمقاييس ، والصحاح ، والعياب ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، . . . وآخرها الوسيط (٧١) . وفي هذا كله ما يغني عن غيره ، وما يحقق القناعة بصواب موقف المخطّئين ، الذين رفضوا الباء ، وطلبوا حذفها في التعبير الحديث

إنّ المجوزين لم يقدموا ما يحقق هذه القناعة ولا شيئاً منها ، وأن كل ما فعلوه لا يعدو أنهم حاولوا جاهدين تخريباً لتعبير حديث وجدوه مخالفاً للأصل الصحيح ، لأنهم وجدوا نصاً مما يحتج به حمل الباء ، فحاولوا تخريبه على التضمين ، وحل إشكاله .

(٦٩) مجلة معهد المخطوطات العربية - ٢٠/١٦ (القاهرة - معهد المخطوطات

العربية في جامعة الدول العربية - ١٩٧٠ م) .

(٧٠) نفسه - ٩٣/١٦ . وينظر الى الصفحات : الآتية في المجلد نفسه : ٧ ،

٨٩ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، وأرقام الأبيات هي على التوالي : ٨٥ ، ٥٥ ، ١٣٨ ،

٥٤ .

(٧١) ينظر في مادة (ل ك ل ف) من تلك المعجمات .

« التقى »

خطأ إبراهيم المنذر (٧٢) ، وأسعد داغر (٧٣) ، وكان إبراهيم ،
وصلاح الدين الزعبلوي (٧٥) ، ومحمد العبداني (٧٦) ، ومحمد جعفر
الكرباسي (٧٧) . . . أن يقال : « التقى به » وأوجبوا حذف الباء .
بيد أن كمال إبراهيم يبين - بعد التخطئة - أن حمل هذا الفعل على معنى
« اجتمع » يمكن من تعذية الفعل بالباء فيثبت (٧٨) .

والحق أن هذا الفعل متعدٍ بنفسه ، وإن أفعالاً أخرى من مادته متعدية
كذلك بنفسها وهي : لقي ، ولاقي ، وتلقى . قال تعالى : (وتلقّاهم
الملائكة) (٧٩) . وقد جاءت بذلك معاجم العربية التي تستمد مادتها من
شواهد العربية العالية ، نحو قول الشاعر :
لما التقيت عميراً في كتيبه

عاينت كأس المنايا بيننا بدداً (٨٠)

وهكذا نجد « الأساس » يثبت « التقيته » (٨١) ، ونجد اللسان
وه التاج « على الموقف نفسه حيث نصّاً على : « التقاه » (٨٢) . فلا يجد هذا

(٧٢) كتاب المنذر - ٩/١ .

(٧٣) تذكرة الكاتب - ٣٨ .

(٧٤) أغلاط الكتاب : ص (٥٧ - ٥٨) .

(٧٥) أخطاؤنا في الصحف والدواوين - ٢٥٩ .

(٧٦) معجم الاخطاء الشائعة - ٢٣٠ .

(٧٧) نظرات في اخطاء المشنئين - ٢٤٣/٢ .

(٧٨) أغلاط الكتاب : ص (٥٧ - ٥٨) .

(٧٩) الانبياء - ١٠٣ . وقال تعالى :

- « اذ تلقونه » [النور - ١٥]

- « واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه » [البقرة - ٢٢٣] .

(٨٠) أساس البلاغة - مادة (ل ق ي) .

(٨١) نفسه .

(٨٢) لسان العرب ، وتاج العروس - مادة (ل ق ي) .

البحث ما يدعو الى التضمنين تجويزاً لإثبات الباء ، وليس هناك ما يقتضي الناظم أو الناصر الانصراف عن الفصاحة والسماع المحقق .

على أن ما استوقف هذا البحث الطريقة التي استعمل فيها القرآن الكريم (وما وقف عليه هذا البحث من شواهد الحديث الشريف) للفعل « التقى » :

قال تعالى : (فالتقى الماء على أمر قد قدر) (٨٣) .

وقال تعالى - (مرج البحرين يلتقيان) (٨٤) .

وقال تعالى - (يوم التقى الجمعان) (٨٥) .

وجاء في الحديث الشريف : - « اذا التقى المسلمان فتصافحا » (٨٦) .

- « وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٨٧) .

- « إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم . . . » (٨٨) .

وهكذا يلحظ المتأمل اختيار القرآن والحديث لهذا اللون من استعمال الفعل « التقى » ، وهو الاكتفاء بالفاعل من دون انتقال الى المفعول بالحرف أو بنفسه ؛ سواء أكان الفاعل مفرداً أم مثنى أم جمعاً . ولذا إن من طبيعة الدلالة في هذا الفعل أن يوجد طرفان يتحقق بينهما اللقضاء ؛ فليس من الضروري أن نجعل أحدهما فاعلاً ونجعل الآخر مفعولاً . بل إن الطرفين معاً هما اللذان يشتركان في هذا الأمر ، وإن من الإبقاء أن نعد كلا منهما فاعلاً . وعلى هذا يمكن أن نستبدل بقولنا مثلاً : « التقى الرجل الآخر » قولنا : « التقى الرجلان » ؛ فيكون هذا المثنى دليلاً على أن كلا من الرجلين قد التقى صاحبه ، وأن أحدهما فعل ما فعل الآخر .

(٨٤) الرحمن - ١٦ .

(٨٣) القمر - ١٢ .

(٨٦) الانفال - ٤١ .

(٨٥) آل عمران - ١٥٥ ، ١٦٦ .

(٨٦) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : ١٤٤/٦ / العمود الاول .

(٨٨) نفسه .

(٨٧) نفسه .

ذلك هو التأليف الغالب ، والاستعمال الأمثل . بيد أنه لا يحول بين المتكلم ورغبته في جعل أحد الطرفين فاعلاً والآخر مفعولاً ، وعندها إن الواجب على المتكلم أن يعدي هذا الفعل بنفسه : وأن يتجنب الباء .

« هم »

خطأ زهدي جار الله قوله : « هم بأن يسافر » وقال بأن الصواب هو حذف الباء (٨٩) . ثم مضى الى أبعد من ذلك حين خطأ هذا الأسلوب على لسان الشاعر القديم قائلا : « لا يؤ به لقول الشاعر القديم : (هممت بأن أفضل وكدت وليتني . . .) ، فقد أدخل الباء حتى يحافظ على وزن البيت » (٩٠) .

ومن الغريب أن نجد هذا الإنكار وعلى هذا النحو من التشدد والتخطئة . فالمقرر في النحو العربي أن حرف الجر هو الوسيلة في وصول اللازم الى مفعوله ، وأن المتكلم إذا أراد حذفه فله حق كامل في ذلك إذا كان المجرور (وهو مفعول اللازم) مصدرًا مؤولاً من « أن » أو « أن » ومعمولها . أما إذا لم يكن كذلك ، فليس هناك إلا الحذف السماعي الخاص . قال ابن مالك : (٩١) .

وعد لازمًا بحرف جر وإن حذف فالنصب للمُسَجَّر
نقلًا ، وفي « أن » و « أن » يطرد مع أمن كيس ، كمجبت أن يدوا

(٨٩) الكتابة الصحيحة - ٣٨٠ .

(٩٠) نفسه .

(٩١) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ١٤٩/٢ - ١٥٠ .

(تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط ١٦ : بيروت - دار الفكر -

١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .

فلا إلزام بالحذف ، لأن الإثبات هو الأصل ، وأنّ الحذف قد جرى في العربية على صورتين : صورة سماعية ، وأخرى قياسية ، فليس الموضوع هو الإثبات ، ولكنه هو الحذف . وكيف يكون جوازُه : أسماعي أم قياسي ؟ وفي كلتا الحالتين لا يمس الإثبات ! فكيف يكون الإثبات خطأ ؟ ! يقول ابن عقيل : « إنّ الفعل اللازم يصل الى المفعول بحرف الجر . ثم إن كان المجرور غير « أن » و « أن » لم يجز حذف حرف الجر إلا سماعاً ، وإن كان « أن » و « أن » جاز ذلك قياساً عند أمن اللبس ، وهذا هو الصحيح . » (٩٢)

البحث إذن في الحذف ومعالجته : أجاز هو أم ممنوع ؟ ولئن خطأ زهدي الشاعر القديم في إثباته الباء مع المصدر المؤول . . . فقد كان ذلك متناقضاً مع مطالبته الكتاب أن يثبتوا الباء مع المصدر الصريح حين أوجب عليهم أن يقولوا : « همّ بالسفر » (٩٣) . هل يختلف المصدر الصريح هنا عن المصدر المؤول ؟ وفي أي شيء ؟ ! لماذا وكيف يصح أن يقال : « همّ بالذهاب » ، ولا يصح أن يقال : « همّ بأن يذهب » ؟ ! أليس ذلك من العجب ؟ ! وإذا كانت مجازفة ذلك الباحث دفعته الى تخطئة الشاعر العربي القديم صاحب اللغة ومصدرها . . . فهل هو قادر على أن ينسب علة المحافظة على الوزن - وهي على ما هي عليه من الوهن والتهافت - الى كل شاعر آخر قديم ؟ ! هذا هو العجّاج يقول : (٩٤) .

قلْتُ لأَحْبَوْبَاءِ حِينَ هَمَّتِ
بأن تَحْرِفَ جَزَعاً أو خَفَّتِ
هل أنا الا رجُلٌ من أمتي ؟

(٩٢) نفسه : ١٥٣/٢ .

(٩٣) الكتابة الصحيحة - ٢٨٠ .

(٩٤) ديوان العجّاج (رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه) - ٢٧٥ .

(تحقيق : د. عزة حسن . بيروت - مكتبة دار الشرق - ١٩٧١ م) .

للشر كذلك ، وأن منع استعمالها في الشر لا يسنده دليل معتمد يصح الركون إليه . قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) (٩٧) ، وذلك هو الخير . وقال تعالى : (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) (٩٨) ، وذلك هو الشر .

لقد خطأ محمد جعفر الكرباسي استعمال « وعد » في قولهم « وعدت الرجل شراً » قائلاً : « يقولون : وعدت الرجل شراً . والصواب : أوعدت الرجل شراً » (٩٩) وكان محمد العدناني قد أشار الى أن آخرين كانوا « يخطئون من يقول ، (وعدته شراً كبيراً) ، ويقولون : إن الصواب هو : (أوعدته بشر كبير) (١٠٠) . ومن الغريب أن يحتج الكرباسي بكلام الأزهري السابق والذي نصّ على أن كلام العرب هو « وعدته شراً » وأن يردّ في مبحثه النص القرآني الكريم الذي بصرّح باستعمال هذا الفعل في الشر وهو : « الشيطان يعدكم الفقر » (١٠١) . . . ومع ذلك وجدناه يخطئ قولهم : « وعدت الرجل شراً » !

ثانياً - التعبدية :

خطأ زهدي جار الله قولهم : « وعدته بالمساعدة » (١٠٢) وخطأ الكرباسي قولهم : وعد فلاناً بشيء » (١٠٣) . . . وقال بأن الصواب هو

-
- (٩٧) المائدة - ٩ .
 - (٩٨) التوبة - ٦٨ .
 - (٩٩) نظرات في أخطاء المشننين - ١٩٣/٣ .
 - (١٠٠) معجم الأخطاء الشائعة - ٢٦٩ .
 - (١٠١) البقرة - ٢٦٨ .
 - (١٠٢) الكتاب الصحيحة - ٣٩٣ .
 - (١٠٣) نظرات في أخطاء المشننين - ١٩٣/٣ .

حذف الباء . ثم قالاً بأن الحذف أفصح (١٠٤) .

ويرى هذا البحث بادية ذي بدء أن يكتفي الباحثان بأحد القولين فيما أن يقولاً « الصواب هو الحذف » ، وذلك يعني أن الخطأ هو الإثبات . وإما أن يقولاً : « الأفصح هو الحذف » وذلك يعني أن الفصح هو الإثبات . فلاتجتمع العبارتان في صعيد واحد .

إن الحكم على الإثبات بالتخطئة لا يثبت أمام الأدلة اللغوية وفي رأسها ما صرحت به المعاجم الكبرى إن « لسان العرب » أوثق المعاجم العربية يقول في نص صريح : « وعده الأمر وبه » (١٠٥) ، وهذا هو « المصباح المنير » المعجم الأصيل يثبت أن هذا الفعل الثلاثي (وعد) يتعدى الى مفعوله بنفسه ، و يحرف الجر الباء (١٠٦) ، وهذا « تاج العروس » وهو الشرح المفصل للقاموس المحيط يقول مانصه : « وعده الأمر : متعدياً بنفسه . ووعده به متعدياً بالباء » (١٠٧) ثم جاء المعجم الوسيط في عصرنا الحديث فأقر هذا الاستعمال (١٠٨) وثبته ، وكذلك فعل من بعده معجم الأفعال المتعدية بالحرف (١٠٩)

ولكن ، كيف جاءت تلك التخطئة ؟ ذلك ماتبعه هذا البحث لقد ذكر تاج العروس أن جماعة منعت دخول الباء مع الثلاثي (وعد) وقالت

(١٠٤) قال زهدي جارالله [الكناية الصحيحة - ٣٩٣] : « استعمال (وعد) دون تعدية بالباء أفصح » .

وقال محمد جعفر الكرياسي [نظرات - ١٩٣/٣] :

« فاستعمال (وعد) من دون تعديته بحرف الجر أفصح » .

(١٠٥) لسان العرب - مادة (وعد) .

(١٠٦) المصباح المنير - مادة (وعد) .

(١٠٧) تاج العروس - مادة (وعد) .

(١٠٨) المعجم الوسيط - مادة (وعد) .

(١٠٩) معجم الأفعال المتعدية بالحرف : موسى بن محمد بن الملياني الاحمدي -

٤٣٦ . (ط ١ : بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٩ م) .

فإن هذه الإجابة سترتطم بما ذكرته أوثق المعاجم العربية التي سقنا طرفاً من نصوصها فيما سبق وقد أقرت فصاحة أن يقال : « وعده الأمر ، وبه » .

وإذا خالصنا إلى الإجابة : « لا » عن السؤال نفسه ، فإن النصوص السابقة التي ربطت الباء بالآلف لاتساعد ولا تسمح بهذه الإجابة .

هذا عن السؤال الأول . أما عن السؤال الثاني :

فاذا خالصنا إلى أن صورة الباء مع الآلف خاصة بالشر وحده ، فإن نصّ اللسان هو الذي يسعف في تأييد هذه الإجابة ، ولايسعف نصّاً ابن السكيت والجوهرى الإسعاف نفسه على ما تقدم .

ومن هذا الموضع يتولد سؤال جديد :

إذا كانت صورة الباء مع الآلف خاصة بالشر وحده ، فهل يمكن الاستغناء عن أحد طرفيها هذين : الباء والآلف ؟

هل يمكن أن يقال : « وعده بالشر » بإسقاط الآلف ؟

أم هل يمكن أن يقال : « أوعده شرّاً » بإسقاط الباء ؟
لاجواب موحداً هناك

فهذا الأزهرى يقول بأن هذه الصورة (أوعده شرّاً) هي « كلام العرب » - وقد مضى نصه في هذا المبحث .

وهذا ابن دريد يقول بأن هذه الصورة (أوعده شرّاً) هي الخطأ الذي لا يقال : « وهذا نصه : « أوعده بالشر » ولا يقال أوعده شرّاً :

إنما یقال : أوعده بشراً (١١٤) .

أما صورة (وعده بالشر) فلا نجد فیها جواباً أفضل أو أحسن حفظاً من جواب صورة (أوعده شراً) . ذلك أن من النصوص ما أوجب الإتيان بالألف في حال الإتيان بالباء . وقد مضت تلك النصوص في هذا البحث ، وأولها نص ابن السكيت ، وأن من النصوص ما أجاز بصريح القول الإتيان بالباء في غياب الألف ، وقد مضت تلك النصوص في هذا البحث وأولها نص اللسان .

هذا الاضطراب هو الذي مدّ ظله إلى تحقیقات اللغوية الحديثة ، فراحتم تمنع وتمنع ، في مسلك غامض . فالكرباسي منع أن یقال : « وعد فلاناً بشيء » وأعلن أن الصواب حذف الباء ، وسبقه إلى هذا المنع زهدي جار الله حيث منع أن یقال « وعده بالمساعدة » وأعلن أن الصواب حذف الباء . وقد مضت الإشارة إلى ذلك في هذا البحث .

المسألة خلافية إذن ، وأصحاب المعاجم الأساسية لم یقولوا كلمة واحدة . . .

لقد رأی هذا البحث أن یرجع إلى القرآن الكريم ، وكفی به شاهداً على اللغة الموثقة . والأسلوب الصافي ، فیخلص في هديه إلى القول الفصل . لقد نظرت في القرآن الكريم فوجدته يستعمل هذه المادة اللغوية في مختلف اشتقاقاتها ، فلم أجد الباء في واحد من تلك النصوص إن في الخير أو في الشر . . . وهذا طرف من النصوص الكريمة :

(١١٤) جوهرة اللغة : ابن دريد - مادة (و ع د) : ٤٤١/٣ - العمود الأول .
(ط ١ : حيدر آباد الدکن - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - ١٣٤٤ هـ)

١ - « وعد » :

لقد ورد الماضي : « وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا » (١١٥آ). وورد المضارع : « الشيطان يعدكم الفقر » (١١٦). وورد الأمر « وشاركهم في الأموال والأولاد وعيدهم » (١١٧) ، والمصدر : « ولا تحسبن الله مُخَنِفَ وعدهِ رُسُلُه » (١١٨) ، والمبني للمجهول : « مثل الجنة التي وَعِدَ المتقون » (١١٩) ، وصيغ أخرى نحو : « واليوم الموعود » (١٢٠) و « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مؤعدةٍ وعدها لآبائه » (١٢١) ، و « إن جهنم لموعدهم أجمعين » (١٢٢) .

إن هذه النصوص الكريمة طرف مما جاء في القرآن الكريم لكنها تمثل مختلف أحوال الصياغة الصرفية الخاصة بالثلاثي (وَعَدَ) ، ولم أجد في جميع ما في القرآن الكريم من تلك الصياغة ما هو معدّى بالباء (١٢٣) .

٢ - « اوعد » :

لقد ورد المضارع : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، وواضح أن الباء هنا غير متعلقة بالفعل « توعد » بل بالفعل « تقعد » أما تعدي الفعل

- | | |
|----------------------|----------------------|
| (١١٦) البقرة - ٢٦٨ . | (١١٥) المائدة - ٩ . |
| (١١٨) إبراهيم - ٤٧ . | (١١٧) الاسراء - ٦٤ . |
| (١٢٠) البروج - ٢ . | (١١٩) الرعد - ٣٥ . |
| (١٢٢) الحجر - ٤٣ . | (١٢١) التوبة - ١١٤ . |
- (١٢٣) قال تعالى [طه ٨٧] : (قالوا ما اخطفنا موعداك بملكتنا) . وواضح ان هذه الباء لاتتعلق بـ « موعد » بل تتعلق بـ « اخطف » ، ذلك أن المعنى هو « ما اخطفنا موعداك بأن ملكتنا امرنا » أي : لو ملكنا امرنا وخطفنا وراءنا لما اخطفناه ... » [الكشف للزمخشري ٥٥٠/٢ - طبعة بيروت دار الفكر] وقال ابن كثير يفسر « بملكتنا » : « أي : عن قدرتنا واختيارنا » [تفسير القرآن العظيم لابن كثير - ٢١٥/٣ - طبعة عمان دار الفكر] .
- (١٢٤) الاعراف - ٨٦ .

« توعّد ، قال مجذوف . قال ابن كثير في تفسيره : « أي : توعّدون الناس بالقتل » (١٢٥) .

فالقُرآن لم يذكر مابعد الفعل حتى تقف على إثبات الباء أو حذفه .
وظهر الفعل مبنيّاً للمجهول : (تُوْعِدُونَ) و (يُوعِدُونَ) مرات كثيرة في القرآن الكريم ، ولا وجود للباء معه . قال تعالى : « هذا يومكم الذي كنستم توعّدون » (١٢٦) ، وقال تعالى : « ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون » (١٢٧) ، وواضح أن الباء لو كانت هنا ، لكان النص : (توعّدون به) ، و : (يوعدّون به) . . .

ومع هذا ، لانستطيع أن نجعل هذا المضارع المبني للمجهول خاصاً بالفعل الذي نحن بصددّه في هذه الفقرة ، وهو « أوعّد » ، لأن هذا المبني للمجهول يصلح أن يكون أيضاً للفعل « وعد » في حالة المضارع « يعدّ » ، أو « تعدّ » .

هنا ، قصّدت الى الحديث الشريف ، فوجدت هذا الفعل (الرباعي) في هذا النص : « ويوعدهم الخير » (١٢٨) ، وفي هذا النص : « فإيعاد بالشر » (١٢٩) . . . (وهو مصدر أوعّد) . فاستقررت على هذا واطمأننت إليه ، وخلصت الى أن هذا الفعل يكون للخير ويكون للشر ، وأنه إن كان للشر كان مع الباء .

ينتهي هذا البحث في هذه المادة الى الآتي :

-
- (١٢٥) تفسير القرآن العظيم - ٣١٨/٢ .
 - (١٢٦) الانبياء - ١٠٣ .
 - (١٢٧) المعارج - ٤٤ .
 - (١٢٨) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي - ٢٥٧/٧/العمود الاول .
 - (١٢٩) نفسه - ٥٥٤/٥/العمود الاول .

أولاً - « وعد » :

- ١ - تستعمل في الخير ، وذكر الخير جائز .
- ٢ - تستعمل في الشر ، وذكر الشر واجب .
- ٣ - الأسلوب الأمثل أن يحذف معها الباء .

ثانياً - « أوعد » :

- ١ - تستعمل في الشر ، وذكر الشر جائز .
- ٢ - تستعمل في الخير ، وذكر الخير واجب .
- ٣ - الأسلوب الأمثل أن يحذف معها الباء في حالة الخير ، ويثبت في حالة الشر .



المعاني المشتركة بين حروف الجر

الدكتور فاضل صالح السارني

الاستاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد

هناك معانٍ مشتركة تؤديها طائفة من حروف الجر كالتعليل والظرفية والبدلية والاستعلاء وغيرها .

فالتعليل مثلاً يؤدي باللام وبمن والباء وفي وغيرها .

والظرفية تؤدي بفي والباء وعلى وغيرها .

والاستعلاء يؤدي بعلى والباء وعن ومن وغيرها ، ونحو ذلك .

فهل يكون المعنى المشترك متماثلاً في هذه الأحرف ؟ هل التعليل باللام والباء ومن واحد ؟ وهل الظرفية بالباء وفي وعلى واحدة ؟

وقل مثل ذلك على سائر المعاني .

والذي يبدو لي أن هذه المعاني ليست متماثلة في الأحرف التي تشترك بها بل يبقى لكل حرف خصوصيته في اداء المعنى واليك إيضاح ذلك .

التعليل :

يؤدي التعليل باللام كقوله تعالى : (والانعام خلقها لكم فيها دواء - النحل ٥) وقوله : (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون - الروم ٤٤) وقوله : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم - هود ١٨) . (١٩)

ويؤدي بالباء نحو قوله تعالى : (ولهم عذاب اليم بما كانوا يكتبون --

البقرة (١٠) وقوله : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم - النساء ١٦٠) .

ويؤدى بمن كقوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واباهم - الانعام ١٥١) وقوله : (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً - نوح ٢٥) .

ويؤدى بني نحو قوله تعالى : (لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم - النور ١٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : (دخلت امرأة النار في هرة حبستها . . .) (وغير ذلك ، فهل معنى التعليل في هذه الأحرف متماثل ؟

الحق انه غير متماثل وان كان المعنى العام واحداً . فالتعليل بالباء غيره باللام غيره بمن وفي . فان لكل حرف من حروف التعليل معنى خاصاً وان كانت كلها تفيد التعليل ولذا لا يصح ابدال حرف مكان آخر دوماً . فلا يصح مثلاً في قوله تعالى : (وإذا استسقى موسى لقومه - البقرة ٦٠) ان نقول (وإذا استسقى موسى بقومه او في قومه) لأداء المعنى نفسه . ولا يصح في قوله تعالى : (سخرها لكم - الحج ٣٧) ان نقول (سخرها بكم أو فيكم أو منكم) . ولا يصح في قوله تعالى : (والأرض وضعها للأنام - الرحمن ٢٠) ان نقول : (والأرض وضعها على الأنام او في الأنام او بالأنام أو من الأنام) لارادة معنى التعليل . ولو كانت المعاني متماثلة لصح ابدال حرف بآخر .

ان التعليل بالباء انما هو بمقابل شيء حصل تقول (عاقبه بذنبه) فالمقابل مقابل الذنب الذي اقترفه صاحبه وهو كأنه عوض عنه أو ثمن له جرى عليه بسببه . قال تعالى : (بل لعنهم الله بكفرهم - البقرة ٨٨) فاللعنة مقابل السكفر . وقال : (ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون - البقرة ١٠) فالعذاب مقابل كذبهم . وقال : (سنلقي في قلوب الذين كفروا

الرعب بما أشركوا بالله — آل عمران ١٥١) وقال : (انما استرلهم الشيطان ببعض ما كسبوا — آل عمران ١٥٥) أي مقابل ذلك . وقال : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس — الروم ٤١) فإن ظهور الفساد مقابل ما فعله الناس .

ولست اللام كذلك فإن اللام تفيد سبب حدوث الفعل وليست مقابلاً لشيء حصل فأنت تقول (جئت للاستفادة) فالاستفادة ليست مقابل شيء . وتقول (أرسلته لاختباره) فالاختبار ليس مقابلاً لشيء وانما ذكرت سبب المجيء والارسال وتقول (ارسلته لتجربته) و (أرسلته بتجربته) فقد أفادت الاولى أنه ارسله ليجربه والثانية ارسله لأنه مجرب أي مقابل تجربته التي حدثت قبل ارساله .

ان التعليل باللام يختلف عن التعليل بالباء وذلك ان العلة المقترنة بالباء تكون حاصلة قبل حدوث الفعل في الغالب وان الفعل حصل مقابلاً لها ، أما العلة المقترنة باللام فقد تكون حاصلة قبل الفعل وقد تكون مراداً تحصيلها قال تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) فاللعن مقابل الكفر والكفر حاصل قبل اللعن . وتقول (جئت للاطلاع) فالاطلاع غير حاصل في اثناء المجيء وانما يطلب تحصيله ، وتقول (جئت لمعالجة فلان) فالمعالجة هي السبب الداعي للمجيء وهي غير حاصلة في انثناء المجيء بل يراد تحصيلها . وقد يكون السبب موجوداً وهو الدافع الى الفعل كقولك (عاقبته لاساءته الى فلان) و (رسب لاهماله) فالاساءة هي سبب العقوبة وهي موجودة قبل العقاب وكذلك الاهمال .

ولذا لا يصح تعاقب الحرفين دوماً قال تعالى : (وأقم الصلاة لذكري طه ١٤) ولا تقول (بذكري) . وقال : (انما نطعمكم لوجه الله — الانسان ٩) ولا تقول (بوجه الله) . وقال : (ينبت لكم به الزرع والزيتون — النحل ١١) ولا تقول (ينبت بكم به الزرع) .

ان التعليل بالباء يفيد المقابلة والتمن بخلاف اللام التي تفيد الاختصاص والاستحقاق .

وأما التعليل بمن ففيه معنى الابتداء فعندما تقول (قتله من املاق) يكون المعنى ان القتل صدر من الاملاق وحصل منه فهو مبدأ الفعل . ونحوه (بكى من الألم) و (عض أصبعه من الندم) بمعنى حصل البكاء من الألم وصدر منه . فالتندم أسبق من العض ومنه حصل العض ، والألم أسبق من البكاء ومنه صدر البكاء . فالعلة بمن أسبق وجوداً من الحدث .

فـ (من) التعليلية تفيد الابتداء ، والباء تفيد المقابلة ، واللام تفيد الاستحقاق والاختصاص .

تبين مما سبق ان العلة المسبوقة بالباء و (من) موجودة قبل الحدث اما العلة المسبوقة باللام فقد تكون واقعة قبل الحدث وقد تكون مراداً تحصيلها .

وتبين لنا أن التعليل بالباء و (من) مختلفان . فالتعليل بالباء يفيد العوض والمقابلة وأما التعليل بمن فيفيد الابتداء فقولته تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) لا يصح منه أن تقول (باملاق) . وقولنا (عض أصبعه من الندم) لا يصح ان تقول فيه : بالندم . وقولنا (قعد من الجبن) لا يصح ان تقول فيه (قعد بالجبن) لأنه ليس مقابلاً للقعود وانما حصل منه القعود ونشأ منه .

قال تعالى : (وضربت عليهم المسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله - البقرة ٤١) فما حصل هو مقابل كفرهم .

وقد تحسن معاقبة الباء و (من) في تعبير واحد وكل على تقدير معنى فمثلاً قوله تعالى : (مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا - نوح ٢٥) المعنى فيه ان الماء دخل عليهم من خطيئاتهم أي جاءهم من هذا المكان كأن الخطيئات

ثغرة دخل منها المساء فهي للابتداء . ولو قلت (بخطيئاتهم اغرقوا)
لكان المعنى ان الغرق مقابل للخطيئات كأنهم ادّوا ثمن الخطيئات وهو
الغرق . وقال تعالى : (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم - النساء ١٥٣) اي
هذا مقابل ذاك فالصاعقة ثمن الظلم ولو قال (من ظلمهم) لكان المعنى أن
الصاعقة جاءتهم من موطن الظلم .

فالباء تفيد المقابلة والعوض و (من) تفيد الابتداء . جاء في (شرح
الرضي على الكافية) : « وقد تجيء - يعني من - للتعليل نحو (لم آتكَ
من سوء أدبكَ) اي من أجله وكأنها ابتدائية لأن ترك الاتيان حصل من
سوء الادب » (١) .

واما التعليل بـ (على) ففيه معنى الاستعلاء فاذا قلت (كافأته على احسانه)
كان المعنى كأنك وضعت المكافأة على الاحسان . واذا قلت (عاقبت على
اساءته) كان المعنى كأنك جعلت العقوبة على الاساءة اي وضعتها عليها .
قال تعالى : (ولتكبروا الله على ما هداكم - البقرة ١٨٥) اي يكون
التكبير على الهداية كما تقول (كبرّ على النصر) جعل النصر شيئاً يكبرّ عليه
كما يكون التكبير على الذبيحة ونحوها .

وأما (في) فتفيد الظرفية فقوله تعالى (لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب
عظيم ... النور ١٤) معناه انه جعل العذاب في الافاضة فكأن هذه الافاضة
ظرف في داخله العذاب . ونحوه أن تقول (عذبت في فعلته) فكأن الفعل
حلّ فيها العذاب وقد تضمنته واحتوته احتواء الظرف على ما في داخله
قال صلى الله عليه وسلم : (دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلاهي
اطعستها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض) والمعنى دخلت امرأة

الثار في هذه الفعلة على معنى أن هذه الفعلة ظرف احتوى المرأة وادخلها التناثر .

وقد تتعاقب الحروف كلها في تعبير واحد منها وكل منها على تقدير معنى فمثلاً نحن نقول : اخذته الصاعقة لظلمه وبظلمه ومن ظلمه وفي ظلمه . وكل له معنى .

فأما (اخذته الصاعقة لظلمه) فمعناه ان ظلمه سبب استحقاق العذاب اي استحق العذاب لهذا .

واما (بظلمه) فمعناه انه مقابل ظلمه .

واما (من ظلمه) فكأن الصاعقة اخذته من ذلك المكان اي جاءته ودخلت عليه من الظلم .

واما (على ظلمه) فكأن الصاعقة وقعت على ظلمه .

واما (في ظلمه) فمعناه ان الظلم تضمن الصاعقة واحتواها . والله اعلم .

الظرفية :

تستعمل (في) للظرفية نحو (محمد في الدار) و (الزيت في القارورة) ونحو قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في ايام نحسات - فصلت ١٦) .

ويستعمل الباء للظرفية ايضاً نحو (ولد بالبصرة) ونحو قوله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة - آل عمران ١٢٣) وقوله : (من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن - الأنبياء ٤٢) .

وقالوا قد تستعمل (على) لذلك نحو قوله تعالى : (ودخل المدينة على

حين غفلة من أهلكها -- القصص ١٥ - أي في حين غفلة . ونحو قولنا (كان ذلك على عهد الوثائق) و (جمع المصحف على عهد أبي بكر) .

فما معنى الظرفية في كل حرف من هذه الأحرف ؟ وهل هي ظرفية متماثلة ؟

ان ظرفية (في) ظرفية تضمن واحتواء ، وظرفية الباء ظرفية ملاصقة واقتران . نقول (الماء في الحب) و (الزيت في القارورة) ولا نقول : (الماء بالحب) ولا (الزيت بالقارورة) لأن الحب يحتوي الماء ، والقارورة تحتوي الزيت . ونقول (دفن في القبر) لأن القبر تضمنه واحتواء قال تعالى : (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور - العاديات ٩ ، ١٠) ونقول : (كان في السفينة) قال تعالى : (حتى إذا كتمت في الفلك - يونس ٢٢) - لأن الفلك تضمنت من فيها ولا نقول (بالسفينة) .

ونقول (أقام بالبصرة) على معنى الملاصقة والاقتران . فان قلت (أقام فيها) فعلى معنى تضمنته واحتوته . ونقول (ذهب في الناس) أي دخل فيهم فهم احتوة وتضمنوه ولا نقول (دخل بهم) على هذا المعنى . ونقول : (أدخلت الخاتم في أصبعي والقلنسوة في رأسي) ولا نقول بأصبعي ولا برأسي جاء في (الأصول) : « واعلم ان العرب تنسج فيها - أي في حروف الجر - فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني ، فمن ذلك الباء نقول : فلان بمكة وفي مكة . وانما جازاً معاً لأنك إذا قلت (فلان بموضع كذا وكذا) فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع وإذا قلت (في موضع كذا) فقد خبرت بـ (في) عن احتوائه إياه واحاطته به » (١) .

فالباء للملاصقة والاقتران ، و (في) للاحتواء قال تعالى (ينفقون أموالهم بالليل والنهار - البقرة ٢٧٤) وقال : (وهو الذي يتوفاكم

الذي يبدو أن قولنا (هاجمه في غفلة) معناه انه هاجمه وهو داخل في الغفلة وكذلك (جاءه في غفلة) اي جاءه وهو داخل في الغفلة .

وأما (هاجمه على غفلة) فليس معناه انه غارق في الغفلة وانما كان عليها ، اي لم تحتوه ولم تتضمنه فقولك (هاجمه على غفلة) معناه انه انتهز فرصة غفلة عرضت له وهاجمه .

ومثله ما قوله في الدارجة (جثت على أولها) و (جثت في أولها) و (جثت على اول الصلاة) و (جثت في اولها) فمعنى (جثت في اولها) انك جثت وهم داخلون في اولها ، واما (جثت على اولها) فالمعنى انك استعليت على اولها وشاهدته فالمعني أسبق .

وتقول (جثت على حين قُتل اسماعيل) و (جثت في حين قُتل اسماعيل) فمعنى الاولى انك جثت مستعليا على الوقت وشاهدت الفعلة ، ومعنى الثانية انك جثت وقد دخلت في هذا الوقت . فالمعني الاول اسبق وربما لم يشاهد الفعل في الثانية . ومما يوضح هذا انك تقول (جثت على سفر محمد) و (جثت في سفر محمد) فمعنى الاولى انك جثت وهو متهيئ للسفر فشاهدت سفره واما قولك (جثت في سفر محمد) فمعناه انك جثت وهو مسافر ولم تشاهده .

وتقول (دخلت الموصل في حين غرق بغداد) اي دخلتها في هذا الوقت ولم تشاهد غرق بغداد واما (جثت على غرق بغداد) فمعناه انك شاهدته .

ف (في) تفيد الدخول و (على) تفيد الاستعلاء وليس معناه الدخول . واما قولهم (كان ذلك على عهد فلان فالظاهر انه يختلف عن قولهم كان ذلك في عهده .

فالذي يبدو أن قولهم (كان ذلك على عهده) معناه ان الحدث مختص بأمر من امور الدولة او بما هو من شأنها كأن تقول (جمع المصحف على عهد ابي بكر) و (بنيت البصرة على عهد عمر) و (فتحت عمورية على عهد المعتصم) كأن العهد حمل هذه الاعمال وقام بها ولا تقول (بنيت داراً على عهد الواصل) ولا (سافرت الى البصرة على عهد المتوكل) لأن ذلك ليس من شأن الدولة .

وأما (في) فهي لعموم الظرفية فتقول (بنيت داراً في زمن المتوكل) و (تزوجت في عهد فلان) و (انتصر الروم على القرس في عهد الرسول وفي زمن الرسول) لأن الحدث تم في ذلك الوقت ولا تقول على عهده لأنه لم يفعله وهو ليس من شأن حكومته صلى الله عليه وسلم فإن عهده لم يتحمل هذه المسألة .

ف (على) للاستعلاء وذلك انها تفيد ان الحكم اضطلع بالأمر أو هو من شأنه ان يفعله والله اعلم .

الاستعلاء :

اصل الاستعلاء ان يؤدي بعلى وذلك نحو (هو على الجبل) وذكروا انه قد يؤدي ايضاً بالباء وعن والكاف واللام ومن وغيرها وذلك نحو قوله تعالى (من إن تأمته بقنطار ريؤده اليك ... آل عمران ٧٤) وقوله : (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه - محمد ٣٨) وقوله : (ويخرون للاذقان سجداً - الاسراء ١٠٧) وقوله : (ونصرناه من القوم الذين كذبوا الانبياء ٧٧) ونحوها . قالوا ان هذه الأحرف بمعنى (على) .

والحق ان (على) هي التي تفيد الاستعلاء على وجه التحقيق اما بقية الاحرف فانه يمكن صرف الاستعلاء عنها أو في الأقل يكون هذا المعنى فيها مشرباً بمعنى الحرف الاساسي واليك ايضاح ذلك .

ان (على) تفيد الاستعلاء حقيقياً كان أم مجازياً ولفظها يدل على ذلك فهي من العلو جاء في (المقتضب) : « على تكون حرف خفض على حد قولك (على زيد درهم) وتكون فعلاً نحو قولك (علا زيد الدابة) (و) على زيد ثوب (و) علا زيدا ثوب (والمعنى قريب » (١) .

فمن الاستعلاء الحقيقي قولك (هو على الجبل) (و) حمله على ظهره) . ومن الاستعلاء المجازي قولهم (عليه دين) كأن الدين علاه وركبه ولذا تقول العرب : ركبني ديون « كأنه يحمل ثقل الدين على عنقه أو ظهره . ومنه علي قضاء الصلاة وعليه القصاص لأن الحقوق كأنها راكبة لمن تلزمه » (٢) . وتقول (هو عليهم أمير) لاستعلائه عليهم من جهة الأمر (٣) فان أمره أعلى وأنفذ من أمرهم .

جاء في (كتاب سيبويه) : « أما (على) فاستعلاء الشيء تقول : هذا على ظهر الجبل وهي على رأسه ... وتقول عليه مال وهذا كالمثل كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت عليه فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل » (٤) .

قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء - النساء ٣٤) أي يتولون أمرهن وفيه معنى الاستعلاء فان العرب تقول (قام عليه) بمعنى تولى أمره . وتقول (قام به) بمعنى فعله قال تعالى (كونوا قوامين بالقسط - النساء ١٣٥) وتقول (قام له) أي لأجله قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله - المائدة ٨) ، وتقول (قام عنه) بمعنى انصرف عنه وتقول (قام إليه) بمعنى (قام ذاهباً إليه) ففي (على) معنى الاستعلاء .

وتقول العرب (انت على ضلال) و (انت في ضلال) ، فمعنى

(١) المقتضب ٤/٤٢٦ .

(٢) الرضي ٢/٢٧٩ وانظر المقتضب ١/٤٦ .

(٣) ابن يعيش ٨/٣٧ .

(٤) سيبويه ٢/٣١٠ .

(في ضلال) انه ساقط في الضلال سقوطه في اللجة أو أن الضلال احتواه احتواء الظرف على ما في داخله . ومعنى (على ضلال) أنه اتخذ الضلال مركباً يقوده الى كل سوء ، جاء في (تفسير الرازي) في قوله تعالى (اولئك على هدى من ربهم - البقرة) : « معنى الاستعلاء في قوله (على هدى) بيان لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه . ونظيره (فسلان على الحق او على الباطل) وقد صرحوا به في قوله : جعل النواية مركباً ، وامتنطى الجهل » (١) .

وتستعمل العرب (على) للأفعال الشاقة المستثقلة قال ابن جني : « وقد يستعمل (على) في الافعال الشاقة المستثقلة تقول : قدسنا عشرأ وبقيت علينا ليلتان ، وقد حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان . . . وانما اطردت (على) في هذه الافعال من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء والتفرع فلما كانت هذه الاحوال كلفاً ومشاقاً تخفض الانسان وتضعه وتعلوه وتنتزعه حتى يخضع لها ويخضع لما يتسداه كان ذلك من مواضع على ، الا تراهم يقولون : هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما تؤثره و (على) فيما تكرهه » (٢) .

اما الباء في نحو قوله تعالى (من أن تأمنه بقتار ... آل عمران ٧٤) وقولهم فيها ان الباء تفيد الاستعلاء وهي بمعنى (على) بدليل قوله تعالى (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل - يوسف ٦٤) وقول الشاعر :

أربّ يبسول الثعلبان برأسه

لقد هان من بالث عليه الثعالب (٣) .

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٣٣ .

(١) لسان العرب ١٩/ ٣٢١ .

(٢) المغني ١/ ١٠٤ - ١٠٥ .

فالحق ان المعنى مختلف فقولك (أمنت به) يختلف عن قولك (أمنت عليه) فقولك (لا أمنت عليك) معناه لا آمنه ان يحيف عليك او يهجم عليك او يتعدى عليك وما الى ذلك فيه الاستعلاء والتسلط والعدوان .

واما قولك (لا أمنت بذرهم) فمعناه لا آمنه من ان يتصرف به أو يعتب به لأن (على) تفيد الاستعلاء و (الباء) تفيد الالتصاق والمعنى انه لا يلتصق أمنت بذرهم بل ستفارقه امانته ويتصرف به

فأمنت عليه تستعمل للهجوم والاعتداء وأمنت به نستعمل للتصرف كما ذكرنا .

ولذلك والله اعلم استعمل القرآن (أمنت على) مع الاشخاص و (أمنت به) مع الأموال . فقال : (قالوا يا ابانا مالك لا تأمنّا على يوسف - يوسف ١١) وقال : (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل - يوسف ٦٤) . وقال في الأموال : (ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك - آل عمران ٧٤) لأن في الاولى معنى العدوان وفي الثانية معنى التصرف وان كان يجوز ان يقال (لا آمنه على هذا المال) بمعنى التسلط والاستحواذ . « وقيل ان معنى قولك أمنتك بدينار أي وثقت بك فيه وقولك : (أمنت عليه) أي جعلتك أميناً عليه وحافظاً له » (١) .

واما البيت فانه قد يوقع الشاعر حرفاً موقع حرف آخر ومع ذلك فالعنى محتمل المغسيرة ففسوله (أربّ يبول الثعلبان برأسه) كأنه جعل رأسه وعاء بال فيه . وقوله (لقد هان من بالث عليه الثعالب) معناه من علته الثعالب ببولها من فوق الى اسفل فكسته اياه .

ونحو ذلك ما ذكر عن الاستعلاء : (عن) وذلك نحو قوله تعالى :

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٠٠ .

(ومن يبخل فلأنما يبخل عن نفسه — محمد ٣٨) فقد ذكر أن (عن) هنا بمعنى (على) . وقيل بل هي على بابها والمعنى يبعد الخير عن نفسه بالبخل (١) .

وهو أولى وذلك إن ثمة فرقاً بين قولك (يبخل على نفسه) و (يبخل عن نفسه) ، فقولك (يبخل على نفسه) معناه إن عاقبة بخله تعود عليه كقوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت — البقرة ٢٨٦) لما كانت العاقبة سوء جيء بعنّى وكقوله تعالى : (إنما بنيكم على أنفسكم — يونس ٢٣) .

ويحتمل معنى آخر هو أنه لا ينفق على نفسه أي يتقّلها بالبخل فكأن البخل حملي بعمله . وأما بخله عن نفسه فمعناه أنه يبخل منصرفاً عن نفسه أي منصرفاً عن مصلحة نفسه مبتعداً عنها فإن البخل في الحقيقة ابتعاد عن مصلحة النفس فكأنه يبتعد عن نفسه بالبخل بخلاف الاتفاق فإنه لها .

قيل ومن هذا المعنى قوله تعالى (لئن أحببت حب الخير عن ذكر ربّي — ص ٣٢) .

« أي قدمته عليه ، وقيل هي على بابها وتعلقها بحال محاذرة أي منصرفاً عن ذكر ربّي » (٢) .

وكذلك ما قيل عن الاستعلاء بالكاف نحو قولهم (كن كما أنت) فقد قيل إن المعنى : كن على ما أنت .

واظن أن كونها للتشبيه ظاهر أي كن مثلما أنت عليه الآن لا تغيير أي لتبشّر حالتك في المستقبل حالّك الآن (٣) .

(٢) التصريح ١٥/٢ .

(٣) المفتي ١٤٧/١ .

(٤) المفتي ١٧٦/١ وانظر حاشية الصبان ٢٢٥/٢ .

وكذلك الاستعلاء باللام نحو قوله تعالى (ويخرون للأذقان سجداً - الاسراء ١٠٧) وقوله : (وان أسأتم فلها - الاسراء) (١) .

أما قوله (يخرون للأذقان) فليس المعنى والله أعلم (على الأذقان) لأن هناك فرقاً بين قولك خر على وجهه وخر لوجهه . فخر على وجهه معناه سقط على وجهه وأما خر للدقنة فمعناه أنه خر حتى بلغ في ذلك الدقنة ، أو الاختصاص أي حتى خص دقنه بذلك .

وقوله (وان أسأتم فلها) معناه انكم لم تسبوا لأحد وإنما أساءتكم لكم أي خصصتم أنفسكم بالإساءة . جاء في (الكشف) في تفسير هذه الآية : « أي الاحسان والامانة كلاهما مختص بأنفسهم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم . وعن علي رضي الله عنه : ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه : وتلاها » (٢) .

ومنه قوله تعالى (دعانا لجنبه - يونس ١٢) - قالوا بمعنى على جنبه . ولا أرى أنها بمعنى (على) بل هي للاختصاص وإيضاح ذلك ان (على) وردت في القرآن الكريم مع الجنب مرتين قال تعالى : (ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض - آل عمران ١٩٠ - ١٩١) .

وقال : (فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة - النساء ١٠٢) - فجاء بلفظ (على) في هاتين الآيتين .

(١) الفني ٢١٢/١ .

(٢) اكشاف ٢٢٥/٢ .

وجاء باللام في هذه الآية : (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً -- يونس ١٢) .

وسر ذلك والله أعلم انه إذا مس الانسان الضر دعا ربه ملازماً لجنبه أو قاعداً أو قائماً . فان الانسان اذا مسه الضر اكثر ما يلزم جنبه ثم القعود ثم القيام فذكر هذه الحالات بحسب الترتيب فقال (لجنبه أو قاعداً أو قائماً) في حين آخر ذكر الجنب في غير هؤلاء فقال (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) وقال (فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) فقدم القيام في حالة العافية ثم القعود ثم الاضطجاع على الجنب فخالف بين حالتي الضر والعافية ، فقدم الجنب في حالة الضر وأخر القيام ، وقدم القيام في حالة العافية وأخر الاضطجاع على الجنب .

وجاء باللام الدالة على الاختصاص في حالة الضر بمعنى ملازم لجنبه . وجاء بـ (على) الدالة على الاستعلاء في حالة العافية بمعنى مضطجع على جنبه .

ونحوه الاستعلاء بـ (من) نحو قوله تعالى : (ونصرناه من القوم الذين كذبوا -- الانبياء ٧٧) - فقد قيل ان (من) ههنا بمعنى (على) .

والذي اراه انها ليست كذلك فان هنالك قرناً في المعنى بين قولك (نصره منه) و (نصره عليه) فالنصر عليه يعني التمكّن منه والاستعلاء عليه والغلبة قال تعالى : (ويخزهم وينصركم عليهم -- التوبة ١٤) وقال : (فانصرنا على القوم الكافرين -- البقرة ٢٨٦) - أي مكنا منهم -- وليس هذا معنى نصره منه .

اما (نصرناه منهم) فانه بمعنى نجيناه منهم أو منعاه منهم قال تعالى : (وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم -- هود ٣٠) فليس المعنى من ينصرني على الله بل من ينجيني ويصنعي منه ؟

وقد تقول : ما الفرق بين قولنا (نجيتاه من القوم) وقولنا (نصرناه من القوم) ؟

والجواب ان النجية تتعلق بالتأجي فقط فعندما تقول : (نجيتهم منهم) كان المعنى انك خلصتهم منهم ولم تذكر انك تعرضت للآخرين بشيء كما تقول (أنجيتهم من الفرق) ولا تقول (نصرته من الفرق) لأن الفرق ليس شيئاً يُتصّف منه .

اما النصر منه ففيه جانبان : جانب التأجي وجانب الذين نُجّي منهم فعندما تقول (نصرته منهم) كان المعنى انك نجيتهم وعاقبت اولئك او اخذت له حقه منهم .

ومما يدل على ان (من) ههنا ليست بمعنى (على) قوله تعالى : (ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم - هود ٣٠) وقوله (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - غافر ٢٩) اذ لا يصح ان تكون بمعنى (على) كما هو واضح .

يتبين مما مر أن المعاني المشتركة في حروف الجر ليست متماثلة بل يبقى لكل حرف خصوصيته ومعناه في اداء المعنى المشترك والله اعلم .



مراجع البحث

- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي - المطبعة البهية - مصر .
- حاشية الصبان على شرح الاشموني - دار إحياء الكتب العربية .
- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبد الله الأزهري - دار إحياء الكتب العربية .
- شرح رضي الدين الاستربادي على الكافية لابن الحاجب .
- شرح المفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش طبع ونشر ادارة ادارة الطباعة المنبرية .
- كتاب الأصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي - مطبعة النعمان - النجف الاشرف .
- كتاب سيويه مصور على طبعة بولاق - نشر مكتبة المثنى ببغداد .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٦٧هـ - (١٩٤٨ م) .
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري - مصور على طبعة بولاق .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة - القاهرة ١٣٨٦ هـ .

رسالة الخط والقلم

المنسوبة الى ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ

تحقيق

الدكتور محمد طاهر

كلية الآداب - جامعة بغداد

المقدمة

ازدهرت صناعة الكتابة عند العرب ابّان سيادة الحضارة العربية الاسلامية ، وأصبحت من الحِرَفِ المشيخة التي تحتاج الى صفات كثيرة ، ولا بُدَّ للكاتب أن يتحلى بها ، ومن هذه الصفات : حسن الخط ، وسرعة البديهة ، وشدة الذكاء ، وتوقّد القريحة ، ونزاهة النفس ، ورجاحة الفهم ، وصواب المنطق ، والأمانة ، والوقار ، والتيسّر عما في الطبقات الأخر من الطيش ، وخفة الأحلام ، وزلل اللسان .

فالكتاب نظام الأمور ، وجمال الملك ، وبهاء السلطان ، والألسنة الناطقة عنه ، وخزان أمواله ، والأمانة على رعيته وبلاده ، وهم أغنى الناس عن الملوك والرعية ، وأولاهم بالحباة والكرامة ، وأحقهم بحبة السلامة .

وكانت صناعة الكتابة من الحِرَفِ الصعبة التي اكتسبت مهابة ، ورزقت الاقبال والتنافس عليها ، وكانت ترقى بالنابعين فيها الى أعلى المناصب وهو الوزارة .

ومن أجل ذلك وضعت المصنّفات لتتسمة الكتاب ، ليقفوا على هذه الصنعة ، وما يحتاجون اليه فيها من علم وثقافة ومعرفة بآلات الكتابة .
وتعدّ وصية عبد الحميد الكاتب للكتاب من الآثار المتقدمة في هذا الباب . ثم أتت بعدها كتب ورسائل تتعلق مباشرة بهذا الفن ، ومن أهم ما وصل إلينا منها :

- ١ - كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصرفها : لعبد الله بن عبد العزيز البغدادي ، المتوفى بعد سنة ٢٥٦هـ .
- ٢ - أدب الكاتب : لابن قتيبة ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ .
- ٣ - الرسالة العذراء : لأبراهيم بن المدبر ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ .
- ٤ - أدب الكتاب : لأبي بكر الصولي ، المتوفى سنة ٣٣٥هـ .
- ٥ - عمدة الكتاب : لأبي جعفر التّحّاس ، المتوفى سنة ٣٣٨هـ .
- ٦ - كتاب الكتاب : لأبش درستويه ، المتوفى سنة ٣٤٧هـ .
- ٧ - رسالة في علم الكتابة : لأبي حيّان التوحّيدي ، المتوفى سنة ٤١٤هـ .
- ٨ - موادّ البيان : لعليّ بن خلف الكاتب ، المتوفى بعد سنة ٤٣٧هـ .
- ٩ - احكام صنعة الكلام : لأبي القاسم الكلّاعيّ الإشبيليّ ، المتوفى في النصف الأول من القرن السادس الهجري .
- ١٠ - معالم الكتابة ومغانم الاصابة : لعبد الرحيم بن عليّ بن شيت القرشي ، المتوفى سنة ٦٢٥هـ .
- ١١ - منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة : لمحمد بن أحمد الزّحّاويّ ، المتوفى سنة ٨٠٦هـ .
- ١٢ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا : لأحمد بن عليّ الكلّقيّ السّنديّ ، المتوفى سنة ٨٢١هـ .

ولابد من الإشارة هنا الى أن قسماً من المؤلفين حاولوا تقديم جمل

وأسابيل جاهزة للكتاب ، كعبدالرحمن بن عيسى الهكلامي ، المتوفى سنة ٣٢٠هـ في كتابه : الألفاظ الكتابية ، وقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ في كتابه : جواهر الألفاظ .

(رسالة الخط والقلم)

نسبتها :

نسب الشيخ زكريا ، المتوفى بعد سنة ٦٢٢هـ ، هذه الرسالة الى ابن قتيبة ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ (*) في كتابه الذي مازال مخطوطاً : (جمهرة الإسلام ذات الشر والنظام) .

وبعد أن درست هذه الرسالة ، وانتهيت من تحقيقها ومقابلتها بكتاب ابن قتيبة (أدب الكاتب) وبالنصوص التي وصلت إلينا من كتاب (آلة الكتاب) لابن قتيبة نفسه ، تبين لي أن هذه الرسالة ليست لابن قتيبة ، وإنما نسبت إليه غلطاً ، للأمور الآتية :
أولاً - بدأت الرسالة بـ :

« أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في ذكر الخط والقلم » .

قال أبو محمد المذكور

وقال غيره :

- (*) لم أجد من حياة ابن قتيبة لكثرة ما كتب فيه . ومن أراد التوسع ، فليرجع الى المصادر المذكورة في :
— ابن قتيبة العالم الناقد الأديب : د. عبد الحميد سند الجندي ، القاهرة .
— ابن قتيبة : د. محمد زغلول سلام ، القاهرة .
— دراسة في كتب ابن قتيبة : د. عبدالله الجبوري ، مجلة آداب المستنصرية ٢٤ و ٢٥ .

قال ابن قتيبة:

وقال عبد الله بن عبدالعزيز: »

فعبارة: « وقال غيره » ، تنفى نسبة الكتاب اليه . والنقل عن عبد الله بن عبدالعزيز فيه نظر .

ثانياً - جاء في الرسالة نصّان ثقلان عن أبي العباس المبرد ، المتوفى ٢٨٥ هـ وهما :

— « وروى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : » .

— « قال أبو العباس : » .

وابن قتيبة ، لم يرو في كتبه عن المبرد الذي توثق به .
ثالثاً - ثمة أقوال في الرسالة تخالف ما ذهب اليه ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) .

جاء في الرسالة :

« تقول : أترّب الكتاب أترّبه إتراباً ، وترّبه تريباً : اذا ألقيت عليه الشراب . واذا أمرت ، قلت : أترّب الكتاب إتراباً جيّداً ، وترّبه تريباً » .

وجاء في كتابه (أدب الكاتب) ص ٣٨٠ .

« أترّب الكتاب ، ولا يقال : ترّب » .

وقد أكّد هذا ابن السّيد في كتابه : (الاقتضاب في شرح أدب الكاتب) ١/ ١٨٢ ، فقال :

« ومن اللغويين من يقول : أتربت ، ولا يجيز : ترّبت » .

وكذلك قال ابن قتيبة في الأدب » .

رابعاً - ثمة نصوص كثيرة في الرسالة جاءت في كتاب (الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصرّفها) لعبد الله بن عبدالعزيز البغدادي من غير إشارة اليه ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - جاء في هذه الرسالة :

« وإذا تركت شحمه عليه ، ولم تأخذه ، قلت : أشحمت القلم ، فهو مشحوم . وإذا أخذت شحمه ، قلت : شحمته أشحمه شحماً ، وهو قلم مشحوم » .

وجاء في (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم) ص ٥٠ :

« فإذا تركت شحمه عليه ، ولم تأخذه ، قلت : أشحمت القلم ، وهو قلم مشحوم ، فإذا أخذت شحمه ، قلت : أشحمت القلم أشحمه شحماً ، وهو قلم مشحوم » .

٢ - جاء في هذه الرسالة :

« ويقال للشحمة التي في رأس القلم : الضرعة ، شبهت بضرة الابهام . فإذا أخذت الشحمة ، قيل لموضعها : الحفرة ، وهو قلم محفور » .
وجاء في (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم) ص ٥٠ :
« ويقال للشحمة التي في أصل رأس القلم : الضرعة ، شبهت بضرة الابهام ، وهي اللحمة التي في أصل الابهام ، فإذا أخذت تلك الشحمة ، قيل لموضعها : الحفرة ، وقلم محفور » (*) .

٣ - جاء في هذه الرسالة :

« فإذا قطر من رأس القلم شيء من المِداد ، قيل : رَغِفَ القلم رَغِفًا ، وهو قلم راعف . فإذا أخذت مداداً فقطر ، قلت : أرغفت القلم إرغافاً ، وهو قلم مرغف . وتقول : استمدد ولا ترغف ، أي : لا تكثر المِداد حتى يقطر القلم » .

(*) في طبعة بغداد : الحفرة . . . ومحفور ، بالجيم . وهو تصحيف والصواب ما في طبعة سورديل .

وجاء في (كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم) ص ٥٠ :

« فاذا قطر من رأس القلم من المداد ، قيل : رغب القلم يرغب ، وهو قلم راعف . فاذا أكثر مداده فقطر ، قلت : أرغفت القلم إرغافاً ، وهو قلم مرغف . ويقال : استمدد ولا ترغف ، أي : لا تكثر المداد حتى يقطر » .

٤ - جاء في هذه الرسالة :

« وتقول : نظرت الى الكتب فأختمتها ، أي : وجدتها مختومة ، كقولك : أبطلت الرجل : وجدته بخيلاً » .

وجاء في (كتاب الكتاب وصفة المداوة والقلم) ص ٥٤ :

« ويقال : نظرت الى الكتب فأختمتها ، أي : رأيته مختومة ، كما تقول : أبطلت فلاناً ، اذا وجدته بخيلاً » .

أقول : انّ النقل عن البغدادي من غير إشارة اليه ، فيه نظر ، اذ انّ البغدادي كان معاصراً لابن قتيبة ، ولا يمكن أن يسلم ابن قتيبة كتابه ، وما عرّف عنه مثل هذا .

خامساً - لابن قتيبة كتاب " سماء ابن السّيد في (الاقتضاب) :

(آلة الكتاب) ، ونقل منه نصوصاً ، نذكر منها :

١ - جاء في (الاقتضاب) ١/ ١٦٤ :

« وقد حكى ابن قتيبة في (كتاب آلات الكتاب) : أنّه يقال للمداد : نيمس ونيمس ، بالكسر والفتح . قال : والكسر أفصح وأعرّب . ويقال : مددت الدواة أمدّها مدّاً : اذا جعلت فيها مداداً . فاذا كان مداداً ، فردت عليه ، قلت : أمددتها مداداً . واذا أمرته أن يأخذ بالقلم من المداد ، قلت : استمدد . واذا سألته أن يعطيك على القلم مداداً ، قلت :

أَمَدِدْنِي مِنْ دَوَاتِكَ • وَقَدْ اسْتَمَدَدْتَهُ : إِذَا سَأَلْتَهُ أَنْ يَمْدِدَكَ • وَحَكِي
الْخِيلَ : مَدَّنِي وَأَمْدَّنِي ، أَي : أَعْطَنِي مِنْ مِدَادِ دَوَاتِكَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ
زَادَ فَهُوَ مِدَادٌ •

قال الأخطل :

رَأَوْا بَارِقَاتٍ بِالْأَكْفِ ، كَلَامُهَا

مَصَابِيحُ سِرَجٍ أَوْ قِدَاتٍ بِمِدَادٍ

يعني : بِالزَيْتِ » •

أقول : هَذَا الْقَوْلُ يَخَالِفُ مَا وَرَدَ عَنِ الْمِدَادِ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ •

٢ - جَاءَ فِي الْاِقْتِصَابِ ١/١٦٩ :

« وَيُقَالُ لِلشَّحْصَةِ الَّتِي تَحْتَ بَرِّيَّةِ الْقَلَمِ : الضَّرَّةُ ، شَبَّهَتْ بِضَرَّةِ
الْأَبْهَامِ ، وَهِيَ اللَّحْمَةُ فِي أَصْلِهَا • كَذَا قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ فِي (آلَةِ الْكِتَابِ) •

٣ - جَاءَ فِي الْاِقْتِصَابِ ١/١٧١ :

« وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قَتِيْبَةٍ فِي (كِتَابِ آلَةِ الْكِتَابِ) :
ذَكَرَ أَبُو الْمُثَنَّنَرِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَوَّلُ
مَنْ وَضَعَ الْخَطَّ نَهْرٌ مِنْ طِيٍّ بْنِ بُوَيْلَانَ ، وَهُمْ : مُرَامِرٌ بْنُ مُرَّةَ ، وَأَسْلَمُ بْنُ
سُدْرَةَ ، وَعَامِرُ بْنُ جَدْرَةَ ، فَسَارُوا إِلَى مَكَّةَ ... » •

أقول : إِنَّ ابْنَ قَتِيْبَةَ اسْتَوْفَى فِي كِتَابِهِ (آلَةَ الْكِتَابِ) الْقَوْلَ فِي الْمِدَادِ
وَالْقَلَمِ وَالْخَطِّ وَالْحَبْرِ وَغَيْرَهَا مِنْ آلَاتِ الْكِتَابَةِ ، فَكَيْفَ يُؤَلِّفُ رِسَالَةَ فِي الْخَطِّ
وَالْقَلَمِ ؟ •

سادساً - جَاءَ فِي (كِتَابِ تَخْرِيجِ الدَّلَالَاتِ السَّمْعِيَّةِ عَلَى مَا كَانَ فِي عَهْدِ رَسُولِ
اللَّهِ مِنَ الْحِرَافِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعَمَالَاتِ الشَّرْعِيَّةِ) لِلخَزَاعِيِّ ،

المُتَوَفَّى سنة ٧٨٩هـ عند كلامه على الديوان (ص ٢٤٨) :
« وقال ابن قتيبة في (صناعة الكتابة) : وانما هي بالياء على
لفظه ، قال : وداله بالكسر ، ولا تفتح » .

اقول : ولم يرد هذا الكلام في هذه الرسالة عند الحديث عن
(الديوان) .

وقد ذكر الخزاعي في ذكر موارد كتابه (ص ٧٩٦) : أدب الكاتب ،
وعيون الأخبار ، والمعارف ، وصناعة الكتابة لأبي جعفر النحاس ، وصناعة
الكتابة لابن قتيبة .

وأنا أرجح أن (آلة الكتاب) الذي ذكره ابن السيد ، (وصناعة
الكتابة) الذي ذكره الخزاعي ، هما كتاب واحد .
وبعد ، فهذه الملاحظات تدفع نسبة هذه الرسالة عن ابن قتيبة ،
والله أعلم .

مصادر الرسالة :

ليس في الرسالة ذكر للكتب التي اعتمدت عليها . ولكننا عند دراستنا
لها ، اتضح لنا أن جامع الرسالة نقل عن عبدالله بن عبدالعزيز مرة واحدة ،
وعن أبي عبيدة ثلاث مرات ، وعن الأصمعي ثلاث مرات ، وعن المبرد مرتين ،
وعن الأُمويّ عبدالله بن سعيد مرة واحدة ، وورد اسم ابن قتيبة مرتين .

شواهد الرسالة :

اولاً - القرآن الكريم :

استشهد صاحب الرسالة بخمس آيات من القرآن الكريم .

ثانياً - الأمثال والأقوال :

استشهد صاحب الرسالة بأربعة من الأمثال والأقوال .

ثالثاً - الأشعار والأرجاز :

في الرسالة ثمانية عشر بيتاً من الشعر ، وسبعة أبيات من الرجز .

مخطوطة الرسالة :

اعتُمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة فريدة من كتاب (جنيرة الاسلام ذات النثر والنظام) لأمين الدولة أبي الغنائم مسلم بن محمود الشَّيْزُرِيّ ، المتوفى بعد سنة ٦٢٢هـ ، تحتفظ بها مكتبة جامعة لايدن بهولندا برقم ٢٨٧ .

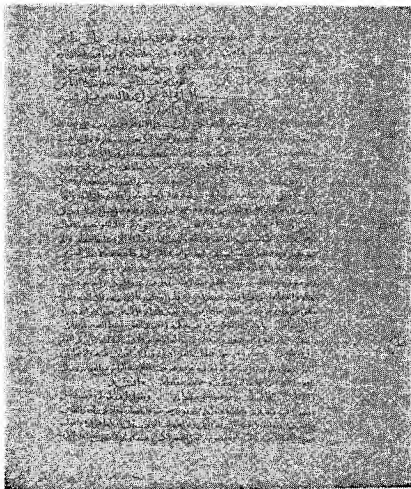
وتقع هذه المخطوطة في ٥٢٦ صفحة ، في كل صفحة ٢٩ سطراً ، وتاريخ نسخها ٦٩٧هـ .

أما رسالتنا هذه ، فتقع في الصفحات ٢٨٤ - ٢٨٩ من هذه المخطوطة . وقد أرفقت صوراً لعنوان المخطوطة وللصفحتين الأولى والأخيرة من الرسالة .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .



صفحة العنوان



الصفحة الأولى من الرسالة

(نص الرسالة)

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في ذكر الخط والقلم .
قال أبو محمد المذكور : يسمّى القلم الذي يكتب به قلباً ، لأنّه
قلَمٌ وقطع . ومنه : قلّمتُ أفقاري . ومنه قيل : قلامة الظفر ،
لما يُقَطَّعُ منه ^(١) .

وقال غيره : يُقالُ للشيء الذي يُقَلَّمُ به : مِقلَمٌ .

قال ابن قتيبة : وقد تسمّى القِداحُ أقلاماً ، وإنّا سمّيتُ
بذلك لأنّها تُبْرِى . قال الله ، عزّ وجلّ : (اذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ
أَنَّهُمْ يُكَفَلُ مُرَيمٌ) ^(٢) . قال : كانوا تشاحقوا في كفالتها ، فضربوا
عليها بالقِداح ، فخرج ^(٣) قِدحٌ زكريّا ، فكفلها .

وقال عبد الله بن عبد العزيز ^(٤) : كلُّ قصة قطعتُ منها قطعة ،
فالقِطعة قلَمٌ . وكلُّ عودٍ تجرّ وعلّمُ رأسه بعلامة ، فهو قلَمٌ .
وقال في قوله عزّ وجلّ : (اذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ) : جاء في التفسير
أنّها كانت عيداناً ، مكتوب على رؤوسها أسماءهم .

وجمع القلم : أقلام وقلام ، مثل : جبل وأجبال وجبال .

(البري ووجهه)

قال أبو عبيدة ^(٥) : لا يُقالُ للقلم (قلم) حتى يُبرى ، والا فهو

(١) ينظر عن القلم : أدب الكتاب ٨٦ ، كتاب الكتاب ٩٥ ، الاقتضاب ١٦٥/١ .

(٢) آل عمران ٤٤ . وينظر : تفسير القرطبي ٨٦/٤ .

(٣) مكررة في الأصل .

(٤) الكتاب وصفة الدواة والقلم ٤٩ . وعبد الله بن عبد العزيز البغدادي كان
مؤدباً للخليفة المهدي بالله . (نكت البريان ١٨٢ ، الواقي بالوفيات
١٢٩٦/١٧) .

(٥) مسير بن الخثعمي : ت ٢١٠ هـ . (مراتب النحويين ٤٤ ، معجم الأدباء ١٩/
١٥٤) .

قصة" . ولا يقال للرمح (رمح) الا وعليه سينان ، والا فهو قناسة" .
ولا يقال للمائدة (مائدة) الا وعليها طعام ، والا فهي خيوان ، ولا يقال
للكأس (كأس) الا وفيها شراب ، والا فهي زجاجة" . ولا يقال للسري
(أريكة) الا وعليها حبكة" ، والا فهي (٦) سرير" .

ويقال من البري (٧) : برئت القلم أبريه برّياً وبراية" ، وقلتم
مبّري" ، غير مهموز ، فأنا بار للقام . ويقال لما يسقط منه عند البري
(برّاية) ، على وزن فعالة ، والفعالة اسم لكل فضلة تضل من شيء
قليل أو كثير ، كالقمامة ، والكساحة (٨) ، والجرامة (٩) : وهو اسم لما بقي
من كرب النخل .

فاذا أمرت من البري ، قلت : إبرر قلسك برّياً جيئداً وبراية
جيئدة" . قال الشاعر (١٠) :

يا باري القوس برّياً ليس يحكميه

لا تقسّد القوس ، أعط القوس بارها

وأصل البري الترقيق والأرهاف ، ومنه قيل : برّت المكة جسم
فلان ، اذا تحلته ؛ لأن باري القلم يرق موضع سنّته عن سائرهم .
وتقول : قططت القلم أقمته قطعاً ، اذا قطعت سنّته . والأصل
في القطع القطع ، ومنه يقال : خسّ به على مقطع شعره ، وهو حيث
يقطع شعر الرأس من القفا .

(٦) في الأصل : وهي . وينظر : الماخذ إلى تفويم اللسان ق ٥١/١ وشرح
مقبولة ابن دريد للخمى ٢٦٨ .

(٧) ينظر عن البري : أدب الكتاب ٨٦ ، كتاب الكتاب ٩٥ .
(٨) المزهر ١١٩/٢ .

(٩) في الأصل : الحرمة ، بالحاء المهملة ، وكذا في المزهر . والنسب
ما أبتنا . ينظر : المعجم في بقية الأشياء ٦٧ واللسان والنتاج (جرم) .

(١٠) بلاغزو في جمهرة الأمثال ٧٩/١ ومجمع الأمثال ١٩/٢ .

ويقال للعود الذي يقطع عليه القلم : مِقطٌ ، وجبعه : مِقاطٌ ،
وانشد (١١) :

راي المجسَّس جيِّدُ المِخْطُ

كأثما قِطٌّ على مِقطٍ

وتقول : قلمٌ مقطوط وقطيط ، مثل : مقتول وقِتل . وأنا قاطٌ ،
والأصل : قاطِيطٌ ، كقولك : ضرَبْتُ ، وأنا ضاربٌ ، فأدغمت إحدى
الطاءين في الأخرى .

فاذا أمرت منه ، قلت : قِطٌّ قلبك . وإن أظهرت التخفيف ،
قلت : اقْطِطْ قلبك .

وتقول : قصمت القلم أقصمه قصصاً ، وهو مقصومٌ . وأصل
القصم الكسرُ ، ومنه قولهم : انقصت ثيَّتهُ ، إذا انكسرت (٢٨٥)
من عَرْضها . ويقال : ثيَّتهُ قصماءُ ، ورجلٌ أقصمُ ، وامرأةٌ
قصماءُ . فإن انكسرت الثيَّة طولاً ، فهو أُنْقَصُ ، وقد انقصت
ثيَّتهُ (١٢) .

ويقال لِسِنِ القلم : الجِلَّةُ (١٣) ، وهي مؤنثة ، مأخوذة من سِنِ
الإنسان .

وإذا تركت شحمته عليه ، ولم تأخذه ، قلت : أشحمتُ القلمُ ،
فهو مشحَمٌ (١٤) . وإذا أخذت شحمتهُ ، قلت : شحمتُهُ أشحمهُ

(١١) لأبي النجم العجالي ، ديوانه ١٣١ وروايتها :

ضخمُ القِدالِ حسنُ المِخْطُ
كأثمة

(١٢) ينظر : خلق الإنسان لثابت ١٧٨ .

(١٣) ينظر : كتاب الكتاب ٩٥ ، صبح الأعشى ٢/٤٦٠ ، حكمة الانشراق ٧٩ .

(١٤) في الأصل : مشحوم . وينظر : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .

شَحْنًا ، وهو قلمٌ مشحومٌ (١٥) .
 وإنِ استأصلتْ شَحْمَهُ ، وأخذتْ من بطنِهِ ، قلتَ : قَلَمٌ
 مُبْطَنٌ ، وقد بَطَّنْتُهُ بَطْنًا (١٦) .
 ويُقالُ للشَّحْمَةِ التي في رأسِ القلمِ : الضَّرَّةُ ، شُبَّهَتْ بِضَرَّةِ
 الأبهامِ . فإذا أخذتْ الشَّحْمَةُ ، قيلَ لموضعها : الحُمْرَةُ ، وهو قلمٌ
 محفورٌ (١٧) .

ويُقالُ : قلمٌ مَذْنَبٌ ، إذا بُرِيتْ له سِنَّ غليظة غير مشقوقة
 تُصْلَحُ بها المِيقَةُ . وقد ذُكِبَتْ القلمُ تَذْنِيْبًا ؛ لأنه مفعول به . وليس
 كقولهم : بِسُرَّةٍ مِذْنَبَةٍ ؛ لأنَّ التَّذْنِيْبَ ظَهَرَ مِنْهَا ، فَحَسِبَ الصِّعْلُ
 إليها . وكذلك : جَرَادَةٌ مِذْنَبَةٌ ، وفَرَسٌ ذَنُوبٌ : إذا كانَ طَوِيلَ
 الذَّنْبِ ، وقلمٌ ذَنُوبٌ : طَوِيلُ الذَّنْبِ (١٨) .

(الدَّوَاةُ)

تقولُ العربُ : دَوَاةٌ ودِيَاةٌ ودَوِيٌّ ، ودَوِيٌّ مقصورٌ (١٩) ، وهو
 الجمعُ الكثيرُ . قالَ الشَّاعِرُ (٢٠) :

دَعِ الْأَطْلَالَ يَنْدُبُهَا السَّوِيُّ
 وَيَبْكُ عَلَى مَغَانِيهَا الْوَلِيُّ
 وَتَرَقَّسُهَا السَّوَارِي وَالسَّوَاغِي
 كَمَا رَقَّسَتْ مَهَارِقَهَا الدَّوِيُّ

- (١٥) القول بتمامه في كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .
 (١٦) ينظر : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .
 (١٧) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ وفيه : الجفرة ... مجفور ،
 بالجيم .
 (١٨) القول بتمامه في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .
 (١٩) ينظر من الدواة : أدب الكتاب ٩٨ ، كتاب الكتاب ٩٥ ، الانتضاب ١٦١/١
 (٢٠) بلا عزو في منهاج الإصابة ٢٠٢ .

وتقول: أدويت دواءً، أي: اتخذت دواءً، وأنا مدويٌ .
 وإذا أمرتَ غيرَكَ، قلتَ: إدويْ يا فلانٌ .
 ويقالُ للذي يبيع الدويَّ: دواءٌ، كقولك: تبَّانْ، وشعارٌ،
 وخياطٌ .

ويقالُ للذي يعمل الدويَّ: مدويٌّ، كما يقالُ للذي يصلحُ
 القنَّ: مقنٌّ . قال التَّاجُ (٢١):

كما أقامَ دواءَها المَقَيَّ

ويقالُ للذي يحمل الدواءَ: دايٌّ، كما يقالُ للذي يحملُ السَّيفَ:
 سائفٌ، والذي يحملُ الرُّمَحَ: رامحٌ، والذي يحملُ الثُّرْسَ: قارسٌ .
 (اللِّقَّة)

يقالُ للمصوفةِ والقُطَّنةِ التي تكونُ في الدواءِ: لِقَّةٌ (٢٢)، وتجمعُ
 أَلِيقاً . واتَّما سُمِّيَتْ: لِقَّةٌ لِأَنَّهَا تَحْبِسُ ما جُعِلَ فِيهَا من
 السَّوَادِ وتُسَكِّهُ، مأخوذٌ من قولهم: « فلانٌ » ما تَلِيقٌ كَفَّهُ
 درهماً (٢٣)، أي: ما تحبسه فتمسكه . وكفَّهُ ما يَلِيقُ بها درهمٌ، أي:
 ما تحبس ولا تَتمسك . قال التَّاجُ (٢٤):

كفَّكَ: ما تَلِيقٌ درهماً
 جُوداً، وكفَّ شَعَطَ السَّيفِ الدِّمَا

(٢١) بلا عزو في كتاب الكتاب وصفة الدواء ٤٨ .
 (٢٢) ينظر عن اللقَّة: أدب الكتاب ٩٩، كتاب الكتاب ٩٦، صبح الأعشى
 ٤٦٩/٢ .
 (٢٣) صبح الأعشى ٤٦٩/٢ .
 (٢٤) بلا عزو في معاني القرآن ٢٧/٢ وتفسير الطبري ١١٦/١٢ والزاهر ٨٦/٢
 والمنصف ٧٤/٢ والدر المنصور ٢٨٧/٦ .

وروى أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد^(٢٥) قال : دخل الأصمعي^(٢٦) على الرئيد بعد غيبته غابها فقال : كيف حالك ، يا أصمعي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما الأقتني^(٢٧) أرض . أي : ما حبستني حتى خرجت عنها . فأمسك الرئيد . فلما تفرق أهل المجلس ، قال له^(٢٨) : ما معنى الأقتني ؟ قال : حبستني ، فقال الرئيد : لا تكلني في مجلس العامة بما لا أعلم .

وتقول : أَلَقْتُ الدَّوَاةَ ، فهي مُلَاقَةٌ . وليتئشها ، فهي مَلِيقَةٌ ، إذا جمعت مِدَادَهَا في صَوْفِهَا وقَطَّنَهَا .
وقولهم : « ما يليقُ هذا الأمرُ بصَفَرِي »^(٢٩) ، أي : قلبي ، أي ما يُمْسِكُهُ ويَجْتَمِعُ فيه . وأنشد العامري^(٣٠) :
لعمرك إنَّ الحُبَّ يا أُمَّ مالِكٍ

بجسِّي جزائي اللهُ منك لَلِأَلْقِ
ويُقال : لَقِيتُ الدَّوَاةَ ، وهي مَلِيقَةٌ^(٣١) . هذا إذا أصلحتها ، وزدَّتها في سَوَادِهَا . فأما إذا لم تكن فيها لِيَقَةٌ ، فجعلتَ فيها لِيَقَةً ، فأَلَقْتَهَا بِالْأَلْفِ ، لا غير . وإذا أمرتَ من أَلَقْتَ ، قُلْتَ : أَلِيقُ دَوَانِكَ ، بقطع الألف ، الألف ، وأنتَ مُلِيقٌ . وإذا أمرتَ من قولك : > لَقْتَ ،

(٢٥) ت ٢٨٥ هـ . (أخبار النحويين البصريين ١٠٤ ، تهذيب اللغة ٢٧/١) .

(٢٦) أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦ هـ . (مراتب النحويين ٤٦ ، تاريخ بغداد ٤١٠/١) .

(٢٧) في الأصل : لاقتني ، في الموضوعين . ينظر : أدب الكتاب ٩٩ .
الأشئى ٤٦٩/٢ ، اللسان والتاج (ليق) .

(٢٨) في الأصل : فقال له .

(٢٩) اللسان والتاج (ليق) .

(٣٠) قيس بن الملوح ، ديوانه ٢٠٣ ورواية عجزه : بقلبي براني الله منه للاصق ولا شاعده فيه على هذه الرواية .

(٣١) في الأصل : مليله . وهو تحريف .

قلت < : لِقِر الدَّوَاةُ لِقَاً جَيِّداً ، وَأَنْتَ لَاقٍ * . وقد أَمَهَتْ اللِّقِيَّةُ أَمِيحَهَا
أَمَاهَةً (٢٨٦) ، فَأَنَا مُسِيهِ لَهَا ، إِذَا أَكْثَرْتَ مَاءَهَا . وقد مَاهَتْ ، فِيهِ تَمَاهٌ
وَتَمَوهُ ، وَهِيَ مَائِيَّةٌ إِذَا كَثُرَ مَائُهَا .
ويقال : صَفَّتْ الدَّوَاةُ أَصْوْفُهَا صَوْفاً : إِذَا جَعَلَتْ فِيهَا لِقَةً
مِنْ صَوْفٍ * . وَكَرَّ سَتَّيْتُهَا أَكْرَسَفِيهَا كَرْسَفَةً وَكَرْسَافاً ، إِذَا جَعَلَتْ
فِيهَا لِقِيَّةً مِنْ كَرَّسَفٍ ، وَهُوَ الْقُطْنُ * .

(الْمِدَاد)

يُقَالُ : هُوَ الْمِدَادُ ، وَهِيَ الْمِدَادُ (٣٢) ؛ لِأَنَّهُ جَسْعٌ مِدَادَةٌ * . وَكُلُّهُ
جَمْعٌ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِلَّا الْهَاءُ ، فَانَّهُ يُذَكَّرُ وَيؤنثُ ، مِثْلُ غَمَامَةٍ
وَعَمَامٍ ، وَحَمَامَةٍ وَحَمَامٍ ، وَشَجَرَةٍ وَشَجَرٍ (٣٣) * .
ويقال : مَدَدْتُ الدَّوَاةَ أَمَدْتُهَا مَدّاً ، وَهِيَ دَوَاةٌ مُمَدَّةٌ * ،
إِذَا جَعَلَتْ فِيهَا مِدَاداً * . وَإِنْ كَانَ فِيهَا مِدَادٌ ، فَزِدْتُ فِيهَا مِدَاداً آخَرَ ،
تَقُولُ : أَمَدَدْتُهَا أَمَدَاداً ، فِيهِ مُمَدَّةٌ * . وَكُلُّ شَيْءٍ يَزِيدُ فِي شَيْءٍ بِنَفْسِهِ ،
فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ : مَدَدَهُ يَمُدُّهُ * . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَابْحَرُ يَمُدُّهُ *
مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحَرٍ) (٣٤) * .
فَإِنْ كَانَ الشَّيْءُ يَزِيدُ فِي الشَّيْءِ بغيرِهِ فَهُوَ بِالْأَلْفِ ، يُقَالُ : أَمَدَدْتُ
بِالرَّجَالِ وَبِالْمَالِ * . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَمُدُّدْ نَاكِمٌ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) (٣٥) * .
ويقالُ لَهَا أَمِدٌّ بِه السَّرَاجُ (٣٦) مِنَ الزَّيْتِ : مِدَادٌ * . وَكُلُّ شَيْءٍ

(٣٢) ينظر عن المداد : كتاب الكتاب ٩٦ ، الزاهر ٢/٢٥٤ ، صبح الاعشى
٤٧١/٢ * .

(٣٣) ينظر : المذكر والمؤنث للمبرد ٨٦ * .

(٣٤) لقمان ٢٧ * .

(٣٥) الاسراء ٦ * .

(٣٦) في الاصل : السراج فيه * .

أمددت به شيئاً ، فهو مِدَادٌ ، ومن أَخَذَ اسْمَ المِدَادِ . وأتسدد
الأخطل^(٣٧) :

رَأَتْ بَارِقَاتٍ بِالْأَكْفِ ، كَأَنَّهَا

مَصَابِيحُ سُرُجٍ أَتَدَنَّ بِمِدَادٍ

أي : بزمت ، فسماه مِدَاداً ؛ لأن السِّرَاجَ يَمْدُهُ به . فهذا دليل على
ما قلناه .

وتقول : استسدد^د من الدُّوَاةِ ، إذا أمرته أن^١ يأخذَ على القلم
مِدَاداً . واستمدد^د فلاناً ، إذا سأله أن^٢ يجعلَ على قلمك مِدَاداً ، فيقول :
قد أمددتك امداداً .

وتقول : أمددني على قلبي مِدَاداً ، وأمدني من دَوَاتِكَ ، أي :
أمكنني من مِدَادِهَا فاستدد^د منه^(٣٨) .

فاذا قَطَرَ من رَأْسِ القلمِ شيءٌ من المِدَادِ ، قيل : رَعَفَ
القلمُ رِعْفً ، وهو قلمٌ راعِفٌ . فاذا أخذتَ مِدَاداً فَقَطَرَتْ ، قلت :
أرعتُ القلمَ ارعافاً ، وهو قلمٌ مرْعَفٌ .
وتقول : استدد^د ولا ترْعِفْ ، أي : لا تُكثِرِ المِدَادَ حتى يَقْطُرَ
القلمُ^(٣٩) .

(الحبر)

يُقَالُ لِلْحَبْرِ^(٤٠) : اللون . يُقَالُ : انْ فَلَاناً لِنَاصِعِ الْحَبْرِ ،

(٣٧) ديوانه ١٣٦ .

(٣٨) ينظر : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٤٩ .

(٣٩) أقول بنمامه في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .

(٤٠) ينظر عن الحبر : الزاهر ٢/٢٥٣ ، أدب الكتاب ١٠٠ - ١٠٣ ، صبح

الاعشى ٢/٤٧١ .

يُراد به اللون الناصع الصافي من كل لون . قال ابن أحمر^(٤١) :

سَبَّهَ بِفَاحِمٍ جَعْدٍ

وَأَبْيَضَ نَاصِعَ الْحَبِيرِ

يُرِيدُ سَوَادَ شَعْرَهَا وَيَبَاضَ لَوْنَهَا .

ويقال : قُلَانٌ قَدْ ذَهَبَ حَبِيرُهُ وَسَبَّرُهُ^(٤٢) . فالْحَبِيرُ :

الْحُسْنُ ، وَالسَبَرُ : التَّيَّابُ وَالْهَيْئَةُ .

وقال الأصمعي^(٤٣) : إِنَّمَا سُمِّيَ حَبِيرًا ، لِتَأْيِيدِهِ . يُقَالُ : عَلَى أَسْنَانِهِ

حَبِيرٌ ، إِذَا كَثُرَتْ صَفَرَتُهَا حَتَّى تَضْرِبَ إِلَى السَّوَادِ . وَالْحَبِيرُ :

الْأَثَرُ يَبْقَى فِي الْجِلْدِ مِنَ الضَّرْبِ . يُقَالُ : قَدْ أَحْبَرَ جِلْدُهُ ، إِذَا بَقِيَ

بِهِ أَثَرٌ بِضَرْبٍ ، وَأَنْشَدَ^(٤٤) :

لَقَدْ أَشْمَتْتُ بِي أَهْلَ فَيْدٍ ، وَغَادَرْتُ

بِكُفْيٍ حَبِيرًا بِنْتُ مَصَّانٍ بَادِيَا

قال أبو العباس^(٤٥) : وَأَنَا أَحْسِبُ أَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَكَبٌ

تَحَبَّرَ بِهِ ، أَيْ تَحَسَّنَ .

وقال الأُموي^(٤٦) : إِنَّمَا سُمِّيَ الْحَبِيرُ حَبِيرًا ، لِأَنَّهُ الْبَلِيغُ إِذَا

حَبَّرَ بِهِ أَلْفَاظَهُ ، وَأَتَمَّ بَيَانَهُ ، أَحْضَرَ مَعَانِيَ الْحِكْمِ أَنْقَ مِنْ

حَبَرَاتِ الْيَسَنِ ، وَمُفَوِّمَاتِ وَشِيِّ صَنْعَاءَ .

(٤١) أَخْلَ بِهِ شَعْرَهُ . وَهُوَ لَهُ فِي صَبْحِ الْأَعْمَى ٤٧١/٢ .

(٤٢) أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ٧١ (حَبِير) .

(٤٣) صَبْحُ الْأَعْمَى ٤٧٢/٢ .

(٤٤) لِمُصْبِحِ بْنِ مَنْظُورِ الْأَسَدِيِّ فِي اللِّسَانِ وَالنَّجَاحِ (حَبِير) .

(٤٥) هُوَ الْمَجْرَدُ فِي صَبْحِ الْأَعْمَى ٤٧٢/٢ وَالنَّجَاحِ (حَبِير) .

(٤٦) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الْفُؤَيْي . (الْفَهْرَسْتُ ٥٤ ، أَنْبَاءُ الرِّوَاةِ ١٢٠/٢) .

(الكتاب)

قال أبو عبيدة وغيره من أهل اليمن : يسمّى الكتاب كتاباً ، لتأليف حروفه ، وانضمام بعضها الى بعض . وكل شيء جمعه ، وضمت بعضه الى بعض ، فقد كتبه^(٤٧) . قال الشاعر^(٤٨) :

لَا تَأْمَسَنَّ فَرَارِيًا خَلَوَتْ بِهِ

عَلَى قَلْوَصِكَ وَاكْتَبَهَا بِمَسِيرٍ

اي : ضمّ شغري^(٤٩) حيايتها واجمعتهما .

وتقول : قد كتبت الكتاب كتباً وكتاباً وكتابةً ومكتبةً ، اذا جمعت بين حروفه وضمت بعضها الى بعض ، وأنا كاتبٌ ، والجمع : كاتبون ، وكتاب ، وكتبَة ، وكتب^(٥٠) .

ويقال^(٥١) (٢٨٧) للخيل اذا جمعت ، وضمّ بعضها الى بعض : كتيبة .

ويقال : كتب الرجل ، اذا خطّ . واكتب يكتب كتاباً ، اذا صار حاذقاً بالكتاب .

ويقال : اتيت فلاناً فاكتبته ، اذا وجدته كاتباً . كقولهم : أبظنته : وجدته بخيلاً ، وأسخيتّه : وجدته سخياً^(٥٢) .

ويقال : قد امسكت فلان : اذا ادعى أن يكون كاتباً . والمسكتب^(٥٣) : المعلم . والمسكتب : الموضع الذي يكتب >

(٤٧) ينظر : المسائل الحليّات ٣٠٣ - ٣٠٧ ، جمال القراء وكمال الاقراء

٢٨/١ ، البرهان ٢٧٦/١ ، التاج (كتب) .

(٤٨) سالم بن دارة في الكامل ٦٨٨ وخرانة الادب ٥٣١/٦ .

(٤٩) في الاصل : شغري .

(٥٠) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٠ .

(٥١) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥١ .

(٥٢) ينظر : اللسان والتاج (كتب) .

فيه . والمنكسب : الموضع الذي يتعلم فيه الكتابة^(٥٣) .
وتقول : قد كسبتُ العلامَ أَكْسَبْتُهُ تَكْسِيًا ، وأكسبتهُ اِكْتَابًا ،
إذا علمتهُ الكتابة^(٥٤) .

وتقول : قد كاتبْتُ فلانًا ، أي : خايرته ، فكتبتهُ ، أي : غلبته في
جودة الخطِّ ، فكنتُ أَكْتَبُ منه ، فهو مكتوبٌ ، كقولك : فاخرته
فَفَخَّرْتُهُ ، أي : فكنتُ أَفْخَرُ منه . وفاطنتهُ ، ففطنتهُ ، أي : كنتُ
أَفْطَنُ منه .

ويقالُ للحافظِ العالمِ : الكاتبُ ، ومنه قول الشاعر :
أَوْصَيْتُ بِالْحَسَنَاءِ قَلْبًا كَاتِبًا
وزخرفته : إذا حَسَنْتُهُ ، وزَيَّنْتُهُ ، ونَسَجْتُهُ .
وأَنشد المَرْقَشُ^(٥٥) :

الدارُ وَحَشٌ ، والرسومُ كما
رَقَشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمٌ

وبهذا البيت سُيِّ المَرْقَشُ^(٥٦)
وتقولُ العربُ^(٥٧) : زَبَرْتُ الكتابَ أَزْبَرُهُ زَبْرًا وزَبُورًا ،
إذا كَتَبْتُهُ .

والزَّبْرُ : الكَتْبُ ، واحدها زَبُور ، وهو فَعُولٌ في موضع مفعول ،
كما قالوا : فاقة رَكُوبٌ وحَكُوبٌ ، أي : مركوبة ، ومحلوبة . وقد يكون
زَبُورٌ بمعنى زابِرٍ ، أي : كاتبٌ ، كقولك : ضاربٌ وضَرُوبٌ . قال امرؤُ

(٥٣) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٢ .

(٥٤) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٢ .

(٥٥) شعر المرقش الأكبر ٨٨٤ .

(٥٦) الزاهر ١٢٣/٢ .

(٥٧) الزاهر ١٦٩/١ .

القيس (٥٨) :

أَتَتْ حِجْجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ
كَخَطِّ زُبُورٍ فِي صَحَافِ رُهْبَانٍ
أي : بخطِّ كاتبٍ . وقال أبو ذؤيب (٥٩) :

عَرَفْتُ الدَّيَّارَ كَرَقَمِ الدَّوَا
قَرْنِ بَرْمِ الشَّاعِرِ الحِمِيرِيِّ

أي : يكتبه . ومن رَوَاهُ : يَذُبُّرُهُ ، بالتذال ، أراد : يقرؤه . وقوله :
كَرَقَمِ الدَّوَاةَ ، أي : بالكتابة (٦٠) بالدَّوَاةَ . قال الله عزَّ وجلَّ :
(كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) (٦١) . وقال الشاعر (٦٢) :

سَارَقَمُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحَ الْيَكْمُ
عَلَى نَأْيِكُمْ أَنْ كَانَ لِلدَّاءِ رَاقِمُ

< المطَّ >

المطَّ في الكتاب والمكَّة سواء ، تقول : مَطَطْتُ الحَرْفَ ، أي :
مَدَدْتُهُ ، وهو حرفٌ مطوطٌ ، وأنا ماطٌ ، والأصل : ماطِيطٌ على وزن
فاعِل ، أَدْعَسَتْ أَحَدِي الطَّاءَيْنِ فِي الْأُخْرَى (٦٣) .

فَإِذَا أَمَرْتُ ، قُلْتُ ، إِذَا أَدْعَسْتُ : مَطَّ حُرُوفُكَ يَافِتِي .
وَالطَّاءُ وَالنَّاءُ وَالذَّالُّ يُتَعَاقَبْنَ ، فَجُمِلَ بَعْضُهُنَّ مَكَانَ

(٥٨) ديوانه ٨٩ .

(٥٩) ديوان الدليلين ٦٤/١ وفيه : يزيروها الكاتب ...

(٦٠) في الأصل : بالكتاب .

(٦١) المطففين ٢٠ ، ٩ .

(٦٢) بلا عزو في الزاهر ٢٠٢/١ . وفي الأصل : على ناركم .

بعض ، لأنهن مجهورات متقاربات المخارج من القم (٦٤) . ومنه يقال :
مستت الى فلان بكذا وكذا ، أي : مددت اليه به ، فالتاء في موضع
الذال ، لقربها منها .

(الشطليس)

والشطليس في الكتاب مثل الترميد ، والاسم الطلسة (٦٥) . واتا
أخذ من الطلياء ، مسدود ، وهي لون الليل . ومنه قيل للطليسان
الأزرق : طيلسان (٦٦) . قال الشاعر (٦٧) :

الا روائد في المحلة بينها

كالطيلسان من الرعامد الأزرق
ومنه قيل : ذئب أطلس ، وهو الذي يشبه لونه لون
الرعامد .

(القيرطاس)

تقول العرب : قيرطاس وقيرطاس وقيرطاس ، ثلاث لغات (٦٨) .
وقيرطس وقيرطس ، مثل : درهم ودراهم .
وتقول : قد قيرطست قيرطاساً : اذا كتبت في القيرطاس ، وأنا
مقيرطس بقيرطاس .

(٦٤) مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا . (ينظر : الكتاب ٢/٤٠٥ ، وسر
صناعة الإعراب ٤٧ ، والتحديد في الإتيان والتجويد ١٠٥ ، ومخارج
الحروف وصفاتها ٨٢) .

(٦٥) الطلس : لغة في الطرس . والطلس : الجو . وطلس الكتاب طلسا
وطلسه ذئب طلس كثرسه . ويقال للحمية اذا محبت طلس وطرس .
(ينظر : اللسان والناج : طرس وطلس) .

(٦٦) ضرب من الأكسية .

(٦٧) لم أقف عليه . وفي الأصل : راودد .

(٦٨) الدرر المبتة ١٦٨ .

وتقول: "قد قَرَطَسْنَا فلان" ، اذا أَكَى بِقِرطاس .

(السحاة)

تقول : سحاة ، وسحاً : قنر . تقول : اسحيت الكتاب اسحيه
اسحاء* : اذا جعلت عليه سحاة* .

واذا أمرت ، قلت : اسح كتابك ، أي : اجعل عليه سحاة* ،
وهو كتاب مسحى* . واذا أمرت ، قلت : سح كتابك .

وتقول : سحوّت القِرطاس (٢٨٨) أسحوه سحواً : وسحيتته*
أسحاء* سحياً ، اذا أخذت منه سحاة* .

وهو قِرطاس مسحو* ، من قولك : سحوّت* . ومسحيتي* من
قولك : سحيت* .

وأصل السحور : القشر* : ومنه يقال : سحوّت الطين عن
رأس الدن* : اذا قشرتة* . ومنه سويت المسحاة مسحاة* ، لأنها
تقشر الأرض* .

وجمع السحاة : سحاءات وسحاء* . وجمع السحاية : سحايات
وسحايا(٦٩) .

(التراب)

تقول : اتربت الكتاب اتربته* اتراباً(٧٠) ، وتربته* تريباً ،
اذا ألقيت عليه التراب* .

واذا أمرت ، قلت : اترب كتابك اتراباً جيداً ، وتربته*
تريباً* .

(٦٩) ينظر من السحاة : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٣ ، أدب الكتاب ١٢٥ ،
كتاب الكتاب ٩٧ - ٩٨ ، الاقتصاد ١٨٣/١ .

(٧٠) ينظر من التراب : كتاب الكتاب ٩٧ ، الاقتصاد ١٨٢/١ .

وكتاب "مترَّب" ، من قولك : أترَّبْتُ • ومترَّبٌ ، من قولك : ترَّبْتُ (٧١) •

وتقول إذا ألقيت عليه الإشارة ، وهي ما ألقاه الميراث (٧٢) : أشرَّتْ • أوْشُرْ تأشيراً •

(العنوان)

تقول المترَّب : هو عنوان الكتاب وعنوانه ، وقد معنُون ، وعنوانه تعنيًا ، وهو كتاب "معن" •

ويقال : عنوان كل شيء أثره • قال حسان بن ثابت (٧٣) :

ضَحَوُوا بِأَسْمَطِ عُنُونِ السَّجُودِ بِهِ

يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقَرَأَنَا

أَي : أثر السجود بغير "بوجه" • وجمع العنوان : عناوين (٧٤) •

(المثلين)

تقول : طينت الكتاب أطنته طينًا ، مفتوح الطاء ، إذا جعلت عليه طينًا ، وهو كتاب "مطين" ، وأنا طائنين • وإذا أمرت ، قلت : طين الكتاب طينًا جيدًا • قال الشاعر (٧٥) :

(٧١) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ٣٨ : أترَّب الكتاب ، ولا يقال : ترَّب •
(٧٢) المثار ، بالهمز ، واليشار ، بغير همز ، والمنشار ، بالتون . ويقال لا يسقط من الخشب : الإشارة والوشارة والمنشارة . (الاقتضاب ١٨٢/١)

(٧٣) (٧٤) هي الأصل : منوت عنوة •

(٧٥) ديوانه ٩٦/١ •

(٧٦) ينظر من العنوان : أدب الكتاب ١٤٣ ، كتاب الكتاب ٩٨ ، مواد البيان ٣٣٩ ، الاقتضاب ١٨٩/١ •

(٧٧) بلا عزو في منهاج الإصابة ٢٤٤ وفيه : امن الكتاب •

وَعَنِ الْكِتَابِ إِذَا أَرَدْتَ جَوَابَهُ
 وَطِينَ الْكِتَابَ لَكِي يَسْرَ وَيُكْتَبَا
 فَإِذَا أَعَدْتَ الطِّينَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ عَلَى الْكِتَابِ أَوْ غَيْرِهِ ، قُلْتَ :
 طِينَتُهُ تَطْيِينًا ، وَهُوَ مُطَيَّنٌ . وَيُقَالُ لِلَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ الطِّينُ :
 مُطَيَّنٌ (٧٨) .

(الخاتم)

يُقَالُ : خَاتِمٌ ، خَاتِمٌ ، وَخَاتَمٌ ، وَخَاتَمٌ ، وَخَاتِمٌ ، وَخَاتِمٌ (٧٩) .
 وَأَنْشَدُوا فِي الْخَيْتَامِ (٨٠) :
 وَلَقَدْ وَعَدْتُ ، وَأَتَتْ أَكْرَمَ وَاعِدٍ
 لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بغيرِ تَمَامٍ
 إِنَّهُ الْأُمُورَ حَصِيدَهَا وَذَمِيمَهَا
 فِي النَّاسِ مِثْلُ عَوَاقِبِ الْخَيْتَامِ
 وَأَنْشَدُوا فِي الْخَاتِيَامِ (٨١) :

أَخَذْتُ مِنْ سَعْدَاكَ خَاتِيَامَا
 لِمَوْعِدٍ يُكْسِبُكَ الْآثَامَا
 وَتَقُولُ : ظَلَمْتُ إِلَى الْكِتَابِ فَأَخْتَمْتُهَا ، أَيْ : وَجَدْتُهَا مَخْتومةً ، كَقَوْلِكَ :
 أَبْخَلْتُ الرَّجُلَ : وَجَدْتُهُ بَخِيلًا (٨٢) .

(٧٨) ينظر عن الطين : كتاب الكتاب ٩٨ ، الاقتضاب ١٨٩/١ .
 (٧٩) ينظر عن الخاتم : الكتاب وصفة الدواء والقلم ٥٤ ، أدب الكتاب ١٣٩ ،
 كتاب الكتاب ٩٨ ، الاقتضاب ١٨٦/١ ، اللسان والتاج (ختم) .
 (٨٠) لعبد الله بن أيوب التيمي في منهاج الإصابة ٢٤٦ .
 (٨١) بلا عزو في منهاج الإصابة ٢٤٦ .
 (٨٢) القول في الكتاب وصفة الرواة والقلم ٥٤ .

ويُقال في الخُتم : الخِتام ، ولا يُقال : الخاتم (٨٣) .

(القراءات ووجوها)

يُقال : قرأتُ الكتابَ أقرأهُ قِراءةً ، وأنا قارىءٌ ، وهو كتابٌ مقروءٌ (٨٤) .

وإذا أمّرتُ ، قلتُ : اقْرَأْ هذا الكتابَ . فإنّ لقي الفعل ألفاً ولاماً ، كسرتَ الهزّة ، فقلتُ : اقْرَأْ الكتابَ .

وأصلُ القراءةِ جمعُ بعضِ الحروفِ الى بعض . وإنما سُمِّيَ (القرآن) قرآناً ، لاجتماعِ بعضِ سُورِهِ الى بعضِ (٨٥) . قالَ الله تعالى : (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) (٨٦) . أي : اذا جَمَعْنَاهُ ، فاتبع جمعه . ويُقال : اذا أَلَفْنَاهُ (٨٧) .

وقال أبو عُبَيْدَة : تقول : قد قرأ البعيرُ العلفَ ، اذا جمعه في شِدْقِهِ . قال عمرو بن كلثوم (٨٨) :

ذِرَاعِي حُرَّةٌ أَكْمَاهُ بَكْرِي

هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

أي : لم تجمعه في رَحِيصِهَا .

ومنه قولهم : « ما قرأتِ النّاقةُ سَلَى قَطَطٌ » (٨٩) ، أي : لم

(٨٣) القول في الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٤ وفيه : ويقال : الكتاب في الختم والختم ولا يقال في الخاتم .

(٨٤) ينظر : اللسان والناج (قرأ) .

(٨٥) ينظر : تفسير قريب القرآن ٣٣ ، الزاهر ١/١٦٧ ، بسانن ذوي التمييز ٨٨/١ .

(٨٦) القيامة ١٨ .

(٨٧) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/١ - ٣ .

(٨٨) شرح القصائد السبع الطوال ٣٨٠ ، شرح القصائد السبع ٦٢٠ .

(٨٩) الزاهر ١/١٦٧ ، الأضداد في كلام العرب ٥٧٥ .

تجمعه ، ولم تشتل عليه . والسكلى (٩٠) : الجلدة الرقيقة (٩١) تكون على رأس المولود إذا خرج من بطن أمه .
ومنه قولهم للحوض : مقترقة ؛ لأنه يجتمع فيه الماء .
ومنه سميت القرى ، لأنها مجاميع الناس الذين ينزلونها (٩٢) .

(الديوان)

ديوان أصله ديوان (٩٣) . وكذلك الديار والقيراط : دثار وقيراط ، فكرهوا التضعيف والكسرة ، فأبدلوا من المتضاعف الأول الياء للكسرة . فإذا زالت الكسرة (٢٨٩) ، واتصل أحد الحرفين من الآخر ، رجع التضعيف ، فقلت : دثيئر وقريريط ودثويئون .
قال الأصمعي (٩٤) : والديوان أعجبي (٩٥) في الأصل عربته العرب وكان أصله « أي ديوانه » ؛ وأول من قال ذا كسرى ، وكان أمر الكتاب أن يجتمعوا في داره ، ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام ، وأعجلهم في ذلك وأخذوا فيه ، فاطلع عليهم فرأى قوماً يحسبون كاسرع ما يكون من الحساب ، ويكتبون . فعجب من سرعة حركتهم ، فقال : « أي

(٩٠) في الأصل : السلا ، في الموضعين .

(٩١) في الأصل : الرقيق .

(٩٢) اللسان والتاج (قرأ) .

(٩٣) سر صناعة الأعراب ٧٣٥ .

(٩٤) المغرب ٢٠٢ .

(٩٥) قال الخفاجي في شفاء الغليل ١١٩ : وقال المازوني في شرح الفصيح : هو عربي ، من دونت الكلمة إذا ضبطتها وقيدتها ، لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون . هذا هو الصواب ، وليس معرباً ، ويطلق على الدفتر ، وعلى محله ، وعلى الكتاب ، ويخص في العرف بما يكتب فيه الشعر .

ديوانه » ، أي : هؤلاء شياطين وسُئى موضعهم ديواناً . فاستعملت العرب هذا الاسم حتى جعلوا لكلَّ مُحَصِّلٍ مجبوعٍ من شعرٍ أو كلامٍ أو حسابٍ ديواناً (٩٦) .

والعون من أعوان الديوان ، مشتقٌ من الاعانة . تقول : أعت اعينته اعانةً ومعونةً ، فجعل العون اسماً للعين ، وجمعه أعوان .

(التاريخ)

تقول : أَرَخْتُ الكتابَ أَوْرَخَهُ تاريخاً (٩٧) ، وهو كتابٌ مؤرَّخٌ ، مهسوز ، وأنا مؤرَّخٌ . ووَرَخْتُهُ أَوْرَخْتُهُ تورِخاً ، وهو مؤرَّخٌ ، بغير همز ، وأنا مؤرَّخٌ . وأَرَخْتُهُ ، بالتخفيف ، أرخه أراخاً . وهو كتابٌ مأروخٌ ، وأنا أرخٌ ، على مثال فاعل . وإذا أمرت ، قلت : أرخ الكتابَ تاريخاً . وإذا أمرت من : ورخت ، قلت ورخ الكتابَ تورِخاً . وإذا أمرت من : أرخت ، مخففةً ، قلت : رخ الكتابَ رِخاً ، وللاثنين رِخاً ، وللجمع : رِخوا (٩٨) .

(٩٦) ينظر عن الديوان : الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٦ ، أدب الكتاب ١٨٧ ، الاقتضاب ١٩٢/١ ، صبح الأعشى ٨٩/١ وفيه نقلاً عن صناعة الكتاب للنحاس : ((والمعروف في لغة العرب أن الديوان الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه . ومنه قول ابن عباس : إذا سألتوني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب)) .

(٩٧) ينظر عن التاريخ : أدب الكتاب ٧٨ ، الكتاب ٧٩ - ٨٠ ، الاقتضاب ١٩٦/١ .

(٩٨) القول بتمامه في كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم ٥٥ - ٥٦ .

حَقِيقَةُ اللُّغَةِ وَمُفْرَدَاتُهَا

الدكتور نذير محمد سلمان

كلية الآداب - جامعة بغداد

ذهب المعجميون العرب الى أن لفظة (اللغة) مشقة من (اللغو) (١) ، وهو : النطق (٢) ، وأن أصلها من حيث التصرف هو (لغوٌ) على وزن (فعلة) (٣) ، حذف لامها حذفاً اعتباطياً ؛ لأنّ هذا الحذف ليس مبنياً على قياس ، وليست له علّة صرفية أو نحوية ، وقد جاء مثل هذا الحذف في قسم من الألفاظ العربية ، مثل : كَرَّةٌ وقَلَّةٌ وثَبَّةٌ ، فقد حذفت لامات هذه الألفاظ وعوّض عنها بالثاء في آخرها (٤) . ويسمي اللغويون هذه الألفاظ ألفاظاً ناقصة (٥) ، اذ لم تستوف ما تستحقه من عدة بنيتها ، فجاءت ناقصة اللام . وعلى هذا يكون وزنُها التصريفي هو : (فُعلة) .

وقد ترجّح عندى ان لفظة (اللغة) ليست من الألفاظ العربية الموعلة في القدم ، فهي ليست من الألفاظ القرآنية ، ولا من الفاظ الشعر الجاهلي ، اذ لم أعر على بيت جاهلي وردت فيه هذه اللفظة ، مع كثرة التتبع والاستقراء ، وقد استعنت بأناس من ذوى الدراية بالشعر الجاهلي ، لعلمهم يلتقطون لي بيتاً واحداً وردت فيه هذه فلم يتمكنوا من ذلك .

-
- (١) انظر مادة (لغو) في كتاب العين ٤/٤٤٩ ؛ ومجلد اللغة ٣/٨١٠ .
واللسان (لغا) ، وتاج العروس (لغا) .
 - (٢) الجمهرة ٣/٢٦٤ ، اللسان (لغا) .
 - (٣) الخصائص ١/٣٣ ، اللسان (لغا) .
 - (٤) الخصائص ١/٣٣ . وانظر شرح مختصر العزى ٢٥ ، اللسان (لغا) .
 - (٥) الجمهرة ٣/٥٠٩ ، اللسان (لغا) .

والناظر في القرآن الكريم والشعر العربي القديم يرى ألفاظاً كثيرة تشارك مفردة اللغة في جذرها اللغوي ، وتلتقي معها في الدلالة على النطق ، مثل : الغوا ، ولاغية : وتلغى ، ولغوى وملغاة ، من ذلك مثلاً قوله تعالى : (وقال الذين كفروا لا تسعوا لهذا القرآن والغوا فيه) (٦) ، وقوله (في جنّة عالية ، لا تسمع فيها لاغية) (٧) ، وقول الشاعر الجاهلي (٨) :
 باكرته قبل أن تلغى عصافُره مستخفياً صاحبي وغيره الخافي
 ومادة (اللغو) ، التي هي الأصل الاشتقاقي لمفردة (اللغة) ، قد وردت في القرآن الكريم والشعر الجاهلي ، من ذلك قوله تعالى : (لا يسمعون فيها لَغْواً ولا تَأْثِماً) (٩) ، وقول الشاعر (١٠) .

باكرتهم بسباء جون ذارع قبل الصباح وقبل لغوي الطائر
 وأقدم نص تراثي وردت فيه مفردة (اللغة) ، هو الحديث النبوي الشريف . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لم يبعث الله نبياً إلا بلغه قومه » (١١) .
 أما القرآن الكريم ، فقد عبّر فيه عن مفهوم اللغة بلفظة (المنطق) في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) (١٢) ، وعبر عن مفهومها أيضاً فيه بلفظة (اللسان) . وقد تكرر ذلك ، ومنه قوله تعالى : (وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) (١٣) ، وقوله :

(٦) فصلت ٢٦ ، وانظر كتاب العين ٤/٤٤٩ .

(٧) الفاشية ١١ .

(٨) هو عبد المسيح بن عسلة . انظر المفضليات ٢٨٠ .

(٩) الواقعة ٢٥ .

(١٠) هو ثعلبة بن صعير ، جاهلي قديم ، انظر المفضليات ولسان العرب (لغا) .

(١١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي/مادة (لغا) ٦/١٣٠ .

(١٢) النحل ١٦ .

(١٣) ابراهيم ٤ .

(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (١٤) ،
وقوله : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَانِكُمْ) (١٥) ،

وتكرر مجيء (اللسان) بمعنى (اللغة) في الحديث ، من ذلك :
(فَاصْبِرْ لَهَا لِسَانُ قُرَيْشٍ) ، و(طَلَّاقُ كُلِّ قَوْمٍ بِلِسَانِهِمْ) ، و(أَلْسِنَتُهُم
أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ) ، و« إِنْ أَلَلَّ اللَّهُ يَعْلَمُ الْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا » (١٦) .

واستعمال (اللسان) بمعنى (اللغة) استعمال مجازي ، لأنه في الأصل
موضوع للدلالة على العضو المعروف الذي هو آلة النطق والكلام .

وقد تصرف العرب بلفظة (اللسان) فكنوا بها عن الكلمة
أو الرسالة ، من ذلك قول أعشى باهلة (١٧) :

إِنِّي أَتَيْتُنِي لِسَانٌ لَا أَسْرُ بِهَا

ومثله قول الآخر (١٨) :

أَتَيْتُنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ

وقد يعبرون بها عن (الكلام) من ذلك قول الخطيب (١٩) :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانِ فَاتِ مَنِي فَلَيْتَ بَأَنَّهُ فِي جَوْفِ عَكْمٍ

واشتقوا من (اللسان) ألفاظاً ، أَسْمَاءً وَأَفْعَالاً ، وكلها تدل على الكلام ،

(١٤) النحل ١٠٣ .

(١٥) الروم ٢٢ .

(١٦) انظر هذه الأحاديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة

(لِسَان) ١١٦/٦ - ١١٧ .

(١٧) اللسان (لسن) .

(١٨) المصدر نفسه .

(١٩) المصدر نفسه .

فقالوا مثلاً : فلان "لَسِن يِّن اللِّسَن" ، اذا كان ذا بيان وفصاحة (٢٠) . وجاء في حديث عمر (رضي الله عنه) : انه وصف امرأة ، فقال ، (إِنَّ دَخَلْتُ عَلَيْكَ لَسِنَتَكَ » ، أي : أخذتك بلسانها ، يصفها بالسلطة وكثرة الكلام (٢١) .

ويبدو لي أن استعمال (اللسان) للدلالة على ما تدل عليه مفردة (اللغة) أمر شائع في كثير من اللغات المعروفة ، فقد جاءت في الانكليزية مثلاً ... لفظة « Tongue » ، ومعناها اللسان مرادفة ، للفظه (Language) التي معناها (اللغة) . ووقع مثل هذا الاستعمال في الفرنسية والألمانية والروسية والكردية والتركية .

وجاء في العبرية استعمال (الشفة) بمعنى (اللغة) (٢٢) ، وهو استعمال مجازي أيضاً . وورد في العربية شيء قريب من ذلك ، اذ اشتقت العرب من (الشفة) ألفاظاً تتصل بالكلام الذي هو جوهر اللغة ، فقالوا شافته مشافهة ، وقالوا : شفهي وشفوي (٢٣) . وجاء في كلامهم : إن شَفَةَ الناس عليك لحسنه ، ويعنون بالشفة هنا الثناء (٢٤) ، وهو إنما يكون بالكلام والحديث ، لفظاً أو كتابةً ، و(اللغة) في حقيقة أمرها لاتعدو هذين الأمرين .

وبقي استعمال (اللسان) في العربية بمعنى (اللغة) دارجاً على ألسنة أهلها وأقلام علمائها ، فقد سمى ابن منظور معجمه (لسان العرب) ،

(٢٠) المصدر نفسه .

(٢١) المصدر نفسه [المجلة : وفي القاموس المحيط : « ولسنه : أخذه بلسانه ، وغلبه في المراسنة للمناطقة » ولم يذكر « السلطة »] .

(٢٢) قاموس عبري - عربي ٩٧١ ، وانظر معجم جيب/انكليزي - عربي ، وعبري - عربي ٢٠٢ .

(٢٣) اللسان (شفة وشفوي) .

(٢٤) اللسان (شفه) .

وهو يعني بلا ريب (لغة العرب) ولكن الذي ساد في مختلف عصور العربية هو مفردة (اللغة) ، ولا سيما في الدلالة الاصطلاحية ، وتجري الآن محاولات لتسيير مصطلحات مأخوذة من مادة (اللسان) ، مثل : اللسانيات والألسنية ؛ وهي مصطلحات ليست ببعيدة عن جوهر اللغة ومضمونها .

وقد استقرت مفردة (اللغة) وغدت منذ قرون كثيرة هي اللفظة المستعملة عند العرب عامتهم ، وخاصتهم ، وأصبحت عنواناً ينضوي تحته كل ما ينطبق به اللسان العربي من ألفاظ لها معانٍ ، مفردة أو مركبة ، وارتبطت هذه اللفظة من حيث المضمون بعلم دراسة العربية ، فصار (علم اللغة) و (فقه اللغة) من علومها التي اشتغل بها علماء الأمة درساً وتأليفاً ، ومن ثم صارت (اللغة) من المصطلحات العلمية التي حرص العلماء على أن يَضَعُوا لها الحدود التي تكشف عن مدلولها .

ويرجح عندي أن أول من وضع لها حداً ، هو ابن جني المتوفى سنة (٣٩٢ هـ) ، حيث قال ، « أمّا حدّها ، فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » (٢٥) . وهذا لا ينطبق على العربية وحدّها ، بل يشمل كل اللغات ، وقد نص ابن سيده على هذا الشمول ، فوصف هذا الحدّ بأنه : « عام لجميع اللغات ، لأن الحدّ طبيعي » ، ولأنّه « حد دائر على محلوده ، محيط به لا يلحقه خلل ، إذ كل صوت يعبر به عن المتصور في النفس لغة ، وكل لغة فهي صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس » (٢٦) .

وقد ترجح عندي أن القارابي الفيلسوف المتوفى سنة (٣٣٩ هـ) قد سبق ابن جني في التوصل الى الربط بين اللغة والأصوات ، وأنه هو الذي مهد له السبيل ، ليضع هذا الحدّ الدقيق للغة ، حيث نص على أن الإنسان

(٢٥) الخصائص ١/ ٢٣ .

(٢٦) المخصص ١/ ٦ .

إذا « احتاج أن يعرف غيره ما في ضميره ، أو مقصوده بضميره ، استعمل الإشارة أولاً في الدلالة على ما كان يُريد من يلمس تفهيمه إذا كان من يلمس تفهيمه بحيث يُبصر إشارته ، ثم استعمل التصويت ، وأول التصويتات النداء ، فإنه بهذا ينتبه من يلمس تفهيمه أنه هو المقصود بالتفهم ، لا من سواه ، وذلك حين ما يقتصر في الدلالة على ما في ضميره بالإشارة إلى المحسوسات : ثم من بعد ذلك يستعمل تصويتات مختلفة ، بكل واحد واحد منها على واحد واحد مما يدل عليه بالإشارة إليه وإلى محسوساته ، فيجعل لكل مشار إليه محدود تصويتاً ما محدوداً لا يستعمل ذلك التصويت في غيره » (٢٧) .

وتناول علماء أصول الفقه حد اللغة لصلتها الوثيقة بعلوم الشريعة ، فهي عندهم من علوم الآلة ، لأنها أداة التعبير ، وفهم النصوص الشرعية من قرآن وسنة متوقف على فهم لغة تلك النصوص وكان ابن حزم الاندلسي المتوفى سنة (٤٥٦هـ) - وهو أحد علماء أصول الفقه - من جملة الذين وضعوا للغة حداً ، حيث قال : « اللغة ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها » (٢٨) . وهذا الحد : لا يخرج في مضمونه عن حد ابن جني ، لأن الألفاظ - كما يقول الأُميدي - وهو أيضاً من علماء الأصول - إنما تحدثت من اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية (٢٩) .

وظل حد ابن جني للغة هو الحد المعول عليه عند علماء العربية وغيرهم (٣٠) ، لأنه حد جامع مانع ، جاء بعبارة وجيزة ، دلت على طبيعة اللغة ووظيفتها ، وميزتها من غيرها من الدوال ، كالأشارة والخط والرسوم

(٢٧) كتاب الحروف ١٣٦ .

(٢٨) الاحكام في اصول الاحكام لابن حزم ٤٦/١ .

(٢٩) الاحكام في اصول الاحكام للأُميدي ١٦/١ .

(٣٠) اللسان (لغا) .

والرموز التي استعمالها الإنسان للتعبير عن أغراضه المختلفة (٣١) .

والأصل في لفظة (اللغة) في العربية أنها تدلّ على لغة العرب الموحّدة المختارة ، ولكن أصبح لها مدلول ثانٍ إبان عصر التدوين ، فصارت تطلق أيضاً على لغات العرب الفرعية التي تختلف شيئاً ما عن اللغة الموحدة ، ومن هنا صرنا نجد في كتب العربية لغات منسوبة إلى قبائل أو أقاليم أو مدن معينة ، مثل : لغة الحجاز ، ولغة قُرَيْش ، ولغة تميم ، ولغة نجد ، ولغة هذيل ، ولغة أهل المدينة ، ولغة أهل البصرة ، ولغة أهل الكوفة ولعل أول من استعمل هذا الاصطلاح هو أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة (١٥٤ هـ) ، فقد قيل له ، أخبرنا عما وضعت مما سمعته عربية أبدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال ، لا ، فقيل له ، كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب وهم حجة ؟ قال ، « أعمل على الكثير ، وأسهي ماخالفني لغات » (٣٢) .

وقد سار علماء العربية على هدى ما أصطلّه أبو عمرو بن العلاء ، فوجدناهم يطلقون لفظة (لغة) على ما جاء خارجاً عن جمهور كلام العرب وقد ينسبون هذه اللغة إلى قبيل معين من العرب ، وقد لا ينسبونها (٣٣) .

وسعى علماء العربية إلى تقويم لغات القبائل والأمصار ، فوصفوا قسماً منها بأنها جيّدة ، أو كثيرة ، ووصفوا أخرى بأنها ضعيفة ، أو رديئة ، أو رديئة جداً ، أو قليلة (٣٤) . بل ربما سمّوا بعضها (لُغَةً) (٣٥) على سبيل التصغير ، وذلك لقلتها وندرتها .

(٣١) البيان والتبيين ٧٦/١ ، والمغني لابن فلاح م ٢٢/٢ .

(٣٢) طبقات النحويين واللغويين ٣٩ .

(٣٣) انظر الكتاب ٣/٢ : ١٩١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٣١٣ ، ٣٦١ .

(٣٤) انظر الكتاب ٥٠/٢ : ٥١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٢ .

(٣٥) الانصاف في مسائل الخلاف ٣٩٢/١ ، وأوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ٢٣٨/١ .

وقد استحدثت في عصرنا هذا لفظة حلت محلّ (اللغة) الفرعية ، وهي مفردة (اللهجة) ، فصرنا نقرأ في الكتب اللغوية الحديثة ، مثل : لهجة تميم ، ولهجة هذيل ، ولهجة الحجاز ، وعلماء العربية المتقدمون منهم والمتأخرون ، لم يعرفوا هذا الاستعمال ، فضلاً عن أن المعجمات العربية الأصلية لم يرد فيها هذا المعنى الحديث لمفردة (اللهجة) ، فهو معنى مولّد شاع في المؤلفات الحديثة ، ثم استقرّ استعماله واستحكم .

وما نسميه الآن (لهجة) ، يدخل ضمن حدّ (اللغة) ، لأنّ اللهجة مهمما اختلفت عن اللغة الأم في بعض من المفردات والتركيب والأساليب ، لا تعدو أن تكون ألفاظاً بسيطة ومركبة ، وأصل هذه الألفاظ اصوات متألّفة وضعت ليعبر بها الإنسان عن أغراضه ، وهذا هو مفهوم اللغة وحدّها .

فاللغة - أعني أي لغة - لا تخرج عن كونها أصواتاً ، واختلاف اللغات في عامته منحصر في طرق تأليف المفردات من هذه الأصوات ، وفي اختلاف أساليب تركيب هذه المفردات في الكلام ففي العربية مثلاً يصح تقديم الاسم على الفعل المبني عليه ، كما يصح تقديم الفعل على الاسم فيجوز أن نبدأ الكلام بالاسم ، فنقول مثلاً : الرجل ذهب ، ويجوز أيضاً أن نبدأ بالفعل ، فنقول : ذهب الرجل ، أما في الانكليزية ، فيجب تقديم الاسم على الفعل ، فلا يصح الآن يقال : « The man Went »

فاختلاف اللغات اذن ، غير قائم في غالب الأمر على اختلاف المادة الصوتية التي تتألف منها المفردات اللغوية في اللغات الإنسانية المختلفة ، وذلك لأنّ جلّ هذه الأصوات مشترك بينها . فلو انعمنا النظر في المادة الصوتية التي تتألف منها مفردات اللغات الإنسانية ، لوجدنا هذه المفردات مؤلفة من أصوات متشابهة في غالب الأمر والاختلاف بينها في هذا الأمر

يسير ، فقد توجد أصوات في لغة ، وهي غير موجودة في لغة أخرى ، ولتأخذ مثلاً على ذلك العربية والانكليزية ، فجعل أصوات أبجديتهما مشترك مثل : السين والباء والتاء والنون واللام والكاف والميم والراء والهمزة والألف والواو والياء وغير ذلك من الأصوات وما فيهما من اختلاف فهو يسير ، فمثلاً : الخاء ، والحاء ، والقاف ، والعين ، غير موجودة في الإنكليزية ، وهي موجودة في العربية . ويقابل هذا وجود مثل هذه الأصوات (P. V. ch) في الانكليزية ، وانتفاؤها من العربية الفصحى وهذا الاختلاف وقع جزئياً ، ولا علاقة له بطبيعة جهاز النطق في أصل التركيب الخلقي ، عند كل من الفريقين ، لأن كلاً من الناطقين بالعربية أو الانكليزية أصالة ، يستطيع بالتدريب والمران أن يلفظ الأصوات غير المستعملة في لغته لأن أجزاء آلة النطق عند جميع الخلق واحدة ، فضلاً عن أن العمليات الذهنية والعضوية المرتبطة بإصدار الأصوات اللغوية تجري على نمط متشابه عندهم أيضاً . فالإنسان قادر على أن يلفظ أي صوت غير وارد في أصوات لغته الأصلية ، لما أعطي من قدرة على محاكاة الذين يختلط بهم ، ولا سيما إذا ما طالت مدة الاختلاط وقد تنبه إلى شيء من هذا (الجاحظ) ، فقال : (إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان (اليَمَن) مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً ، كذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والسندي والأجاش ، وغير ذلك ، نعم ، حتى نجده أطبع منهم) (٣٦) ثم قال : « وإنما تهيأ وأمكن الحاكية لجميع مخارج الامم ، لما أعطي الإنسان من الاستطاعة والتمكين ، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبطول استعمال التكلف ، ذلت جوارحه لذلك » (٣٧) .

ولكن الإنسان - كما يقول - (متى ترك شئانه على حاله ، ولسانه على سجيته ، كان مقصوراً بعبادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه ، .. ألا ترى

أن السّندي إذا جلب كبيراً ، فانه لا يستطيع الا أن يجعل الجيم زايّاً ، ولو أقام في عليا تميم وفي سقلى قبّس ، وبين عَجْزُ هَوَازِن ، خمسين عاماً . وكذلك النبطي القُحْخُخُ خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لأن النبطي القُحْخُخُ يجعل الزاي سيناً ، فإذا أراد أن يقول : زورق ، قال : : سوزق ، ويجعل العين همزة ، فإذا أراد أن يقول ، مشمعل ، قال : مشمئل . والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية ، وأهلها يزعمون أنها مولدة ، بأن تقول : « ناعمة » (٣٨) ، لأنها إذا كانت رومية ستقول : « نائمة » ، اذ لا تستطيع أن تلفظ العين ، فتقلبها همزة .

والامم يتأثر بعضها ببعض ، ويسرى الى أي أمة شيء مما عند الأمم الأخرى التي تختلط بها ، ومن هنا وجدنا قسماً من الاصوات الشائعة في غير العربية ، قد انتقلت الى العرب منذ زمن بعيد ، بسبب الجوار أو الاحتكاك ، فقد ذكر سيويه أن هناك أصواتاً غير مستحسنة ربما نطق بها قسم من العرب ، مثل : الجيم التي كالشين ، والباء التي كالفاء ، والكاف التي بين الجيم والكاف (٣٩) ، وهذه الأصوات شائعة بين كثير من لغات الأمم الأعجمية التي اختلط العرب بها قبل الإسلام وبعده ، ومن ثمّ انتقلت الى لسان قسم من العرب ، ولا سيما العامة منهم ، أما خاصة العرب ، فقد نفروا هذه الأصوات من لغتهم . ومن هنا جاء وصف سيويه لها بأنها « رديئة » ، وغير مستحسنة ، ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ، ولا في الشعر » (٤٠) .

(٣٨) المصدر نفسه ٧٠/١ - ٧١ .

(٣٩) الكتاب ٤٠٤/٢ .

(٤٠) الكتاب ٤٠٤/٢ .

وقد حذا ابن جنيّ حذو سيّويه ، فتحدث عن هذه الأصوات ، ووصفها بأنها مستتبحة ، وأنها لا توجد إلا في لغة ضعيفة مرفولة ، غير متقبلة (٤١) . وقد نص كل منهما على أن هذه الأصوات لا تعرف إلا بالسمع والمشاهدة (٤٢) ، وذلك لأنها ليست من الأصوات التي تواضع العرب على أن يضعوها رموزاً كتابية ، على حد الرموز التي وضعوها لأصواتهم ، التي نقلوا بها كلامهم ، من ألفاظ منظومة إلى أوضاع مرسومة ، على وفق أسلوب خاص بهم ، يفرق خطهم من خطوط غيرهم من الأمم .

وقد توصل الإنسان منذ أمد بعيد إلى نقل الأصوات اللغوية من أصوات منظومة إلى رموز مرئية ومقروءة ، فوضعت كل أمة رموزاً كتابياً لكل صوت من أصواتها اللغوية ، وكان لهذا الأمر أكبر الأثر في نمو الحضارات الانسانية ، وحفظها ، ونقلها من أمة إلى أمة ، فكان القلم الذي هو رمز الكتابة من أعظم نعم الله على البشر . ومن هنا جاء تمجيده في القرآن الكريم ، فأقسم الله تعالى به ، فقال : (ن . والقلّمْ وما يسطّرون) (٤٤) ، وكانت القراءة التي هي ثمرة القلم من منن الله العظيمة التي أنعم بها على الإنسان . ومن هنا كان أول ما نزل من القرآن على نبيّنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم) (٤٥) .

لقد أصبحت الكتابة سمة من سمات الإنسان ، التي تميّزه عن غيره من أجناس الكائنات التي تشاركه في طبيعته الحيوانية ، فصارت رديفة النطق

(٤١) سر صناعة الاعراب ٥١/١ .

(٤٢) الكتاب ٤٠٤/٢ ، سر صناعة الاعراب ٥١/١ .

(٤٣) الحيوان ٤٧/١ - ٤٨ ، كتاب الحروف ١٤٤ .

(٤٤) القلم ١ ، وانظر الحيوان ٤٨/١ .

(٤٥) العلق ١ - ٤ .

فيما يميّز الإنسان من غيره من الحيوانات ، إلا أن الكتابة قائمة على التطبيع ، أما النطق فهو جزء من طبيعة الإنسان الذاتية ، فكل إنسان فاطق بأصل خلقته التي تضم جهاز النطق المهيأ لإصدار الأصوات بصورة ارادية وغير ارادية ، ويقصد أو بغير قصد ، كالأصوات الصادرة عن الناس في حالات ردّ الفعل عند الفرع والخوف ، فعالباً ما تكون هذه الأصوات غير إرادية ، بخلاف الكلام ، فهو قائم على القصد والإرادة ، في جلّ الأمر وعامته .

وقد أسهم تدوين اللغة في حفظها واستقرارها ونقلها من طبقة الى طبقة ، ومن أمة الى أمة ، ومن مكان الى مكان آخر (٤٦) ، ولاسيما اذا ما ارتبطت اللغة بنصّ ديني ، وكان هذا الارتباط قائماً على البيان اللغوي الذي اتسم به ذلك النص (٤٧) ، ومن هنا كان لارتباط العربية بالقرآن الكريم أكبر الأثر في حفظها واستقرارها وانتشارها .

واختلاف الرموز الكتابية بين الأمم المختلفة ، لا علاقة له باختلاف الأصوات اللغوية . فالأصوات غالباً ما تكون متشابهة عند الأمم المختلفة ، وما وقع من اختلاف بينها في الرموز الدالة على الأصوات ، أمر قائم على اصطلاح وقع ، أو تواضع اتفق عليه عند أهل كل لغة (٤٨) ، في مرحلة من مراحل التطور الحضاري الذي مرّ به الناطقون باللغة . ومن المحال أن يتصور أن العقل قد اقتضى أن يختص كل صوت من أصوات اللغة بصورة معينة من صور الخط الذي جعلت أشكاله أمارات لأجراس الأصوات المنطوقة (٤٩) .

واذا كانت الالفاظ دالة على المعاني عن طريق النطق ، فإن الخط يدلّ على المعاني بتصوير تلك الالفاظ على هيئة رسوم . وقد مكنت هذه الرسوم

-
- (٤٦) كتاب الحروف ١٤٤ .
 - (٤٧) الطراز للعلوي ٣٣/١ .
 - (٤٨) الحيوان ٦٨/١ ، ٧١ .
 - (٤٩) اسرار البلاغة ٣٧٧ - ٣٧٨ .

الإنسان ، الذي لم يتهيأ له سماع الألفاظ ، من أن يفهمها ويدرك معانيها .

فالخط. إذن هو أحد الدوال (٥٠) ، لأنه يقيم صور الألفاظ التي تطلق بها الإنسان ، أو خطرت في ذهنه ، أو طرقت سمعه .

لقد ارتبط الخط بالأصوات اللغوية ارتباط الدال بالمدلول ، اذ جعل لكل صوت رمز اختص به اختصاص الألفاظ بالمعاني الموضوعية لها . وهذا الاختصاص قائم على الإعتباط والمجازفة في كل من وضع الخط واللفظ ، إذ لا سبيل الى معرفة الحكمة من وضع رمز ما من رموز الخط ، دالاً على ما دل عليه من صوت اختص به دون سائر الأصوات اللغوية ، كما لا سبيل الى معرفة الحكمة من وضع أصول الألفاظ بإزاء المعاني الدالة عليها .

فالخط إذن هو أداة من أدوات التعبير اللغوي ، وهو قسيم اللفظ في ذلك ، بل ربما كان إسهام الخط في هذا الباب أعظم من إسهام اللفظ ، لأنه أقدر منه على نقل أغراض الإنسان وأفكاره خلال الأزمنة والامكنة المتباعدة (٥١) ، ولا سيما قبل أن يتوصل الإنسان الى اكتشاف وسائل حديثة تسهم في نقل الأصوات من مكان الى مكان آخر ، وذلك يثبثها عن طريق الهواء ، أو تسجيلها على رقائق خاصة .

وكان لتوصل الإنسان الى نقل اللغة من أصوات متطوقة الى رموز كتابية مقروءة ، أكبر الأثر في رقيته وتقدمه ؛ لأن ذلك مكّنه من أن ينتفع بكل تجارب الجنس البشري ، التي جاءتنا محفوظة على شكل مخطوطات أو نقوش ، دونها يراخ الإنسان منذ أقدم العصور الى عصرنا هذا .

واختلاف الرموز الكتابية لأصوات اللغات المتباينة ، لا يعدّ نتيجة لازمة

(٥٠) البيان والتبيين ١/ ٧٦ .

(٥١) كتاب الحروف ١٤٤ .

لما وقع بين هذه اللغات من اختلاف في الألفاظ والتراكيب ؛ لأن اختصاص
خط ما بلغة ما لم يقع بسبب منطقي حتم أن تختص أي لغة بالخط الذي
تواضع أهلها عليه ، لأن أي لغة يمكن أن تدون بأي نمط من أنماط الرموز
الكتابية المتداولة بين الأمم . ومما يؤكد هذا ، أننا مازلنا نرى لغات كثيرة ،
قد استعارت رموزاً كتابية من لغات أخرى تختلف عنها في مفرداتها
وتراكيبها ، ول هذه الاستعارة مسوغات ، وبأي الدين والتفوق الحضاري في
مقدمة تلك المسوغات . ولعلّ خير مثال على ذلك انتشار الخط العربي بين
كثير من الأمم الإسلامية في الماضي والحاضر .

وإذا كانت اللغة — أي لغة كانت — إنما هي مفردات وتراكيب ، فإن
المادة الأصلية لهذه المفردات والتراكيب هي الأصوات اللغوية ؛ لأن الكلام الذي
هو الجزء المتعارف من اللغة بين الناس ، إنما هو أصوات متقطعة أو مترابطة ،
ينظمها الإنسان للدلالة على ما يختلج في ذهنه من المعاني ، التي يريد أن يعبر
عنها في محاورته من يشاركه في الخطاب .

فالصوت — كما يقول الجاحظ « هو آلة النطق ، والجوهر الذي يقوم به
التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً
موزوناً ولا منشوراً ، إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا
بالتقطيع والتأليف » (٥٢) .

فآلة التخاطب إذن ، هي الأصوات اللغوية ، واختيار هذه الأصوات ،
لتكون آلة التفاهم بين الناس ، أمر قائم على حكمة بالغة . وقد عبر الرئيس
ابن سينا عن هذه الحكمة فقال : « لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة الى
المحاوراة لاضطرارها الى المشاركة والمحاوراة ، انبعثت الى اختراع شيء
يتوصل به الى ذلك ... ولم يكن أخف من أن يكون فعلاً ، ولم يكن أخف

من أن يكون بالنصويت ، وخصوصاً والصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم ، فتكون فيه مع خفته فائدة وجود الإعلام به ، مع فائدة انحنائه .. فمالت الطبيعة الى استعمال الصوت ، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ، ليدل بها على ما في النفس من أثر « (٥٣) » .

فاللغة اذن ، هي أصوات مقطعة ، والصوت - كما يقول ابن منظور - جَرَس (٥٤) . وهو « عَرَضَ يَخْرُجُ مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الخلق والشم والشفيتين مقاطع ثنيه عن امتداده واستطالته » (٥٥) ، و « تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها » (٥٦) .

فالصوت المذكور في حدّ اللغة ، هو الصوت المعتمد على أحد مخارج النطق ، لأنه مرتبط بالتعبير عن الأغراض الإنسانية ، فلا يدخل ضمنه كل صوت ، لأن الصوت جنس يشمل صوت الإنسان وغير الإنسان (٥٧) ، كصوت الحيوان والأصوات المنبثقة عن الطبيعة . وقد يكون الصوت صادراً عن الإنسان نفسه ، أو يكون أثراً من آثاره ، ولكنه لا يدخل ضمن مفهوم اللغة ، مثل قسم من الأصوات الصادرة عن الإنسان عند الراحة أو الألم (٥٨) أو الحزن أو الفرح . فالصراخ والعويل والبكاء والضحك والأنين ، أصوات لها مدلولات عرقية ، يفهمها الإنسان عند سماعها ، ولكنها لا تُعَدُّ جزءاً من اللغة . وكذلك الأصوات التي يحدثها الإنسان أو غيره من الموجودات أو المؤثرات الطبيعية . فالطرق على الباب صوت وله مدلول ، ولكنه لا يدخل

(٥٣) الشفاء - المنطق - العبارة ٢ .

(٥٤) اللسان (صوت) .

(٥٥) سر صناعة الاعراب ٦/١ .

(٥٦) المصدر نفسه .

(٥٧) اللسان (صوت) .

(٥٨) التفسير الكبير ١٨/١ .

ضمن مذاول اللغة الحقيقي ، ومثل ذلك سهيل الخيل وحفيف الشجر وصرير القلم ، وغيرها من الأصوات المسموعة المنبعثة من الطبيعة الحية او الجامدة ، المحيطة بالإنسان والمكتنفة حياته ، فكل هذه الأصوات لا تُعَدُّ جزءاً من مفهوم اللغة ، وان شاركت اللغة في كونها أصواتاً دالة على معانٍ ، يتركها الإنسان عند سماعه اياها .

والدوال في الوجود ، كثيرة ، وهي لا تنحصر بالأصوات أصلاً ، فقد تكون إشارات أو علامات منصوبة ، أو رموزاً مخطوطة ، أو صوراً مرسومة (٥٨ أ) ، وقد تكون تغيرات تطرأ على الإنسان في لونه أو شكله ، فتدل على حالة من أحواله النفسية او الجسدية ، ولكنها لا تُعَدُّ في أي حال من الأحوال من الدلالات اللغوية ؛ لأن دلالتها طبيعية ، وليست دلالة وضعية (٥٩) ، والمعتبر هنا هو الدلالة الوضعية (٦٠) . فاللغة اذن تنحصر في الأصوات الصادرة عن جهاز النطق ، والموضوعة بإزاء معانٍ مفردة او مركبة ، تتواطأ عليها الناطقون بها طبقة بعد طبقة ، فلا يدخل ضمن مفهوم اللغة كل صوت صادر عن الإنسان ، ناهيك عن الأصوات الصادرة عن غير الإنسان ، كالأصوات المنبعثة عن الظواهر الطبيعية أو الحيوانات .

وربما يكون للصوت مدلول عرفي ارتبط بذهن الانسان ، ولكنه لا يدخل ضمن مفهوم الأصوات اللغوية ، كصوت جرس المدرسة ، أو صوت مدقع الإفطار ، أو الأصوات المنبعثة من آلات التنبيه المنذرة بالخطر ، كهذه الأصوات ، لها مدلولات مرتبطة بالذهن مثل ارتباط الألفاظ اللغوية بمدلولاتها ، الا أنها لا تُعَدُّ جزءاً من اللغة في مفهومها الاصطلاحي ، وذلك لأن أصل اللغة ألفاظ موضوعة بازاء معانٍ ، وهذه الألفاظ التي تقوم عليها اللغة عبارة

(٥٨) المفني لابن فلاح م ٢٢/٢ .

(٥٩) التفسير الكبير ١٨/١ .

(٦٠) المفني لابن فلاح اليميني م ٢٣/٢ - ٢٤ .

عن أصوات مؤتلفة فيما بينها ، مشكلة وحدة صوتية متصلة زمنياً ، وموضوعة بازاء معنى معين (٦١) تواضع عليه أهل اللغة .

فمادة اللغة اذن قائمة على الأصوات ، ولكن ليس كل صوت لفظاً لغوياً دالاً على جزئية من جزئيات اللغة (٦٢) ، وإن دل على معنى من المعاني المتعارف عليها عند مختلف الأقوام .

والأصوات اللغوية وغير اللغوية ، محدثة ، فلا بد لها من سبب ، أحدثها . ويعزو الرئيس ابن سينا سبب حدوث الأصوات الى « تموج الهواء دفعة وبقرة وبسرعة من أي سبب كان » (٦٣) . ولهذا التموج علتان ، هما : القرع والقلع ، والقرع هو « تقريب جرم ما الى جرم مقاوم لمزاحمته تقريباً ، تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها » (٦٤) . والقلع هو « تبعيد جرم ما عن جرم آخر ، مماس له منطبق أحدهما على الآخر ، تبعيداً يتقلع عن مماسه انقلاعاً عنيفاً ، لسرعة حركة التباعد » (٦٥) ، وهذا القلع - كما يقول ابن سينا ايضاً - يتبعه صوت من غير أن يكون هنا قرع (٦٦)

وابن سينا في حديثه هنا عن أسباب حدوث الأصوات ، لا يعني بذلك الأصوات اللغوية وحدها ، بل يعني جميع الأصوات ، لغوية وغير لغوية . ولو لم يكن قصده ذلك ، لما ذكر (القلع) ؛ لانه لا علاقة له بالأصوات اللغوية ، فسببها منحصر بالقرع فقط ، ومن هنا وجدنا الفارابي المتوفي سنة (٣٣٩ هـ) ، وهو اسبق من ابن سينا ، لا يذكر القلع في حديثه عن أسباب حدوث أصوات اللغة ، بل يكتفي بذكر القرع وحده (٦٧) .

والأصوات التي تعيننا في مجال اللغة ، هي الأصوات التي تألف منها

(٦١) المصدر نفسه م ٢٢/٢ .

(٦٢) أسباب حدوث الحروف ٨ .

(٦٣) المصدر نفسه .

(٦٤) كتاب الحروف ١٣٦ .

(٦٥) المصدر نفسه .

(٦٦) المصدر نفسه .

مفردات الكلام : لأن الكلام إنما هو وحدات مستقلة مؤلفة فيما بينها ، وكل وحدة من هذه الوحدات دالة على معنى مرتسم في الذهن ، اقترنت به اقتران أي دالّ ببدلوله ، وهذه الوحدات مؤلفة من أصوات تنطلق من جهاز النطق على وفق الإيعازات التي يصدرها الذهن بسرعة تنسجم مع الرغبة في طريقة التعبير ، وبكيفية تتلاءم والغرض الذي يريد الناطق أن يعبر عنه .

ولما كانت الأصوات اللغوية تخرج من الفم ، وكأنها قد رميت منه رمياً ، أطلق على هذه الأصوات مصطلح (الألفاظ) (٦٨) . قال ابن فلاح اليماني : « وأنما سميت الحروف ألفاظاً ، لأنها تحدث بسبب رمي النفس الممدود من قبل الطبيعة للهواء الجاري من الرئة ، المعتمد على أجزاء الفم واللهوات وقصة الرئة ، إذ اللفظ في اللغة عبارة عن الرمي » (٦٩) .

فتسمية الأصوات اللغوية ألفاظاً ، أمر مرتبط بالعملية التي تجري للنفس في جهاز النطق ، والتي تؤدي إلى رميه خارج الفم ، على شكل موجات صوتية ، يلتقطها جهاز السمع ، ومن ثم يقوم الذهن بتفسيرها على وفق ما استقر فيه من اقتران ذلك اللفظ بما دلّ عليه من معنى .

والأصوات اعني كل الأصوات من المسموعات ، فهي ماهية محسوسة ملموسة (٧٠) ، ومنفذها إلى مركز الإدراك هو السمع ، فهو كما يقول ابن خلدون ، (أبو الملكات اللسانية) (٧١) ، وعليه الاعتماد في إدراك الأصوات اللغوية وغيرها ، وكلما اعتاد الإنسان سماع الأصوات ، قويت قدرته على التلطف بها ومن هنا وجدنا تعلم اللغات قد ارتبط بالسماع أشد ارتباطاً ، لأنه هو السيل القويم الذي يسرّ للانسان إتقان اللغة ، ويمكنه من

(٦٨) المعني لابن فلاح ٢ / ١٤ .

(٧١) المقدمة ٥٤٦ .

(٦٨) اللسان (لفظ) .

(٧٠) التفسير الكبير ٢٩ / ١ .

التحدث بها ، ولا سيما اذا كان ذلك السماع في مرحلة مبكرة من مراحل عمره .

والانسان قد يستطيع أن يتعلم لغة من اللغات عن طريق القراءة والمقابلة بين الفاظ لغته ، وألفاظ اللغة التي يريد أن يتعلمها ، ولكنه لا يمكن أن ينطق ألفاظ اللغة الجديدة النطق الصحيح ما لم يسمعها ممن يجيد التحدث بها لأن الخط لا يستطيع دائما أن يصور الألفاظ التصوير الدقيق (٧٢) ، فضلاً عن أن هناك أصواتاً في لغة ما ليست موجودة في لغة أخرى ، فكيف يتسنى للانسان معرفة نطق أصوات غير موجودة في لغته ، ما لم يسمعها من الناطقين بها ، او ممن اخذهم عنهم ، فمثلاً الصوت المرموز له بـ (ch) في الإنكليزية ، لا يوجد صوت يقابله في العربية ، فاذا جاء هذا الصوت في كلمة فهل يستطيع العربي أن ينطق هذا اللفظ ، ما لم يكن قد سمعه ممن يعرف نطقه ؟ وينطبق هذا الأمر على غير العربي ، ممن لا وجود في لغته لكثير من الأصوات العربية ، كالضاد ، والطاء ، والقاف ، والخاء ، والطاء ، كيف يستطيع أن ينطق هذه الأصوات النطق الصحيح ما لم يكن قد سمعها من أهلها ، أو من ذوي الخبرة والدرابة بطرق نطقها ؟ .

والإنسان يمتلك قدرة عظيمة على محاكاة الاصوات مهما كان نوعها لأن الله وهب له آلات نطق قادرة على صياغة أصوات متباينة ومتنوعة ، بسبب تباين مخارج النطق عنده ، وتنوعها ، بخلاف غيره من الحيوانات التي غالباً ما تكون أصواتها رتيبة ومحدودة وغير معتمدة على مخارج أو مقاطع كثيرة (٤) ، وإن جاءت أصواتها مختلفة باختلاف نوع الحيوان ، فعواء الذئب غير زئير الأسد ، ونباح الكلب غير مؤاء القط ، وصهيل الفرس غير نهيق الحمام .

(٧٢) البيان والتبيين ٣٤/١ .

(٧٣) الحيوان ٢١٣/١ .

(٧٤) المغني لابن قلاص ١١/٢ .

ومخارج الصوت عند الحيوان محدودة ، ولهذا جاءت أصواته محدودة أيضاً ، وتنوعها لا يرقى في أي حال من الأحوال الى تنوع أصوات الإنسان ، والمنصت الى أي حيوان وهو يصوت قد لا يسمع أكثر من نططين ، أو ثلاثة انماط من الأصوات تتردد منه ، مشكلة مقاطع متشابهة ، تتكرر « برتابة » متصلة ، وهي لا تخلو في غالب الأمر من أصوات تشبه أصوات المد : الألف ، والياء ، والواو .

وأصوات أفراد أي نوع من أنواع الحيوان لا تختلف باختلاف البيئات ، أو الأصقاع التي يعيش فيها ذلك الحيوان ، فعواء الذئب هو هو في أي مكان من الدنيا وكذلك مواء القط ، أو نباح الكلب أو صهيل الخيل ، هذا حكم عام يخضع له الحيوان بأنواعه المختلفة ، وليس من السهل التمييز بين صوت حيوان وصوت حيوان آخر من نوعه ، أما صوت الإنسان ، فيختلف من فرد إلى فرد آخر ، فلكل إنسان نغمة صوتية تميزه من صوت الآخرين وليس من الصعب علينا أن نميز صوت أي إنسان من بين أصوات الآخرين اذا ما سبق لنا أن ألفنا صوته ، ومن هنا صرنا قادرين أن نعرف الأشخاص عند سماع أصواتهم ، وإن كانوا في منأى عنا ومعزّل عن اعيننا ومشاهدتنا .

وهناك عوامل كثيرة تتصل بهذا التمايز (٧٥) ، مثل الجنس والمهنة والبيئة والثقافة ، فصوت الرجل يختلف عن صوت المرأة وصوت البدوي أو الريفي يختلف عن صوت الحضري . وهناك عوامل خلقية ، تؤثر أيضاً في اختلاف الأصوات بين أفراد الجنس البشري . فقد يخضع اثنان لبيئة معيشية وثقافية واحدة ، الا أننا نجد اختلافاً ظاهراً بينهما في نبرات الصوت ونغماته ، فقد نرى — مثلاً — توأمين متشابهين تماماً ، ولا نفرق بينهما الا بنبرات الصوت ونغماته .

(٧٥) انظر علم اللفه للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٨ .

وكما كان لكل فرد من أفراد البشر في وجه عام نغمة صوتية تميزه من غيره ، كان أيضاً لكل قوم نغمة تميزهم من غيرهم من الأقوام ، وهذا التمايز لا يقتصر على الذين يتكلمون لغات مختلفة ، بل يشمل كذلك أولئك الذين يتكلمون لغة واحدة (٧٦) . فالعرب مثلاً أمة واحدة ويجمعهم لسان واحد ، إلا أن لكل شعب منهم لحنًا خاصاً ، يتضح من حديث ابنائه ، ويجرى على أنسنة عامتهم وخاصتهم ، فللعراقي لحن يختلف عن لحن المصري ، وكل منهما يختلف في لحنه عن لحن أبناء الشام ، أو أبناء المغرب العربي ، بل نجد هذا الاختلاف بيناً عند أبناء الشعب الواحد ، الخاضعين لأساليب حيوية متقاربة ، والتأثرين بعوامل ثقافية موحدة فلكل صقع أو إقليم لحن خاص ينفرد به أبناؤه ، بل ربما كان اختلاف اللحن مشاهداً بين أبناء المدن المتقاربة ، التي لا تفصل بينها الامساكات قليلة ، وقد تدعو الفروق الاجتماعية أو الثقافية أو الانحدار الطبقي أو القبلي أو الإقليمي إلى اختلاف اللحن والنغمة بين أبناء المدينة الواحدة .

والنغمة الصوتية التي يتطبع عليها الإنسان تبقى عالقة به ومهيمنة على لسانه ، فإن تكلم لغة غير لغته شاب كلامه شيء من لحنه الذي درج عليه وليس من الصعب علينا أن نميز - مثلاً - غير العربي إذا تكلم العربية من العربي النح ، وإن تفاصح بها ، وحاكي أهلها في طرائق كلامهم وحذا حلوهم في إخراج أصواتهم ، وصاغ حديثه على وفق قواعدهم وأساليبهم ، ونزه لسانه من لحن القول وخطئه ، إذ تبقى في حديثه نغمة بعيدة عن العربية ، تشير إلى لسانه الأصلي الذي كان يتكلم به (٧٦) .

والإنسان قد يستطيع أن يكتب ما يشاء بلغة هي غير لغته ، ويكون مجيداً في ذلك أيما إجادة ، ولكنه إذا تحدث بتلك اللغة صعب عليه ذلك ، وشأن لسانه شيء من لغته التي نشأ عليها ، وقديماً قيل عن سيويو ، إن قلمه أبلغ من لسانه ، وأنه مات وفي لسانه لكُتْنَة من أثر العجبة ، ولكنه ترك لنا كتاباً عظيماً ضم قوانين العربية وأصولها الكلية والجزئية ، وكان كتابه هذا مثار الإعجاب والإكبار من لدن القدماء والمحدثين ، وقد وصفه اسلافنا بأنه قرآن النحو (٧٧) .

فاللغة اذن أصوات منطوقة قبل أن تكون خطوطاً مكتوبة ، وهذه الأصوات تعتمد على مخارج مختلفة ينقطع عندها النفس ، فيطلق عند ذلك الصوت ، وباختلاف المخارج تختلف الأصوات (٧٨) ، وقد تنفق مجموعة من الأصوات بمخرج عام واحد ، إلا أنها تختلف من حيث الصفة (٧٩) ، وهذا الاختلاف في الصفة هو الذي جعل الأصوات من حيث الكمية العددية تزيد على مخارج النطق عند الإنسان .

وقد استقرى علماء اللغة مخارج الأصوات العربية ، فذهب جمهورهم إلى أنها ستة عشر مخرجاً (٨٠) ، ابتداءً من الحلق وانتهاءً بالشفيتين ، وتشترك الخياشيم في مخرج التون والميم الساكتين ، لما فيهما من غَمَّة (٨١) ، وإن كان الأصل في مخرجهما أن التون من طرف اللسان بينه وبين ما فوقه الشايب ، ومخرج الميم من بين الشفتين (٨٢) .

- (٧٧) مراتب النحويين واللغويين ٨٨ ، انباه الرواة على انباه النحاة ٣٤٩/٢ ، معجم الادباء ٨٢/٦ ، وفيات الاعيان ٤٦٣/٣ .
 (٧٨) الكتاب ٤٠٥/٢ .
 (٧٩) الكتاب ٤٠٥/٢ ، سر صناعة الاعراب ٥٢/١ .
 (٨٠) الكتاب ٤٠٥/٢ .
 (٨١) الكتاب ٤٠٥/٢ ، سر صناعة الاعراب ٥٢/١ .
 (٨٢) الكتاب ٤٠٥/٢ ، سر صناعة الاعراب ٥٢/١ .

وتتم معرفة مخرج الصوت بأن ينطق به ساكناً مسبوقاً بهمزة الوصل .
وأول من نص على هذه الطريقة في اعتبار مخارج الاصوات ، هو الخليل
ابن أحمد الفراهيدي (٨٣) . وقد عقد ابن جني مبحثاً يتصل بنبوء
أصوات الحروف ، اعتمد فيه على ما أورده الخليل في معرفة النطق بالصوت
على حقيقته ، حيث قال : « وسيلك اذا أردت اعتبار صدى الحرف أن
تأتي به ساكناً لامتحرراً : لأن الحركة تعلق الحرف عن موضعه . .
ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ، لأن الساكن لا يمكن
الابتداء به (٨٤) .

وقد أمكن حصر الأصوات العربية ، فكانت تسعة وعشرين صوتاً (٨٥) ،
وقد جعل بلذاء كل صوت من هذه الأصوات حرف من حروف الهجاء
العربي (٨٦) . ومن هنا كانت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفاً ، تمثل
الألفبائية العربية ، الا أن أبا العباس المبرد المتوفى سنة (٢٨٥ هـ) عدها
ثمانية وعشرين حرفاً (٨٧) ، اذ أسقط الهمزة ، فلم يعدها حرفاً مستقلاً . ،
بل جعلها مع الألف حرفاً واحداً ، وقد عوك في ذلك على أن الهمزة صورتها
غير مستقرة ، فهي لا تثبت على صورة واحدة ، وفاته أن الأصل هو اللفظ
لا الرسم والخط . قال ابن جني : (فأما إخراج أبي العباس الهمزة من
جملة الحروف ، واحتجاجة في ذلك أنها لا تثبت صورتها ، فليس بشيء ،
وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها ، لما كانت
في اللفظ الذي هو قبل الخط ، والهمزة أيضاً موجودة في اللفظ (٨٨)
مثلها في ذلك مثل سائر الحروف العربية التي تأتلف منها مفردات الكلام .

(٨٣) الكتاب ٦١/٢ - ٦٢ . (٨٤) سر صناعة الاعراب ٧/١ .

(٨٥) الكتاب ٤٠٤/٢ ، سر صناعة الاعراب ٤٦/١ .

(٨٦) كتاب الحروف ١٣٧ .

(٨٧) سر صناعة الاعراب ٤٦/١ . (٨٨) سر صناعة الاعراب ٤٨/١ .

وعلماء العربية يعبرون عن الاصوات بالحروف . وهذا شائع في عباراتهم ، يستوى في ذلك قدامؤهم ومتأخروهم (٨٩) . وقد جعلوا لكل حرف من حروف هجائهم اسماً ، مبدوءاً بالصوت الذي يعبر عنه بذلك الحرف (٩٠) . مثل ، الصاد ، والسين ، والميم ، والدال ، والعين ، والقاف ، ولم يخرجوا عن هذا السبيل الا في تسمية صوتين هما : الهمزة والألف . وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تسمية اكثر العلماء الهمزة ألفاً ، ولا سيما قدامؤهم (٩١) ، تكون تسميتهم هذه قد ابتدأت بالصوت الذي يدلّ عليه هذا الحرف (٩٢) . ويبقى الألف وحده ، لا يرتبط بالصوت الذي يرمز له . ولعل سبب ذلك هو أن هذا الصوت لا يمكن أن يانطق به في ابتداء الكلام (٩٣) ، بخلاف جميع الاصوات الأخرى ، ولهذا لما ارادوا أن يلفظوا صوته ، ضمن أصوات هجائهم ، جعلوا قبله صوت اللام ، ورسومه في خطهم متصلاً به ، على نحو ما يأتي ، (لا) (٩٤) ، وما زال صوت معلمي الكتاتيب يرنّ في آذاننا ، وهم يرددون حروف الهجاء لطلبتهم ، فإذا ما وصلوا الى هذا الحرف قالوا ، (لام ألف لا) ، ويبدو أن هذه الطريقة في لفظ الألف قديمة ، قدّم تعلم الهجاء العربي (٩٥) .

وهناك علماء فرقوا بين الصوت والحرف ، منهم ابن جني ، فقد عقد لذلك مبحثاً في « سر صناعة الاعراب » ، سمّاه : « فرق ما بين الصوت

-
- (٨٩) الكتاب ٢/٤٠٤ ، ٤٠٥ ، الموجز في النحو ١٦٦ ، ١٦٧ ، شرح مختصر التصريف العزّي ٩٦ ، ٩٧ .
 (٩٠) سر صناعة الاعراب ١/٤٧ .
 (٩١) الكتاب ٢/٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ١٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
 (٩٢) سر صناعة الاعراب ١/٤٧ .
 (٩٣) المصدر نفسه ١/٤٨ .
 (٩٤) المصدر نفسه ١/٤٩ .
 (٩٥) المصدر نفسه ١/٤٨ .

والحرف « (٩٦) » ذكر فيه : « أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً ، حتى يعرض له في الحلق والقم والشفتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته » (٩٧) فيسمى الصوت اينما عرض له المقطع حرفاً ، « وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ، وإذا تفتلت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ، ألا ترى أنك تبتدىء الصوت من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرساً ما ، فان انتقلت عنه راجعاً منه ، أو متجاوزاً له ، ثم قطعت ، احسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول ، وذلك نحو : الكاف ، فانك اذا قطعت بها سمعت هنا صدى ماً ، فان رجعت الى القاف سمعت غيره ، وإن جزت الى الجيم سمعت غير ذلك الأولين » (٩٨) .

والناظر في كلام ابن سينا في « اسباب حدوث الحروف » يجده أيضاً يفرق بين الحرف والصوت ، فالحرف عنده هو ، « هيئة للصوت عارضة له ، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع » (٩٩) ، والذي يفعل الحرف عنده ، هو « حال التموج من جهة الهيمات التي يستفيلها من المخارج والمحابس في مسلكه - أي : مسلك التموج - » (١٠٠) أما الصوت فهو عنده « كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع » (١٠١) ، والقارع هو ، النفس الخارج على هيئة تموج (١٠٢) ، والمقروع هو المقطع أو المحبس الذي الذي ينتهي عنده النفس ، فيحدث للصوت الخاص التمييز بصفاته من سائر أصوات النطق الأخرى ، والذي يفعل الصوت ، هو نفس التموج « (١٠٣) . وهذا التفريق

(٩٦) المصدر نفسه ٦/١ . (٩٧) المصدر نفسه .

(٩٨) سر صناعة الاعراب ٦/١ . (٩٩) اسباب حدوث الحروف ١٠ .

(١٠٠) المصدر نفسه . (١٠١) التفسير الكبير ٢٩/١ .

(١٠٢) اسباب حدوث الحروف ١٠ . (١٠٣) المصدر نفسه .

بين الصوت والحرف ، تفريق شديد . فالحرف هو الصوت المعتمد على المخارج والمخارج ، فهو صوت خاص لا ينطبق إلا على الأصوات الصادرة من آلات النطق (١٠٤) ، التي هي الحروف . أما الصوت فهو عام يشمل الحروف وغيرها من الأصوات .

وأسباب اختلاف الحروف ، لا تعود الى اختلاف الصوت ، لأن الصوت في أصله ساذج ، وهو تموج غير مخالف بعضه بعضاً في الحقيقة ، وهذا الصوت ، يمثل المادة الساذجة للحرف ، (١٠٥) ، وتمثل الحروف الهيئة العارضة له (١٠٦) ، التي تلتقطها الأسماع ، أما الذي يؤدي الى اختلاف الحرف ، فهو اختلاف آلاتها ، فلولا اختلاف آلات الحروف ، لما اختلفت الحروف ، إذ لا شيء هناك يمكن أن يؤدي الى اختلافها الآلات مادتها وآلاتها ، فإذا كانت مادتها واحدة ، وهي الصوت الذي يسببه التوج كانت آلة النطق هي وحدها سبب اختلاف الحروف (١٠٧) ، ونعني بالآلات النطق مواضع تكون الحروف في الحلق واللسان والاسنان والنطق وأصول الثنايا والشفة ، وهي المسماة بالمخارج (١٠٨) .

واللغة - أي لغة كانت - إنما تتمثل بالمفردات أولاً ، ثم بالتراكيب ثانياً ، والتركيب هي محط الفائدة (١٠٩) التي يتوخاها المتكلم ، ويتطلبها المتلقي ، والكلام الذي هو الجزء المتحدث به من اللغة ، لا يمكن أن يقع في أي لغة الأعلى هيئة مركبة من أكثر من مفرد لفظاً أو تقديرأ ، لأن الكلام المفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها لا بد أن يكون متشماً على إسناد ، الإسناد تركيب مؤلف من ركنين ، هما المسند والمستند اليه . وهذا قانون عام ، تخضع له كل اللغات

(١٠٤) المغني لابن فلاح م ١٣/٢ .

(١٠٥) شرح الشافية للرضي الاستربادي ٢٥٠/٣ .

(١٠٦) أسباب حدوث الحروف ١٠ .

(١٠٧) شرح الشافية للرضي الاستربادي ٢٥١/٣ .

(١٠٨) المصدر نفسه .

(١٠٩) نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز ٧١ .

الانسانية . وقد نص عليه سيويه حيث قال : « هذا باب المسند والمُسند اليه وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بُدأً » (١١٠) .
والغرض الأصلي من وضع المفردات بإزاء المعاني الدالة عليها - كما يقول الرازي - هو ان يُضم بعضها الى بعض لتحصل منها الفوائد المركبة (١١١) . فذكر المفرد وحده منفصلاً عن التركيب ، لا يؤدي فائدة ذات بال يمكن أن يضيفها المتلقي الى ما تحصل في ذهنه من معرفة تتصل بالمفرد .

فالمفرد خارج التركيب اشبه مايكون بلبنه ملقاة خارج البناء ، فهي مجرد لينة لا تشكل قيمة يعاً بها ، لان قيمتها الحقيقية إنما تكون اذا أخذت موضعاً ما من البناء ، وكذلك اللفظ المفرد خارج التركيب ، لا يؤدي قيمة دلالية زائدة على قيمته المقترنة به في أصل الوضع ، والتي تميزه من غيره من المفردات ، فلفظة (كتاب) - مثلاً - لها مدلول مستقر في ذهن المتكلم والمتلقي ، يميزها من غيرها من المفردات ، ولا تؤدي غرضاً زائداً على هذا المدلول فيما لو صوت بها المتحدث وحدها ، أما اذا جاءت في تركيب تام يحسن السكوت عليه ، فانها تؤدي دلالة أخرى تكتسبها من وظيفتها النحوية في التركيب ، وذلك مثل : الفاعلية والمفعولية والإضافة والوصفية والخيالية ، وغير ذلك من المعاني التي تعنود المفردات في أثناء التركيب . وهذه المعاني كلها مبنية على علاقة المفرد بما ضم اليه من مفردات أخرى . وهذه العلاقة ، يجب أن تقوم على مناسبة معنوية مشتركة يرتبط بها المفرد مع غيره من المفردات ارتباطاً حقيقياً او مجازياً ، فإن لم تتوفر هذه المناسبة ، امتنع تركيب المفردات ، فمثلاً الفعل « يقرأ » ، لا يمكن أن يركب تركيب إسنادٍ الا مع اسم تصح القراءة منه .

(١١٠) الكتاب ٧/١ .

(١١١) نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز ٧١ ، وانظر دلائل الإعجاز ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

وقد لمح سيبويه الى وجوب توفر العلاقة المعنوية بين المفردات التي يتألف منها التركيب ، اذ وصف نمطاً من تأليف الكلام بأنه محال ، لأن فيه لفظين ينقض أحدهما الآخر . جاء ذلك في باب من أبواب كتابه القيم ، سماه « باب الاستقامة من الكلام والإحالة » ، قال فيه : « وأما المحال » ، فان تنقض أول كلامك بآخره ، فنقول : أتيتك غداً ، وسأتيك أمس » (١١٢) ، لأن الفعل « أتى » ماضٍ ، فلا يصح أن يقترن بلفظة « غد » الدالة على الاستقبال ، والفعل « أتى » مصروف للاستقبال ، لاتصاله بالسين ، فلا يصح أن يتألف في التركيب مع لفظة « أمس » الدالة على الماضي .

فلا بد إذن من وجود علاقة منطقية بين مفردات أي تركيب ليكون كلاماً تاماً ، يعبر به المتكلم عن معنى من المعاني التي تختلج في ذهنه أو تتردد في نفسه . والمعاني التي تدل على أغراض المتكلم ، لا تكون مفردة ابداً ، بل هي معانٍ مركبة . وقد ترتب على هذا أن يكون التعبير عنها إنما يتم بالألفاظ المركبة . ومن هنا امتنع أن يقع المفرد في الكلام مجرداً من التركيب حقيقة وتقديراً .

وربما عُبِّرَ عن المعنى المركب بلفظ ظاهره أنه مفرد ، وهو في حقيقة الأمر لفظ مركب ، وذلك لأن المتكلم قد يفهم جزءاً من الكلام ، اعتماداً على أن المتلقي يدرك أن في الحديث شيئاً مضمراً ، لم يظهره المتحدث ، ابجازاً منه واتساعاً ، وقد شاع مثل هذا الاضمار في أبواب متفرقة من الكلام ، مثل : النداء ، والأمر ، والتحذير ، والجواب .

فاللغة — أي لغة كانت — إنما هي تراكيب مؤلفة من مفردات ضُمَّ بعضها الى بعض ، على شكل قوالب لفظية ، تتحكم بها قوانين ونظم نحوية

ولغوية وأسلوبية ، تواضع عليها أهل كل لغة ، وأخذها اللاحق منهم عن السابق بطريق التلقي والمحاكاة .

واللغة مرتبطة بالمعاني التي يحس بها الإنسان ويدركها ، وهذه المعاني إنما تقع بادىء ذي بدء مفردة ، وبعد أن تستقر في الذهن يطرأ عليها التركيب . ولما كانت الألفاظ تابعة للمعاني ، لأنها قوالها (١١٣) ، كان وضع الألفاظ المفردة سابقاً لوضع الألفاظ المركبة .

فالمفرد سابق للمركب ، سواء أكان هذا المفرد معنى أم كان لفظاً ، وذلك لأن المفرد بسيط ، والبسيط سابق للمركب في حكم العقل والمنطق (١١٤) ويسمي علماء العربية المفرد « كلمة » ، وهي كل لفظ موضوع بازاء معنى مستقل تواضع عليه أهل اللغة ، فكل كلمة لفظ ، ولكن ليس كل لفظ كلمة (١١٥) ، لأن هناك ألفاظاً لا معاني لها ، سماها علماء العربية الألفاظ المهمل (١١٦) ، ومثلوا لها بلفظة « ديز » التي هي مقلوب لفظ « زيد » . ومثلها كل لفظ لا يدل على معنى من المعاني المدركة والمستقرة في ذهن الناطقين باللغة .

والكلمة المفردة ، هي الأساس الذي قامت عليه اللغات جميعاً ، وعليها بنى علماء اللغة معاجمهم . ومن لم يدرك معاني الكلمات المفردة ، لا يستطيع أن يدرك فحوى الكلام ومدلوله تمام الإدراك . وقد يُعين السياق على معرفة معاني قسم من الكلمات المفردة ، إلا أن الأصل هو أن يلم المتحدث بأي لغة بمعاني الكلمات المفردة ، قبل أن يكلف نفسه التحدث بتلك اللغة . وكلما ازدادت معرفة المتكلم بمعاني المفردات وازداد محفوظه منها ، ازدادت قدرته على التعبير عما يدركه من معاني أو يحس به من أفكار .

(١١٣) المقولات ٧٨ .

(١١٤) الحروف ٦٤ ، ٧٣ ، وانظر التفسير الكبير ١٠/١ .

(١١٥) المعني لابن فلاح م ٢٢/٢ . (١١٦) المعني لابن فلاح م ٢١/٢ .

والكلمة المفردة في العربية وغيرها من اللغات ، تتألف من نوعين من الأصوات ، مصوتة وصامتة (١١٧) ، وتنحصر الأصوات المصوتة في العربية بالواو والياء والالف ، وما يتفرع منها من أصوات قصيرة سماها علماء العربية « الحركات » ، وهي : الضمة والكسرة والفتحة . أما الأصوات الصامتة ، فتشمل سائر الأصوات العربية عدا الأصوات المصوتة المذكورة آنفاً ، ويسمى هذا النمط من الأصوات « الأصوات الساكنة » (١١٨) ايضاً . ويطلق عليها كذلك « الحروف الصحيحة » . وهذا المصطلح الأخير ، هو المصطلح الشائع في تسمية هذه الأصوات عند علماء العربية من نحاة وصرفيين ولغويين (١١٩) .

والأصوات الصامتة هي أكثر عدداً من المصوتات ، وعليها يقوم بناء أصول المفردات العربية (١٢٠) .

ويطلق علماء العربية على « الواو والياء والالف » أحرف العلة واللين والمد ، ولكل تسمية من هذه التسميات سبب . فالعلة لأنها ضعيفة معرضة للحذف والتغيير (٢١) ، وسميت أحرف لين ، لأنها لينة ، وليس فيها صلابة الأصوات الصامتة (١٢٢) ، وسميت أحرف مد ، لأن الصوت يمد بها ، قال سيويه : « وحروف اللين هي حروف المد التي يمد بها الصوت » (١٢٣) ولا تسمى هذه الأصوات أصوات مد ، الا اذا كانت ساكنة وقبلها حركة من جنسها ، وفي ضوء هذين القيدتين : تكون الألف دائماً صوت مد ،

(١١٧) التفسير الكبير ٢٩/١ ، ٤٨ .

(١١٨) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ٣٠٠ .

(١١٩) جوهرة اللغة ٧/١ ، سر صناعة الاعراب ٧١/١ .

(١٢٠) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٧ - ٢٠ .

(١٢١) الخصائص ٢٩١/٢ ، شرح مختصر التصريف العزى ١٠٥ .

(١٢٢) شرح مختصر التصريف العزى ١٠٦ .

(١٢٣) الكتاب ١١/٢ .

لأن « الألف لا بد لها من حرف قبلها مفتوح » (١٢٤) . ولكونها لا تقبل الحركة (١٢٥) ابداً ، فهي ساكنة لزوماً واضطراً ، ومن هنا سماها سيبويه حرفاً ميتاً (١٢٦) .

أما الواو والياء ، فقد يأتيان حرفي مدّ ، وقد لا يأتيان . فإن جاءا ساكنين ومسبوقين بحركة من جنسهما ، فهما حرفاً مدّ ، أما إذا جاءا متحركين أو مسبوقين بسكون أو حركة ليست من جنسهما ، فلا يعدّان حرفي مدّ ، مثل الواو والياء في كل من : يوم ، وصوم ، وظي ، ودلو ، وقيسم (جمع قيمة) ، واستحوذ ، ورضي ، ووعد ، وقاوم ، وعور ، ويكون حكم الواو والياء في مثل هذه الالفاظ حكم أي صوت صامت (١٢٧) « أي حرف صحيح » ، ويجرى عليهما الحكم التحوي أو الصرفي الذي يجري على الاصوات الصامتة . ومن هنا سمي النحاة الأسماء المنتهية بالواو أو الياء المسبوقين بسكون اسماءاً معتلة جارية مجرى الصحيح (١٢٨) ، ولهذا ، تظهر على أواخرها الحركات كما تظهر على آخر أي اسم متّيه بصوت صامت « أي : حرف صحيح » .

والاصوات التي تأتلف منها مفردات العربية لا تنحصر بالحروف الصامتة والمصوتة بل تشمل أيضاً الحركات ، والحركات في حقيقة أمرها لا تعدو أن تكون نوعاً من أنواع المصوتات ، فلا تختلف عن اصوات المد الأصلية ، إلا بكونها أقصر منها ، ومن هنا جاءت تسمية بعض الباحثين لها « أصوات مدّ قصيرة » (١٢٩) .

(١٢٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٦ .

(١٢٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٧ .

(١٢٦) المصدر نفسه ٢/ ٧٨ .

(١٢٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٣ ، ٢٨٩ ، ٢٨١ .

(١٢٨) المصدر نفسه ٢/ ٥٧ ، ١٣٢ .

(١٢٩) انظر فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٩ .

وقد تنبه علماء اللغة الأوائل للعلاقة الصوتية بين الحركات وأحرف المد ، فنصوا على أن الحركات أبعاض أحرف المد ، فالضمة بعض الواو ، والكسرة بعض الياء ، والفتحة بعض الالف (١٣٠) . والذي يدل على أن الحركات أبعاض لهذه الاحرف — كما يقول ابن جني — « أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه » (١٣١) .

وقد نقل ابن جني عن بعض متقدمي النحاة أنه كان يسمى الضمة واواً صغيرة ، والكسرة ياءاً صغيرة ، والفتحة ألفاً صغيرة (١٣٢) . وما نقله ابن جني ، يشبه الى حد كبير ما أورده أبو علي في مسائله البغدادية ، حيث قال : « وهذا الذي يسميه أهل العربية حركة حقيقية انه حرف . فالفتحة كالألف ، والضمة كالواو ، والكسرة كالياء ، في أنهم حروف ، كما أنهم حروف ، الا أن الصوت بهن أقل من الصوت بالألف وأخفها ، وقلة الصوت بهن ليس يخرجهن عن أن يكنّ حروفاً ، لأن من الحروف ما هو أكثر صوتاً من حروف ، كـ « الصاد » و « النون » الساكنة . فكما أن النون عندنا حرف وإن كان أقل صوتاً من الصاد ، كذلك يجب أن تكون هذه عندنا حروفاً ، وإن كان الصوت بهن أقل من الصوت بما هن منه » (١٣٣) ، ثم قال : « فالمسمى حركة والحرف الذي معه ، هما في الحقيقة حركتان للناطق ، وكل واحد منهما حرف ، ويدل على ما ذكرناه من هذا قيام كل واحد من الحرف والمسمى حركة مقام صاحبه » (١٣٤) .

فكل من الحركة والحرف صوت ، والصوت عرض . ولما كانت « الحركة لا توجد الا عند وجود الحرف ، صارت كأنها قد حلتها ، وصار هو كأنه

(١٣٠) الكتاب ٣١٥/٢ . (١٣١) سر صناعة الاعراب ٢٠/١ .

(١٣٢) المصدر نفسه .

(١٣٣) المسائل البغدادية ٤٨٧ — ٤٨٨ .

(١٣٤) المسائل البغدادية ٤٨٨ .

قد تضمنها ، تجوزاً لا حقيقة » (١٣٥) ، لأن العرص لا يحل العرص على الحقيقة .

وتردد المصوتات - حروفاً كانت أو حركات - في الكلام ، أكثر من تردد غيرهن من الأصوات ، وقد تنبه سيبويه الى هذه الحقيقة اللغوية ، فقال : « فأما الأحرف الثلاثة - يعني : الواو ، والياء ، والالف - فلنهن يكثرن في كل موضع ؛ ولا يخلو منهن حرف ، او من بعضهن ، ... من لكل مد ، ومنهن كل حركة » (١٣٧) .

وأحسب ان تردد هذه الاصوات الكثير في المفردات ، منبتاً من وظيفتها الصوتية المتمثلة في ربط أجزاء المفرد . فبناء المفرد في أصله قائم على الاصوات الصامتة التي يسميها النحاة والصرفيون « الحروف الصحيحة » ، وهي في الأصل أصوات ساكنة ، والحركة زائدة عليها ، وتوالي السواكن يؤدي الى الثقل ، بل ربما كان ذلك متعذراً ، ولا سيما اذا ما كثرت السواكن المتوالية ، فأحدثت هذه الأصوات اضطراباً ، لترتبط اجزاء المفرد ، بعضها ببعض . ولعل الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من تنبه الى هذه الحقيقة اللغوية ، التي لا تصدق على العربية وحدها ، بل تشمل سائر اللغات ، فقد نقل عنه سيبويه انه قال : « الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه ، فالفتحة من الألف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الواو » (١٣٨) .

وقد جاءت قيمة المصوتات : « الحركات وحروف المد » من كونها أصواتاً لينة . وليوتنها هذه هي التي أهلتها للقيام بوظيفة ربط الأصوات

(١٣٥) سر صناعة الاعراب ٣٧ .

(١٣٦) سر صناعة الاعراب ٣٦ .

(١٣٧) الكتاب ٢/٣٤٩ .

(١٣٨) الكتاب ٢/٣١٥ .

الصامته ولولاها ما استطاع الإنسان أن يربط بين الأصوات المنطوقة ليؤلف المفردات الدالة على المعاني التي يريد أن يعبر عنها .

فوظيفة المصوتات - ولا سيما الحركات - اذن لا تنحصر فيما تؤديه من دلالة نحوية في التركيب بل تتجاوز ذلك لتقوم بوظيفة صوتية أخرى تنصل بربط الاصوات الصامته لتألف منها المفردات قبل التركيب .

وليس قيام المصوتات بربط المفردات أمراً اختصت به العربية وحدها بل هو أمر عام ؛ يشمل - فيما أحسب - كل اللغات الإنسانية . فوجود هذه الأصوات في اللفاظ المنطوقة بمثابة قانون عام يخضع له كل لفظ منطوق سواء أكان ذلك اللفظ دالاً على معنى أم كان لفظاً مهملاً لا معنى له فليس هناك لفظ في الدنيا خال من صوت أو أكثر من هذه الأصوات اللينة التي يطلق عليها في العربية الحركات وحروف العلة والتي تقابل في اللغات الأوروبية ما يطلق عليه بالإنكليزية مصطلح (Vowels) والذي يشمل الأصوات الرموز لها بهذه الرموز الخطية (A. E. I. O. U.) وما يتصل بها من علامات توضح طريقة نطق هذه الاصوات مما هو شائع في المعاجم التي تعنى بمفردات اللغات الأوروبية .

وربط أجزاء المفردات اللغوية في العربية لا يقتصر على الحركات وأصوات المد الطويلة بل يسهم فيه السكون أيضاً وهو في حقيقة أمره انتفاء الحركة . ولهذا سمي سكوناً ليقابل الحركة في حقيقتها اللغوية ومعناها الاصطلاحي . وقد تنبه قُطْرُبُ النحوي (تلميذ سيويه) الى قيمة كل من الحركة والسكون في ربط أجزاء الكلام فذهب الى أن حركات الإعراب لا تفسد معنى نحويّاً في الكلام وإنما جيء بها ليعتدل الكلام لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون ، فلو جعلوا وصله بالسكون ايضاً لكان يلزمه الاسكان في الوقف والوصل وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمنكهم

التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام ، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ومتحركين وساكن ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشوييت ، ولا بين أربعة أحرف لانهم في اجتماع الساكنين يبطئون ، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان « (١٣٩) .

فالغرض من الحركات عند قُطْرُبِ اذن ، هو تيسير النطق من حيث الخفة والثقل ، وليس الغرض منها إبانة المعاني النحوية ، كما هو مذهب جمهور النحاة « (١٤٠) .

ولما كان ابتداء الكلام اما هو ابتداء خروج الأصوات من آلة النطق ، تحتم أن يكون الصوت المنطلق في بدء الكلام صوتاً متحركاً ، ولما كان السكوت انقطاعاً عن الكلام ، لزم أن يكون الجزء الأخير من المفرد ، الذي يوقف عليه صوتاً ساكناً ، لا حركة فيه . ومن هنا وجدنا جميع المفردات العربية تبدأ بصوت متحرك ووجدنا أيضاً أن العرب لا تقف إلا على صوت ساكن . وقد تنبه ابن جنّي - رحمه الله - الى هذه الحقيقة الاستقرائية ، فقال : « ألا ترى أن الابتداء لما كان أخذاً في القول ، لم يكن الحرف المبدوء به الامتحركاً ، ولما كان الانتهاء اخذاً في السكوت لم يكن الحرف الموقوف عليه الاساكناً » (١٤١) .

والسكون الذي هو انتفاء الحركة ، لا ينحصر في أواخر الكلمات ، بل يأتي ايضاً داخل بناء الكلمة . وربما كان ذلك حكماً لازماً ، تيسيراً للنطق ، لأن توالي الأصوات المتحركة في اللفظ الواحد ، أو ما كان في

(١٣٩) الإيضاح في علل النحو ٧٠ - ٧١ .

(١٤٠) انظر الاصول في النحو ٤٥/١ ، الإيضاح في علل النحو ٦٩ ، الخصائص

٣٥/١ .

(١٤١) الخصائص ٥/١ .

عداد اللفظ الواحد ، قد يؤدي الى الثقل في النطق . ومن هنا وجدنا العرب يَصَيِّرُون من توالي الحركات (١٤٢) ، فيسكنون بعضاً من أصوات الكلمة اذا كثرت حركاتها . وقد يأتي ذلك على شكل قانون صرفي عام تخضع له بنية قسم من مفردات اللغة ، فقد جاءت - مثلاً - فاء الأفعال الماضية الثلاثية والرابعة المجردة « فعل - فعلل » متحركة ، ولكن العرب عند تصريف هذين الفعلين الى المضارع ، يعملون الى تسكين « فاء » الثلاثي أما الرباعي ، فيبقون « فاءه » متحركة ، استصحاباً لأصلها في الماضي . وسرُّ هذا يكمن في أنهم لو أبقوا (فاء) الثلاثي متحركة على أصلها في الماضي ، ثم زادوا عليه حرف المضارعة ، وهو متحرك اضطراراً ، لاجتمعت في المضارع أربعة أصوات متحركة ، وهذا ثقل عليهم في النظم ، فسكنوا « فاءه » فراراً من الثقل ، اما مضارع الرباعي ، فقد أبقوا « فاءه » متحركة على أصلها في الماضي ، لأن إبقاءها متحركة لا يؤدي الى اجتماع أربعة أصوات متحركة متتابعة ، وذلك لأن « عين » الفعل الرباعي ساكنة في الماضي في أصل الوضع ، وسكونها هذا هو الذي يسر النطق بهذا النمط من الأفعال في الماضي ، وهو الذي حافظ على إبقاء حركة « الفاء » في المضارع ، لانه لم تجتمع فيه أربعة أصوات متحركة ، لا في الماضي ، ولا في المضارع .

والأصل في آخر الماضي الثلاثي انه مبني على الفتح ، ولكن اذا اتصل به ضمير رفع متحرك مثل « تاء الفاعل » بني على السكون ، وذلك لثلاث توالى أربعة أصوات متحركة في لفظ صار كأنه كلمة واحدة (١٤٣) ، لشدّة اتصال الفعل بالفاعل (١٤٤) ، ولو أبقى الفعل على أصله مبنياً على

(١٤٢) الكتاب ٢/ ٣٣٥ .

(١٤٣) الاصول في النحو ١/ ٤٩ - ٥٠ .

(١٤٤) اسرار العربية ٧٩ - ٨٣ .

الحركة ، لأدّى ذلك الى الثقل في النطق ، وقد حملوا غير الثلاثي المتصل بضمير رفع متحرك على الثلاثي ، وان لم تجتمع فيه أربعة أصوات متحركة متوالية ، وذلك طرداً للباب ، ويمثل هذا الامر ، في الرباعي والسداسي ، نحو : دحرجت واستخرجت .

وهذه التغيرات الصوتية ، التي تتصل بالحركة والسكون ، تدل على عظيم عناية العرب بألفاظهم ، وحرصهم على انسجام أصوات أبياتهم ، وشدة رغبتهم في توخي الخفة في النطق والقرار من الثقل . ولكن هذا لا يعني في أي حال من الأحوال أنهم غير قادرين على نطق الأصوات الثقيلة أو القوية فهم يمتلكون جهازاً صوتياً يؤهلهم للنطق بأي صوت أو لفظ مهما كان ثقيلاً وذلك بسبب طول الدَّرنَة على التلغظ بأصوات قوية مثل العين والحاء والخاء والغين التي خلت منها أو منها أو من بعضها كثير من اللغات الإنسانية .

فاللغة اذن هي مفردات وتراكيب موضوعة بإزاء معان لها دلالة مستقرة في الذهن وخارجه . وهذه الدلالة مفردة أو مركبة والكلام الذي هو الجزء المستعمل من اللغة مركب من ألفاظ مفردة متألّفة فيما بينها على وفق أساليب ، غالباً ما تكون مستقرة على شكل نظام لغوي موروث ، والمفردات التي تشكل أجزاء الكلام هي أصوات مترابطة على شكل وحدات مستقلة . كل وحدة موضوعة للدلالة على معنى مستقل . وهذه الوحدات التي هي الكلمات مؤلفة من نوعين من الأصوات : أصوات صامتة ، وأصوات مصوتة ، وتشكل الأصوات الصامتة عمدة كل كلمة ، وتسهم الأصوات المصوتة في ربط تلك الأصوات الصامتة ، التي هي في الأصل أصوات ساكنة ، وتمثل الأصوات المصوتة في العربية بالحركات وأحرف المد واللين ، وتشمل الأصوات الصامتة سائر حروف الهجاء الأخرى .

فحقيقة اللغة في مفرداتها وتراكيبها ، أنها أصوات معتمدة على مخارج ،
موزعة على جهاز النطق . وقد وهب الله للإنسان القدرة على تأليف هذه
هذه الأصوات ، ليجعل منها أداة يعبر بها عن أغراضه ، وما أصدق ابن
جني عندما حدد اللغة فقال : « انها أصوات يعبر بها كل قوم
عن أغراضهم » (١٤٥) .



قصيدة فحطانية نادرة

دراسة وتحقيق
المهندس حاتم غنيم
الأردن - عمان

كَانَ الشَّعْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَسِيْلَةَ الْإِعْلَامِ الْأَوَّلَى ،
وَكَانَ لِلْقَبِيلَةِ عَلَى شَاعِرِهَا أَنْ يَدْفَعَ عَنْ مَوَاقِفِهَا وَتَصْرِفَاتِهَا ، وَيُنْشُرَ
مَنَافِعَهَا وَمَنَاقِبَهَا وَيُشِيدَ بِذِكْرِ أَبَائِهَا وَمَآكِرِهَا ، وَيَمْدَحَ سَادَتَهَا
وَفُرْسَانَهَا ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَعْدَائِهَا بِالْمَذَمَّةِ وَالْعَيْبِ ، وَيَغْضُ
مِنْهُمْ وَيَهْدُدَّهُمْ وَيَنْذِرَ بِهِمْ ، وَيَسْخَرُ مِنْ زُعْمَائِهِمْ وَرِجَالِهِمْ
يَنْقُصُهُمْ . كَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى فِي خَيْرِ قَبِيلَتِهِ مُجْهِدًا لَهُمْ طَرِيقَ السَّلَامِ
إِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ ، وَنَاشِدًا لَهُمُ الْأَحْلَاءَ إِنْ ابْتَغَوْا التَّحَالُفَ ، مَرْغَبًا فِيهِمْ ،
مَحْرُصًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَمُسَبِّطًا هِمَمَ الْمُرَبِّصِينَ بِهِمْ . فَلَاغَرَّوَ إِذْ
أَنْ نَجِدَ الشَّاعِرَ الْجَاهِلِيَّ يَفْخَرُ وَيَمْدَحُ ، وَيَهْدُدُ وَيَهْجُو ، لَكُنَّا
رَأَيْنَاهُ يَتَفَخَّرُ عَادَةً بِنَفْسِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَقَبِيلَتِهِ الدُّنْيَا ، وَيَذُمُّ الْأَفْرَادَ
أَوْ الْبَطُونَ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ بَيْتَهُ - أَوْ بَيْنَ قَبِيلَتِهِ - وَيَنْقُصُهُمْ
عِدَاوَةً وَشَتَاءً ، وَقَلَّمَ وَجَدْنَاهُ يَعْمُ بِالْهَجَاءِ الْقَبِيلَةِ الْأُمِّ ، فَهُوَ إِنْ
هَجَا شَيْبَانَ لَا يَهْجُو وَائِلَ ، وَإِنْ غَضَّ مِنْ بَكْرٍ لَا يَنْقُصُ رِبْعَةً ،
وَقَدْ يَذُمُّ بَرْبُوعَ وَيَمْدَحُ دَارِمَ ، وَيَتَعَرَّضُ لِنَمِيمٍ وَلَا يَذْكُرُ خَنْدَفَ ،
فَإِنَّ الْوَدَّ لَمْ يَكُنْ لِيَدُومِ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ ، وَلَا الشُّحْنَاءُ بَيْنَ الْأَعْدَاءِ .
وَكَمْ وَقَعَتْ مِنْ حَرْبٍ بَيْنَ أَخَوَيْنِ ، وَكَمْ أَبْرِمَ مِنْ حِلْفٍ
بَيْنَ مُتَبَاعِدَيْنِ ، فَكَانَ مِنَ الْأَسْلَمِ أَلَّا يَتَعَرَّضَ الشَّاعِرُ لِلْأَلْمَنِ نَاصِبَةً

قصيدة فحطانية نادرة

دراسة وتحقيق
المهندس حاتم غنيم
الأردن - عمان

كَانَ الشَّعْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَسِيْلَةَ الْإِعْلَامِ الْأَوَّلَى ،
وَكَانَ لِلْقَبِيلَةِ عَلَى شَاعِرِهَا أَنْ يَدْفَعَ عَنْ مَوَاقِفِهَا وَتَصْرِفَاتِهَا ، وَيُنْشُرَ
مَنَافِعَهَا وَمَنَاقِبَهَا وَيُشِيدَ بِذِكْرِ أَبَائِهَا وَمَآكِرِهَا ، وَيَمْدَحَ سَادَتَهَا
وَفُرْسَانَهَا ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَعْدَائِهَا بِالْمَذَمَّةِ وَالْعَيْبِ ، وَيَغْضُ
مِنْهُمْ وَيَهْدُدَّهُمْ وَيَنْذِرَ بِهِمْ ، وَيَسْخَرُ مِنْ زُعْمَائِهِمْ وَرِجَالِهِمْ
يَنْقُصُهُمْ . كَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى فِي خَيْرِ قَبِيلَتِهِ مُجْهِدًا لَهُمْ طَرِيقَ السَّلَامِ
إِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ ، وَنَاشِدًا لَهُمُ الْأَحْلَاءَ إِنْ ابْتَغَوْا التَّحَالُفَ ، مَرْغَبًا فِيهِمْ ،
مَحْرُصًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَمُسَبِّطًا هِمَمَ الْمُرَبِّصِينَ بِهِمْ . فَلَاغَرَّوَ إِذْ
أَنْ نَجِدَ الشَّاعِرَ الْجَاهِلِيَّ يَفْخَرُ وَيَمْدَحُ ، وَيَهْدُدُ وَيَهْجُو ، لَكُنَّا
رَأَيْنَاهُ يَتَفَخَّرُ عَادَةً بِنَفْسِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَقَبِيلَتِهِ الدُّنْيَا ، وَيَذُمُّ الْأَفْرَادَ
أَوْ الْبَطُونَ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ بَيْتَهُ - أَوْ بَيْنَ قَبِيلَتِهِ - وَيَنْقُصُهُمْ
عِدَاوَةً وَشَتَاءً ، وَقَلَّمَ وَجَدْنَاهُ يَعْمُ بِالْهَجَاءِ الْقَبِيلَةِ الْأُمِّ ، فَهُوَ إِنْ
هَجَا شَيْبَانَ لَا يَهْجُو وَائِلَ ، وَإِنْ غَضَّ مِنْ بَكْرٍ لَا يَنْقُصُ رِبْعَةً ،
وَقَدْ يَذُمُّ بَرْبُوعَ وَيَمْدَحُ دَارِمَ ، وَيَتَعَرَّضُ لِنَمِيمٍ وَلَا يَذْكُرُ خَنْدَفَ ،
فَإِنَّ الْوَدَّ لَمْ يَكُنْ لِيَدُومِ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ ، وَلَا الشُّحْنَاءُ بَيْنَ الْأَعْدَاءِ .
وَكَمْ وَقَعَتْ مِنْ حَرْبٍ بَيْنَ أَخَوَيْنِ ، وَكَمْ أَبْرِمَ مِنْ حِلْفٍ
بَيْنَ مُتَبَاعِدَيْنِ ، فَكَانَ مِنَ الْأَسْلَمِ أَلَّا يَتَعَرَّضَ الشَّاعِرُ لِلْإِلْمَنِ نَاصِبَهُ

العداء وحده توقياً وحيلة . لذلك كانت قصيدة الأفوه الأودي
التي مطلعها (١) :

لِنْ تَرَي رَأْسِي فِيهَا قَرَعُ وَشَوَاتِي خَلَّةَ فِيهَا دُورُ
والتي يقول فيها :

يَا بَنِي هَاجِرَ سَاءَتْ خُطَّةُ أَنْ تَرَوْمُوا النِّصْفَ مِثَاوُجَارُ
سُتَّةُ أَوْرَتْنَاهَا مَدْحِجُ قَبْلَ أَنْ يُنْسَبَ لِلنَّاسِ نِزَارُ
وتعقبها الفند الزماني (٢) التي مطلعها :

أَشْجَاكَ الرَّبْعُ أَقْوَى وَالْدِيَارُ وَبِكَاءِ الْمَرْءِ لِلرَّبْعِ خَسَارُ
والتي يقول فيها :

لَمْ تَزَلْ قَحْطَانُ عَنَزَا بَاحِثَا عَنْ مَدَى فِيهَا لِقَحْطَانِ بَوَارُ
رَفَعَ اللَّهُ نِزَاراً فَعَلَّتْ بِالْعَلَى النَّاسَ فِلِبَاغِي الصَّغَارُ
إِنَّمَا قَحْطَانُ فِينَا حَطَبُ وَنِزَارُ فِي بَنِي قَحْطَانِ نَارُ
لَنْ تَنَالُوا مِنْ نِزَارٍ مِثْلَمَا مِنْكُمْ نَالَتْ مِنْ الذَّلِّ نِزَارُ
تَحْنُ أَوْلَادُ مَعْدٍ ذِي الْحَصَى وَلَتَا مِنْ هَاجِرِ الْجَسَدِ الْكُبَارُ

ظاهرة غريبة على الشعر الجاهلي لم تر لها مثيلاً ، على كثرة ما كان بين القحطانيين والعنانيين وقائع . فإن ما جاء من الشعر في يوم خزاز (٣) ، وهو يوم تعد على مدحج ، ويوم الكلاب

(١) ديوان الأفوه الأودي - ضمن كتاب « الطرائف الأدبية » - ص ١١ - ١٣ .

(٢) شعر الفند الزماني ص ١٠ - ١٧ .

(٣) لحدث يوم خزار - أو خزازي - انظر كتاب « أيام العرب قبل الإسلام »
لابي عبيدة ج ٢ ص ٢٩ - ٣٤ .

الثاني (٤) ، لتتميم على مدحج ، ويوم قيْف الرِّيح (٥) ، بين مدحج وبني عامر ، وغيرها من الأيام ، لم نعرف فيه ذمّاً أو مدحاً لمعدّ أو قحطان عامّة ، بل اقتصر الذّكر فيه على أفراد وقبائل يعبئهم ، لم يتعدّ ذلك إلى ما هو أشمل . وقد كان للشاعر الجاهلي في التخصيص والتّحديد متدوّحة عن الشمول والإحاطة ، ممّا ترك المجال لرأب الصدوع وساعد على أن يسود حسن الجوار بين قبائل من معدّ وأخرى من قحطان ، بل عرفنا بينهم أخلاقاً نشأت في الجاهليّة واستمرت في الإسلام إلى أوائل الدّولة الأمويّة .

لذلك يمكننا القول إنّ التّفاخر والتّهاجي بين عدنان وقحطان كان من المواضيع السياسيّة الجديدة التي تناولها الشعر العربي أيام الدّولة الأمويّة وما بعد ذلك ، ولم يسبق أن طرقت أيام الجاهليّة إلّا ما كان من قصيدتي الأَفوه والقَيْد : والأولى بذكرها الجاحظ (٦) ويؤكد أنّها مصنوعة ، ممّا يدعو إلى التّشكّك في الثاني أيضاً . ولنتأمّل ما ذكر المسعودي في « المروج » (٧) عن طلب عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب من الكُمَيْت بن زيد أن يقول شعراً ، وكيف استجاب الكُمَيْت لهديه الرّغبة فقال قصيدته الطّويلة التي أولّها (٨) :

(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٧١ - ٩٤ .

(٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٦٥ - ٤٧٠ .

(٦) كتاب « الحيوان » ج ٦ ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، غير أن أبا الملاء المعري يثبت القصيدة للأفوه في « رسالة الغفران » ص ٢٩٧ . ويرى الاستاذ الميمني (الطرائف الأدبية ص ٣) أن الجاحظ « كأنه خرق الإجماع » ..

(٧) « مروج الذهب » ج ٣ ص ٢٣٠ .

(٨) القصيدة بشرح أبي رياش في « هاشميات الكميّ » ص ٢٢٧ - ٣١٥ ملحقة بشرحه للهاشميات .

أَلَا حُبَيْتِ عَنَّا يَا مَدِينَا وَهَلْ بَأْسٌ يَقُولُ مُسْلِمُنَا
وَفَخَّرَ فِيهَا بَنِزَارٍ وَفَضَّلَهَا عَلَى قَحْطَانَ وَعَمَّ قِبَائِلَ الْيَمَنِ فِيهَا
بِالْهِجَاءِ وَالْإِنْتِقَاصِ ، فَكَانَ لَهَا مَا كَانَ مِنْ أَثَرٍ فِي لُثَارَةِ الْأَصْغَانِ
بَيْنَ مَعَدٍّ وَالْيَمَنِ . فَإِذَا قَرَرْنَا ذَلِكَ بِمَا وَصَلَ إِلَيْنَا (٩) مِنْ نَهْيِ
الرَّسُولِ (ص) عَنْ «إِنْشَادِ رَأْيَةِ الْأَقْوَمِ» لَمَّا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَقَدْ نَرَى أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ نَهْيِ الرَّسُولِ (ص) — إِنْ صَحَّ —
تَجَنُّبُ لُثَارَةِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا مِنَ الْعَدَنَانِيَيْنِ ،
وَالْأَنْصَارِ مِنَ الْقَحْطَانِيَيْنِ .

وَتَحَقَّقَ مَا تَوَخَّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَتَوَقَّعَ ، فَقَدْ انْبَرَى جَمَاعَةٌ
مِنَ الشُّعْرَاءِ الْيَمَانِيِّينَ يَرُدُّونَ عَلَى الْكُمَيْتِ : مِنْهُمْ الْمُعَاصِرُونَ لَهُ
وَمِنْهُمْ الْمُتَأَخَّرُونَ ، وَلَمْ يُعْذِرِ الْكُمَيْتُ مَنْ يُعَاصِدُهُ وَيُضَاصِرُهُ
وَيُدَافِعُ عَنْهُ ، فَانْتَشَرَتِ الْقِصَائِدُ الَّتِي تَعَصَّبُ لِعَدَنَانَ ، وَنَقَاضَهَا الَّتِي
تَحْطِبُ فِي حَبْلِ قَحْطَانَ وَالْيَمَنِ ، جَاءَ شَيْءٌ مِنْهَا مِنْ بَحْرِ وَرَوِيٍّ
قَصِيدَةِ الْكُمَيْتِ ، وَجَاءَ غَيْرُهَا مِنْ أَوْزَانٍ وَقَوَافٍ مُخَالَفَةٍ لَهَا . وَلَسْنَا
هُنَا بِصَدَدٍ تَعْدَادِ هَذِهِ الْقِصَائِدِ وَتَتَبُعِهَا ، بَلْ إِنَّمَا يَعْزِينُنَا مِنْ كُلِّ هَذَا
قَصِيدَةُ قَحْطَانِيَّةٍ تُمَجِّدُ الْيَمَنَ ، رَأْيَةُ الرَّوِّيِّ مِنَ الْبَحْرِ الْكَامِلِ ،
اخْتَلِيفَ فِي قَائِلِهَا فَقِيلَ ابْنُ الْمَوْلَى أَوْ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَوْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
مُعَاوِيَةَ — أَوْ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ — الْحَارِثِيُّ أَوْ حُجَيْشُ بْنُ حِجْرٍ الْعَسَافِيُّ
وَنُسِبَتْ أَبْيَاتُهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيِّ صَاحِبِ الرَّثَجِ وَإِلَى
أَعْرَابِيٍّ وَمَطْلَعُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

أَنْتِمْ رِيْقِكِ أُخْتِ آلِ الْعَنْبَرِ هَذَا أَمِ اسْتِنْشَاقُهُ مِنْ عَنْبَرٍ

وهي نادرةُ الوجود لم يكن يُحفظ منها سوى آياتٍ مُتفرقة ،
وسعى العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله باحثاً عنها فما وجد منها - على
سعة اطلاعه - سوى أحدَ عَشْرَ بيتاً منشورات في المظان . وقد أُرشدني
الصديق الأستاذ العالم السيد إبراهيم شَبُوح - من تونس
الشقيق - إلى وجود هذه القصيدة ضمن مجموعٍ مخطوطٍ في دار
الكتّاب الوطنية في تونس يحمل الرقم ١٥٨٨٨ ، وتكرّم مشكوراً
بتصويرها وإرسالها إليّ ، كما هداني إلى وجود هذه القصيدة أيضاً في
« رحلة العبدري » (١٠) ، فله الفضل في نشر هذه القصيدة التي
لولاه ما قُبض لها الظهور .

ولعلّ أول من نظم شعراً يتغنّى بمفاخر اليمن عامةً على وزن
هذه القصيدة ورويتها كان علقمة بن ذي جَدَن الحميري (١١) ،
فإن له قصيدة ذكر فيها ملوك قحطان وتبابعة اليمن منها :

أَبْنُ الَّذِي بَلَغَ الْمَشَارِقَ كُلَّهَا	وَمَغَارِبَ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تَعْمُرْ
وَبَنَى عَلَى بَأْجُوجٍ رَدْمًا رَصَهُ	بِالْقَطْرِ لَمْ يُنْقَبْ وَلَمَّا يُظْهَرْ
فَتَنَاوَلَتْهُ مَنِيَّةٌ قَصَدَتْ لَهُ	فَأَجَابَهَا وَمَضَى كَأَن لَمْ يُذْكَرْ

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَبِيلِ حَمِيرَ يَوْسُفَ
وَرَأَى بِأَنَّ الْمَوْتَ خَيْرٌ عِنْدَهُ
أَكَلَ الثَّعَالِبُ لَحْمَهُ لَمْ يُقْبَرْ
مِنْ أَنْ يَدِينَ لَأَسْوَدٍ أَوْ أَحْمَرَ

(١٠) كتاب « رحلة العبدري » من تحقيق محمد الفاسي ومطبوعات جامعة
محمد الخامس في الرباط سنة ١٩٦٨ .

(١١) هو علقمة ذو جَدَن أو ابن ذي جَدَن الحميري : وانظر عنه كتاب « ملوك
حمير وأقبال اليمن » هامش الصفحة الثانية .

(١٢) « ملوك حمير وأقبال اليمن » لنشوان بن سعيد الحميري - ص ١٠٢ .

(١٣) المصدر نفسه - ص ١١٩ .

ولميس كانت من ذؤابة ناعيط
والصامخ الملك المتوج بعلمها
يجني لتيها الخرج ساكن بربر
ذو التاج حين يلوته والمخصر

* * *

وعلقمة بن ذي جَدَن هذا كان يُسمى « التَّوَّاح » أيضاً لأنَّ شعره
كله مرَّاث في حمير وقصورها وملوكها ، وكان مختصراً
أدرك الإسلام . وقصيدته اقتصرت على ذكر أمجاد اليمن
وملوكها ، لم يتعرض فيها لينزار ولا ذكرها بخير أو بشر .

وقد تيسر انشراء اليمانيون خطأ علقمة هذا فنظموها على وزن
قصيدته وروبوها ، قرأنا في « تهذيب اللغة » (١٥) بيتاً غير منسوب
بوجهي أنه من كلمة على هذا النمط هو :

قحطان تضرب رأس كل متوج وعلى بصائرها وإن لم تبصر
وليشوان بن سعيد الحميري ، وهو متأخر (١٦) ، قصيدة مماثلة
يقول فيها :

منا التبايعه اليمانيون الألى
مين كل مرهوب اللقاء معصب
بالتاج غار بالجيوش مظفر
تغنو الوجوه لسيفه ولرمحه
بعده السجود لتاجه والمظفر
يا رب مفتخير ، وكلولا سعبنا
وقيامنا مع جدّه لم يقخر
ملكوا البسيطة سلّ بذلك تُخبّر

(١٤) المصدر نفسه - ص ١٧٩ ، و « الأكليل » للهمداني - الكتاب العاشر - ص ٤٣ .

(١٥) « تهذيب اللغة » للأزهري مطابع سجل العرب - القاهرة ٦٤ - ١٩٦٨ ، ج ١٢ ص ١٧٨ ، والبيت في « لسان العرب » (نصر) أيضاً .

(١٦) توفي نشوان سنة ٥٧٣ هـ ، وانظر « دراسات عربية وإسلامية » التي أهديت إلى محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين .

فأفخر بقحطانٍ على كلِّ الوري
وخلافة الخلفاء تحنُّ عيادُهما
فمتى تهمَّ يعزِّلُ وإنَّ نقدير
بهمما، ومثل ابنِ الزُّبيرِ القسور
وإذا غَضِبْنَا غَضَبَةً بِمَنْبَةِ
قَطَرَتْ صَوَارِمًا بِمَوْتِ أَحْمَرِ (١٧)

وكلُّ هذه القصائد قيلت بعد ظهور العصبية والتهاجي بين معدَّ
واليمن ، أي بعد أن قال الكسيت قصيدته الثوية المشهورة ،
فهذا نجد أنها تطرقت - بشكل مباشر أو غير مباشر - إلى الشمول
في المدح والذم . ولعلنا يمكننا القول إنَّ هذه القافية وهذا البحر
كانا مطبوعة شعراء عِدَّة قالوا في التفاحير والمنافرة بين قحطان
وعَدنان ، ولعلنا يمكننا أن نعدَّ قصيدتنا من جملة هذا الذي
قالوه ، أي أنها ليست ذات تميُّز وتفرُّد كتقصيدتي الآفوة والغند ،
بل هي من هذه القصائد التي شاعت في العصر الأموي وما بعده
واستمرت إلى أواخر القرن الهجري الماضي ، وقيل انتصاراً لقحطان
أو لعدنان .

والقصيدة - كما أسلفنا - اختلف في قائلها ، فمخطوطة دار الكتب
الوطنية في تونس تنسبها إلى « حَجَّين بن حِجْر الغساني » ، وقد
جاء في « الحماسة البصرية » (١٨) أن القصيدة تروى لحجَّين
ابن حِجْر الغساني أيضاً . ولهم أقع على خبر لحجَّين بن حِجْر هذا

(١٧) تسمى قصيدته هذه « الدامغة » ونشرها القاضي اسماعيل بن الاكوع
في المرجع السابق (ص ١١٧ - ١٢٠) وهي ٧٤ بيتاً ونشر نقيضتها للداعي
الحسن بن ادريس بن علي بن ادريس الاسماعيلي المعروف بالأنف (ص
١٢١) وأول هذه النقيضة :

نشوان مفتخر بقحطان على
عدنان جهلا بالعلی والمفخر
(١٨) « الحماسة البصرية » لصدرالدين بن أبي الفرج البصري - ج ١ ص ٢٠ .

مع طول ما بحثتُ عنه وسألتُ ، إلا أن مخطوطة تونس تشير إلى أن القصيدة من إنشاد « الصّاحب رحمه الله » . والصّاحب إسماعيلُ ابن عباد توفّي سنة ٣٨٥ هـ . على أن أوائل من وصلت إلينا عنهم رواية لبعض أبيات القصيدة أقدم من الصّاحب ، أولهم ابن دريد المتوفّي سنة ٣٢١ هـ ، الذي نقل القاضي في أماليه (٩) أنه قرأ بعض أبياتها عليه ، وكانت رحلة القاضي إلى الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ، أي بعد وفاة ابن دريد . فإن صحّت القصيدة كأنها لحجّين ، فهو ممن عاشوا قبل أوائل القرن الرابع الهجري ، وإن لم تصح له كلّها ، فقد عاش - دون شك - قبل وفاة الصّاحب .

أما العبدري فيقول في « رحلتي » (٢٠) : « وأنشدني (٢١) من حفظه قصيدة لم أقيف عليها تامّة » ، وأنشد منها أبو علي في نوادره (٢٢) أبياتاً ولم ينسبها هي قوله .

يلتقي السيوف بوجهيه وينحره ...

الأربعة الأبيات . وكذلك أنشدها أبو عبيد البكري في كتاب « التدرّب » (٢٣) غير منسوبة إلا لإنشاد العنبي . ووصلها بأبيات ونسبها في كتابه « اللّالي » (٢٤) لابن المولى وهو محمّد بن عبد الله ابن مسلم مولى بني عمرو بن عوف ... - (الأنصاريين) . ثم يشير إلى أنه أثبت القصيدة ببجائها لحسينها وإعوازها ...

(١٩) « الأمالي » لأبي علي القاضي - ج ١ ص ٤٣ .

(٢٠) رحلة العبدري - ص ٢٠ .

(٢١) يفهم من نص الرحلة أن المنشد هو الشاعر ابن خميس التلمساني .

(٢٢) الأبيات الأربعة المذكورة في أمالي القاضي ، وليست في نوادره .

(٢٣) « كتاب التدرّب والتّهذيب » ، في ضروب أحوال الحروب « للبكري »

ذكره في « معجم ما استعجم » ص ٦٢٧ .

(٢٤) « اللّالي في شرح أمالي القاضي » لأبي عبيد البكري - ص ١٨٢ .

وابن المتولي من شعراء الدوَلَتَيْنِ ، وتجاوز له القصيدة بكاملها ، فهو متقدم ومن موالى القحطانيين . وقد نسب القصيدة إليه أيضاً كل من ابن هذيل الأندلسي في « حليّة القُرْصَانِ » (٢٥) وصاحب « تمثال الأمثال » (٢٦) .

كما أننا نجد أحد أبيات هذه القصيدة في كتاب « وفيات الأعيان » (٢٧) منسوباً إلى ابن المتولي من ضمن كلمة له في مدح يزيد بن حاتم ، مما يجعلنا نضيف متأملين قبل أن نعزو كامل القصيدة إليه .

وإذا أعدنا النظر في القصيدة وفي شعر ابن المتولي الذي يرويه لنا الأصفهاني في « أغانيه » (٢٨) ازداد شكنا في أن تكون القصيدة بكاملها له . فشعره أشد أسراً وأقل محسنات لفظية من معظم أبياتها .

ثم نرى أن أبياتاً منها نسبت إلى علي بن محمد البصري صاحب الزنج في « البصائر والدخائر » (٢٩) و « صبح الأعشى » (٣٠) و « مجموعة المعاني » (٣١) . والقصيدة لا تجاوز له بكاملها ، فهي فخر بقحطان ، وصاحب الزنج قرشي عكوي كما كان يدعي .

(٢٥) ص ٢٣٠ ، وفيها : وقال محمد بن مسلم يمدح رجلاً .
(٢٦) كتاب « تمثال الأمثال » لأبي المحاسن العبدري الشيباني - ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢٧) « وفيات الأعيان » لابن خلكان - ج ٦ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .
(٢٨) « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني - ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٩٨ .
(٢٩) « البصائر والدخائر » للتوحيدي - ج ٤ ص ٦٦ .
(٣٠) « صبح الأعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي - ج ١٣ ص ٢٠٥ .
(٣١) « مجموعة المعاني » لمجهول - ص ٣٤ - ٣٨ .

ونجدُ صاحبَ « الحماسة البصرية » (٣٢) ينسبُ بعضها إلى عبدِ
المالكِ بنِ معاويةَ الحارثيِّ (أموي الشعر ؟) ، ولم أعرفه . ويعزو
صاحبُ « الفوائد المحصورة » (٣٣) بيتاً منها إلى عبدِ الملكِ بنِ
عبدِ الرَّحيمِ الحارثيِّ ، فلعلَّ ما جاء في « البصرية » وهمٌ .

وفي « نهاية الأرب » (٣٤) أحدَ عشرَ بيتاً من هذه القصيدة عزاهَا
التُّوَيْرِيُّ إلى بعضِ الشعراءِ ، وقال إنَّها تُروى لحسان . ومعظمُها ليس
منْ نِجاره ، على أنَّ هُناكَ يَتَمَيَّنُ منها في ديوانه (٣٥) أثبتهما الجامعُ من
مصادرٍ متعدِّدةٍ ، كلُّها تُرويهما لحسان .

أما بقيةُ المظانِّ التي حوتْ شيئاً منْ أبياتِ هذه القصيدة فلمْ
نعزُّها إلى أحدٍ أو عزَّزْها إلى أعْرابيٍّ ، فلا فائدةَ منها في تحديدِ قائلِ
القصيدة ، إلاَّ ما جاء في كتاب « المحاسنِ والمساوي » (٣٦) : فهوَ من
أقدمِ المصادرِ التي احتوتْ على أبياتٍ منها ، فالْبَيْهَقِيُّ عاشَ زمنَ القتلِ
(٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) . وإذا أمعَّنَّا النَّظْرَ في القصيدة وتركيبها وأسلوبها
وألْفاظُها ، كدُّنا نَجْزِمُ - كما جَزَمَ مِنْ قَبْلُ العلامةُ المِمْسِيُّ ، رحمه
الله - (٣٧) أنَّها لَيسَتْ لابنِ الموكِّي ولا لأعرابي ولا لحسان ولا للعكويِّ ،
- وأُضِيفُ : ولا لعبدِ الملكِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ الحارثيِّ - فإنْ صَحَّ شيءٌ منها
لأحدِ هؤلاء ، فإنَّما هي أبياتٌ مُلْحَقَةٌ بالقصيدة أصْطَرَفَها قائلُها
الناخِرُ زمناً ، ولعلَّه حُجَّتَيْنِ بنِ حِجْرٍ المذكورِ أو غيرهُ من الشعراءِ
الذينَ حطَّبوا في حَبْلِ قحطانَ واليَمَنِ .

- (٣٢) « الحماسة البصرية » - ج ١ ص ٢٠ .
(٣٣) الفوائد المحصورة في شرح المقصورة « لابن هشام اللخمي - ص ٢٣٦ .
(٣٤) « نهاية الأرب في فنون الأدب » للتويزي - ج ٣ ص ٢٠٣ .
(٣٥) « ديوان حسان بن ثابت » تحقيق د. وليد عرفات - ج ١ ص ٤٨٢ .
(٣٦) « المحاسن والمساوي » لابراهيم بن محمد البيهقي - ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٣٧) « اللآلئ في شرح أمالي القالي » ص ٢٨٧ - الحاشية .

أما الروايتان الكاملتان للقصيدة الثانی وصلتا إلینا ، فبینهما اختلافٌ في عدد الأبیات وروایة الأبیات ، فھي في المخطوطة من اثنتین وثلاثین بیتاً ، وفي رحلة العبدري من خمسة وثلاثین ، بینھا أربعة وعشرون بیتاً مشتركاً ، فيكون مجموع أبيات القصيدة التي بین آبدینا ثلاثة واربعین بیتاً ، لذلك لم أعتمد أياً من الروایتین علی أنّھا الأصل ، وفضلتُ أن أتبع أسلوب (الأصل المختار) مُتَقِيّاً خیر الروایات في نظري ، مع ذكر الخلاف في الرواية - إنْ وُجِدَ - ، واستعنتُ كثيراً في اختياري بالروایات المتعددة للأبیات التي وقعتُ علیھا من هذه القصيدة في المظان ، وربّما فضلتُ إحداھا علی نصّ الروایتین الكاملتین ، وقد بینتُ ذلك كلّهُ في الحواشي ، مع تعلیق توضیحیة أرجو أن أكون خدمتُ النصّ بها بما یزید في المنفعة ویسرّ الإفادة منه .

وصف المخطوط التونسي :

المخطوطُ مجموعٌ نفیسٌ من مخطوطات المكتبة الأحمدية ، كان رقمه القديم ٤٥٦١ ويحملُ حالياً في دار الكتب الوطنية التونسية رقم ١٥٨٨٨ . وهو مجلّدٌ یحتوي علی ثلاثة كُتُبٍ ، أوّلُها الواضح في مشكلات شعیر أبي الطیب المتنبي « لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، ویشملُ الأوراق التسع والعشرين الأولى ، وثانیها مُنتَخَبَاتُ أدبیةٍ من الشعر والنثر بخط ناسخ الكتاب الأوّل ، لعلّها من اختیار أبي القاسم أيضاً ، وتقع هذه المختارات في تسع وتسعين ورقة (من الورقة ٣٠ - ١٢٨) ، وثالثُها کتابٌ بخط مخالف هو « سیرُ الصّناعة » (في الانشاء والترسل) لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التمیمي البغدادي ، ویشتملُ علی الأوراق التسع والعشرين الأخيرة من هذا المجلّد .

ومقياسُ المخطوطة ٢٠ × ١١ سم ، ومسطرةُ الجزء الأول والثاني منها ٢٨ سطرًا في الصفحة الواحدة ، أمّا الجزء الثالثُ فمسطرتهُ ٢٢ سطرًا . وخطُّها نسخيٌّ مشكولٌ ، تغلبُ عليه الصَّحَّةُ ، لعلهُ من خطوطِ القرنِ الخامس الهجريِّ .

وتقع القصيدة المحقَّقةُ في الورقة الثالثة والسبعين من هذا السفر - وجهاً وظهراً - أي في الجزء الثاني منه - المنتخبات الأديبة .

وفيما يلي صورتان لوجه الورقة ٧٣ وظهرها من المخطوطة ، وفيهما نصُّ القصيدة .



[illegible]

تخريج القصيدة :

الآيات ١-٥ ، ١٩-٢٣ ، ٢٥ - ٣١ ، ٣٥ - ٣٦ ، ٤١ - ٤٣ في
المخطوطة التوثيقية (ق ٧٣) لحُجَيْنِ بْنِ حِجْرٍ الْغَسَّانِيَّ .

والآيات ١ - ٣ : ٥ : ٧ - ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ - ٢٦ ، ٢٨ ،
٣٠ - ٣٥ ، ٣٧ - ٤٢ في رِحْلَةِ الْبَدْرِيِّ (٢٠ ، ٢١) لابنِ الْمُؤَلَّى .

والآيات ١ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦
في نِهَاجَةِ الْأَرْبِ (٣ - ٤٠٣) لبعض الشعراء وتُرْوَى لِحَسَّانَ

والآيات ٣٠ ، ٣١ ، ٢١ - ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في زَهْرِ الْأَدَابِ (٨٤٥)
لأَعْرَابِيٍّ ، وفي الْمُخْتَارِ مِنْ شِعْرِ بَشَّارٍ (١٧٩) دُونَ عَزْوٍ ، وفي طِرَازِ
الْمَجَالِسِ (١١٨) دُونَ عَزْوٍ .

والآيات ٣١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في دِيْوَانِ الْمُعَانِي (١ - ٤٧ ،
٢ - ٦٥ - ٦٦) لبعض الإسلاميين

والآيات ٢٢ - ٢١ : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في الْحَمَاسَةِ الْبَصْرِيَّةِ (١ - ٢٠ -
٢١) لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْخَارِثِيِّ أَوْ لِحُجَيْنِ بْنِ حِجْرٍ الْغَسَّانِيَّ .

والآيات ٢٢ - ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٤ في تِمَثَالِ الْأَمْثَالِ (٣٠٤ - ٣٠٥)
لِابْنِ الْمُؤَلَّى وَالْأَوَّلَانِ لَهُ فِي حَلِيَةِ الْفَرَسَانِ (٢٣٠)

والآيات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في أَمْثَالِي الْقَالِي (١ - ٤٣) دُونَ عَزْوٍ ،
وَالْمُسْتَطَرَفِ (١ - ٢٣٢) دُونَ عَزْوٍ .

والآيات ٣١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ في الْمَحَاسِنِ الْمَسَاوِيءِ (٢ - ٢٦٠)
دُونَ عَزْوٍ .

والآيات ٢٢ ، ٢١ ، ٢٣ في الْغُرَرِ وَالْعُرَرِ (٣٢٦) دُونَ عَزْوٍ .

والأبيات ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ في صُبحِ الأعشى (١٣ - ٢٠٥) للعلويّ
البصريّ صاحب الزنج .

والبيتان ٢٢ - ٢٣ في مَجْموعةِ المعاني (٣٨) للعلويّ البصريّ ،
وفي الصّناعَتَيْنِ (٢٣٧) دونَ عزو .

والبيتان ٢٥ - ٢٦ في ديوان حَسّان (١ - ٤٨٢) له ، وفي مَجْموعةِ
المعاني (٣٤) للعلويّ البصريّ ، والمصباح (٩) دونَ عزو ، واللائئ
(٢٨٧) دونَ عزو .

والبيتان ٢٢ ، ٢٤ في اللائئ (١٨٢) لأبنِ المتولّى .

والبيت ٢٢ في القوائِدِ المحصورة (٢٣٦) لعبدالمكّ بنِ عبْدِ الرّحيم
الخارثيّ .

والبيت ٢٦ في شفاء الغليل (٣٩) دونَ عزو .

والبيت ٢٤ في وفياتِ الأعيان (٦ - ٣٢٦) لأبنِ المتولّى آخر أبياتٍ
أربعةٍ في مدحِ يزيدَ بنِ حاتمٍ ليستُ من القصيدة .



القصيدة :

- ١- أنسيمُ ريقكُ أخْتِ آلِ العنبرِ
- ٢- ونظامُ ثَغْرِ ما أرى أَمَ لَمَحَةٍ
- ٣- أودُ عَتيّني وَجْمالُ وَجْهكَ حِرْقَةٍ
- ٤- ونَشَرْتُ فَرْعاً فَوْقَ بَدْرِ زَاهِرٍ
- ٥- قُوْلِي لِطَرَفِكَ أَنْ يَرُدَّ عَنِ الْحِشَا
- ٦- إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا فِي جَسْمِهِ
- ٧- وانْهِيَ جِمالِكَ أَنْ يَصِيبَ مَقَاتِلِي
- ٨- إِنِّي مِنَ الثَغْرِ الَّذِينَ جِيَادُهُمْ
- ٩- فَأَثَرُنَ نَقْعاً مَا انْتَشَتْ أَثْنَاؤُهُ

١ - في نهاية الأرب :

أنسيم ريك أم خيار العنبر

٢ - في الرحلة : ثغرك ، نرى ، لمعة ، وفي المخطوطة : انظام .

٣ - في الرحلة : الهبت .

٥ - في الرحلة : لدغات (ولعل صوابها : لدعات) ، أهرج (هكذا دون باء .

والرحلة تحذف جميع الياءات في نهاية الأبيات من هذه القصيدة ، وهي كتابة جائزة) . وفي نهاية الأرب : لطيفك أن يصد ، نيران الاسى .

٧ - في الرحلة : فتصيب قومك . وفي نهاية الأرب : وانهي رمانك أن يصبين ، فينال .

٨ - في الرحلة : من القوم ، هبت ، كسرى . وفي نهاية الأرب : انا ،

كسرى . واخترت بصرى لأن مايلي مباشرة يتناول الروم . وفتح بصرى الشام خالد بن الوليد في مقاتلته الذين جاء بهم من العراق (الكامل ٤٠٩/٢) ، ولا فخر لقحطان خاصة في فتح بصرى ولا في حرب كسرى ، فقد شارك القحطانيون والعدنانيون فيهما ، وكانت القيادة للعدنانيين في الغالب .

٩ - في المخطوطة : فنشرن نقعا ما التوت - واخترت : فائرن لكونها في التنزيل

(فائرن نقعا) ، واخترت : انتشت اثناؤه لزيادة الجنس في البيت لما رأيت للشاعر من تتبع للمحسنات اللفظية في كثير من أبيات هذه القصيدة . وما ذكرت في تعليقي على حرب كسرى يسري على حرب قيصر أيضا .

- ١٠- وسلبن تاج الملك غصباً بالقنا
 ١١- آباءه من كهلان أرباب العلى
 ١٢- قدنا من اليمن الجياد فما اثنت
 ١٣- ضربت بلاد الصين بالبيض التي
 ١٤- وطوين ما بين الشام وفارس
 ١٥- وطورت مسرقتاً بكل مثقف
 ١٦- أولاد جفنة معشري وكأنهم
 ١٧- وطئت بيدر من قرش خيلنا
- وأجزن باب الدرب درب الأصفر
 وبنو الملوك عومتي من حمير
 حتى احتوت بالعين مهجة يعبر
 ضربت بها كسرى صيحة تستر
 بالحارث الحراب وابن المنذر
 لهج بأحشاء القواريس أسير
 آساد غيل فوق خيل ضمير
 ساداتها تحت القنا المتكسر

١٠ - في الرحلة : فسلبن ، آل الأصفر ، وفي نهاية الأرب : وسلبن تاجي ملك قيصر بالقنا ، واجتزن ، لابن الأصفر والدرب جبل بين عمورية وطرطوس ذكره امرؤ القيس بقوله : « بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه » . وما عرفت فخراً خاصاً لقحطان متعلقاً به .

١١ - في الرحلة : آباي (ولا يستقيم بها الشعر) : أرباب الوري . وآباء في البيت يحذف باء المتكلم كما جاء في التنزيل : (ربي اكرم) . ولم أفد من هذا البيت في ترجيح نسبة القصيدة ، لأن الانتصار وغسان وبنو الحارث بن كعب كلهم من كهلان .

١٢ - يعور اسم ملك الصين ومعناه ابن السماء (مروج الذهب ١/١٥٨) : وهو يعفور في الكامل (٣١٩/٧) مع النص على وروده في نسخة لعمرؤ . وكان قائد العرب المنتصر على ملك الصين في معركة اطلس (أو طازار) يزيد بن صالح الحارثي ، فهذا فخره بفزو الصين .

١٣ - في الرحلة : ضربوا (في الموضعين) . وقد عرفنا فخر الشاعر بفتح الصين ، أما فخره بتستر فان أبا موسى الأشعري كان على البصرة ، فأمره عمر بارسال بعث الى تستر ففعل ، وكان هو مع البعث على أهل البصرة .

١٤ - في الرحلة : والامن (لعلها : لامن) بدلا من : وطوين . وفيه ايضا : بالحارث الجفني .

١٦ - أولاد جفنة غسانيون من ملوك الشام .

١٧ - يفخر بانتصار المسلمين على قرش يوم بدر ، وكان اكثر المسلمين من الانتصار ، غير انه لم يكن لهم خيل في ذلك اليوم .

- ١٨- وَتَصْرُنَ فِي الْأَحْزَابِ حِزْبَ مُحَمَّدٍ وَكَسَوْنَ مُؤْتَةَ ثَوْبَ مَوْتٍ أَحْمَرٍ
١٩- وَطَوَيْنَ يَوْمَ الْفَتْحِ شُرُكًا ظَاهِرًا وَكُشْنَ أَثْوَابَ الْهَدَى فِي خَيْبَرٍ
٢٠- وَطَلَعْنَ مِنْ رَجَوِيٍّ حَنِينٍ شَرْبًا يَحْمِلْنَ كُلُّ لَيْلٍ حَرْبٍ مَسْفَرٍ
٢١- مَا إِنْ يَرِيدُ إِذَا الرَّمَاخُ شَجَرَتْهُ دِرْعًا سَوَى سِرْبَالٍ طَيْبِ الْعُنْصُرِ
٢٢- يَلْفَى السُّيُوفُ بَوَجهِهِ وَبَنَحَرِهِ وَيَقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفِرِ
٢٣- وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لِسَبَا الْقَنَا فَتَعَفَّرَتْ رُكْنُ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْفَرِ
٢٤- وَإِذَا الْقَوَارِسُ عَدَدَتْ أَبْطَالَهَا عَدُوَّهُ فِي أَبْطَالِهِمْ بِالْخِنْصَرِ
٢٥- وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصٌ ضَيْفَ مَقْبَلِ مُتَسَرِّبِلِ أَثْوَابِ مَحَلِّ أَغْبَرِ

١٨ - كان معظم المسلمين في غزوة الخندق (الأحزاب) من الانصار . اما يوم مؤتة فكان عبدالله بن رواحة الانصارى ثالث الامراء الذين استشهدوا فيه .

- ٢٠ - في الرحلة : من أرجا حنين شرقا .
٢١ - في الرحلة وزهر الآداب والمختار : تساجرت . وفي المحاسن والمساوى : ما ان يزال ، متسرّبلا سربال .
٢٢ - في المخطوطة والمستطرف : بصدرة . وفي المختار : الرماح . وفي المحاسن والمساوى : الرماح بصدرة . وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب : الرماح بوجهه وبصدرة .
٢٣ - في الصناعتين وديوان المعاني ونهاية الأرب وصبح الاعشى : فهدمت ركن .
٢٤ - في وفيات الاعيان - من شعر لابن المولى في مدح يزيد بن حاتم لا علاقة له بالقصيدة هذه - عدوك .
٢٥ - في ديوان المعاني والمختار والمصباح : سربال ليل . وفي القالي : أثواب عيش (وفي نسخة : محل) . وفي صبح الاعشى : طارفا متسرّبلا سربال ليل . وفي نهاية الأرب : سربال ثوب . وفي ديوان حسان : محل مقفر . وفي زعر الآداب وتمثال الامثال : سربال محل . وفي المستطرف : واذا تراءى شخص ..

- ٢٦- أَوْماً إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقُ
تَحَرَّتْنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْجُرِي
٢٧- غَسَّانَ قَوْمِي مَا عَدَدْتَ فَعَالَهُمْ
إِلَّا مَشَيْتُ عَلَى رِقَابِ الْمُفْخَرِ
٢٨- فَإِذَا أَرَدْتَ بَأْنَ تَرَى أَسَدَ الشَّرَى
فَدَعِ الرُّمَاحَ لِيَطِيءَ وَالْأَشْعَرِ
٢٩- سَائِلِ يَفِيئِ الرِّيحِ عَنَّا عَامِراً
هَلْ بَاتَ ذَا سَهَرٍ لَطَعْنَةَ مُسْهِرِ
٣٠- كَمْ قَدْ وَكِدْنَا مِنْ رَيْسِ قُصُورِ
دَامِيَ الْأَطَاغِيرِ أَوْ رَيْعِ مُنْطِيرِ
٣١- سَدَكْتُ أَنْأَمْلُهُ بِقَائِمِ مَرْهَفِ
وَبِنَشْرِ فَائِدَةٍ وَذُرُوءِ مَنِبْرِ
٣٢- إِنْ مَرَّ يَوْمٌ لَمْ يَفِدْ أَكْرُومَةٍ
يَعْلُو الْأَتَامَ بِبَعْضِهَا لَمْ يُعْذَرِ
٣٣- نَحْنُ الَّذِينَ نُدَلُّ أَعْنَاقَ الْعِدَى
وَتُعْزُّ بِالْمَعْرُوفِ ذُلَّ الْمُعْسِرِ
٣٤- نَزَعِي الْجَوَارَ وَلَا نَجُورَ عَلَى الْوَرَى
وَيَتَبِيتُ فِينَا الْوَقْرَ غَيْرَ مُوقِرِ

٢٦ - في الرحلة وزهر الآداب والمحاسن والمساوى والمستطرف وديوان المعاني والمصباح ونهاية الأرب : تنحر . وفي الآلاء (٢٨٧) فقوت ركن المجد ان لم تعقري (وهو عجز البيت ٢٣) . وجاء في الرحلة : الى الكرماء ، وهو خطأ طباعة .

٢٨ - في الرحلة : فدع الصدام للذبح . ومدحج وطيء والأشعر من قبائل قحطان .

٢٩ - كان يوم فيف الرياح بين بني عامر وبني الحارث بن كعب وأحلافهم من مدحج وخثعم ، وانتصف القوم بعضهم من بعض . وفي هذا اليوم عام مسهر بن يزيد بن عبد يغوث عين عامر بن الطفيل . (وانظر : أيام العرب ٢/٤٦٥) .

٣٠ - في المخطوطة : من شتم قسور . وفي زهر الآداب : قد ولدتم ، في الخميس المطر . وفي نهاية الأرب : من كريم ماجد .

٣١ - في الرحلة : في يوم ملحمة وذروة منبر . وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب : خلقت أنامله لقائم . وفي المحاسن والمساوى : بقائم سيفه . وفي المختار : بنشر فضيلة وبيت فائدة . وفي ديوان المعاني (ج١) ولبت فائدة ، و (ج٢) : ولبت عارفة . وفي نهاية الأرب : ولبدل مكرومة . وفي زعر الآداب : وجذوة منبر

عرض المكتب

خطط البصرة ومنطقتها

الدكتور أحمد مطلوب

عضو المجمع

اهتم الباحثون بالبصرة بعد تحضيرها ووضعت فيها كتب لم يصل منها الا ما نقلته المصادر المختلفة ، وعني الدارسون في هذا القرن بها وظهرت كتب وبحوث تنطرق الى خططها وحياتها الاجتماعية والاقتصادية والأدبية واللغوية ، وكان الدكتور صالح أحمد العلي قد شغف بها منذ وقت مبكر ووضع كتاباً عن أهم ماصدر عنها وهو « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » . ولم يقف جهده ، عند هذا الكتاب وانما تابع البحث في تاريخ البصرة فنشر في عام ١٩٥٢ بحثين بعنوان « خطط البصرة » . وكان آخر ماصدر له عن المجمع العلمي العراقي كتاب « خطط البصرة ومنطقتها » وهو « دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الاولى » . والكتاب الجديد ككتبه السابقة ، فيه الاستقصاء وتمحيص الروايات وتدقيقها والحكم السليم المبني على صحة المعلومات التاريخية ودقتها ، وهو منذ أن تأسست عليه قبل أكثر من ثلث قرن يعنى بمصادر البحث وفقدها قبل الخوض في المادة العلمية ودراستها وتحليلها ، وهذه مسألة مهمة في الدراسة العلمية الجادة لانها توصل الى الحقيقة أو تقترب منها كثيراً .

يبدأ الكتاب بمقدمة تلقى ضوءاً على موضوعه وتحدد أهدافه ، فهو « دراسة المعالم الخططية في البصرة ومنطقتها وما يتصل بذلك من المعالم

الأرضية ومواقع الاسكان والمنشآت العمرانية ابان العهود الاسلامية الاولى « وهو » يشمل توزيع السكان على خططها والمعالم العمرانية في كل خطة وفي المدينة وكذلك تحديد مواقع الانهار والمزارع في الجانب الغربي من نهر شط العرب في العهود الاسلامية الأولى « وما يتعلق بكور دجلة » المتصلة بالبصرة جغرافيا واداريا « ودراسة الجباية في هذه المناطق » .

وكان الفصل الأول في مصادر البحث ، وقد قدم الدكتور صالح أوفى قائمة بالموضوع ، ولم يقف عند عرضها فحسب وانما صنفها وحللها وبيّن قيمتها وأهميتها في الدراسة التاريخية ، واعتماد اللاحق على السابق ولو وصلت الكتب القديمة كلها لأعطت صورة جلية لمدينة البصرة التي كان لها تأثير في الحياة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والأدبية . وقد استطاع المؤلف أن يصور هذه المدينة ويرسم منطقتها بما تيسر له من نصوص حفت بها المصادر القديمة ، وكانت للمراجع الحديثة ترغد ولا تحدد ، لأنها اقتبست من القديم وهو ما أحاط به المؤلف احاطة العالم الخبير .

وكان لابد من أن تحدد منطقة البصرة قبل البدء بدراسة خططها ، وتكفل الفصل الثاني برسمها ، فقد بنيت « في منطقة مستوية خالية من المرتفعات الطبيعية » ولم يعرف من المرتفعات فيها غير جبل سنام وسفوان « وهما » يبعدان عن موقع المدينة حوالي خمسين ميلا « والمنطقة » منخفضة لايزيد ارتفاعها عن سطح البحر اكثر من أربعة أمتار ، فهي بطيئة الانحدار ويبلغ معدل انحدار الأرض فيها حوالي ١ - ٢٠٠٠٠ ، غير أن الأراضي في اطرافها تزداد ارتفاعاً على ذلك « . وأدى هذا الموقع الى شحة المياه في البصرة ، وقد عبّر الأحنف بن قيس عند ما وفد على الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : « ان اخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم

الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وانا نزلنا سبخة ناشاة لايجف نداها ، ولا ينبت مرعاها ، ناحيتها من قبل المشرق البحر الأجاج ، ومن قبل المغرب القلابة ، فليس لنا زرع ولاضرع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء النعام ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة لذلك فتريق ولدها كما يريق العتر ، يخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فلا ترفع خسيستنا وتجبر فافتنا نكن كقوم هلكوا » . واستجاب الخليفة لطلب الأخنف وأمر بإيصال نهر الأبله الى الرقعة التي بنيت عليها البصرة وهي على بعد أكثر من عشرين كيلو متراً عن دجلة البصرة ، ووفر مد هذا النهر الماء للمدينة البصرة وان لم يسد حاجة السكان بعد اتساع المدينة . إذ شق لها زياد نهر معقل شمالي نهر الأبله مسلكا للسفن إليها ، ثم وصل النهزين بنهر ثالث ، فارتوت المدينة وبدأ الناس باستصلاح الأراضي السبخة وزراعتها : وأخذت بساتين النخل والارانب تتسع وبدأت الحقول تثمر ، وكان لذلك أثر كبير في اتساع النشاط التجاري ، وازدهار الاقتصاد ، وظهور الرفاهية في المجتمع البصري .

كان الفصلان ، الأول والثاني مقدمة لدراسة خطط البصرة ، وجاء الكتاب في ثلاثة أقسام :

- الأول : خطط مدينة البصرة ومعالمها العمرانية .
- الثاني : أطراف البصرة .
- الثالث : كور دجلة وأرض البصرة وجبايتها .

وتكفلت الفصول الستة عشر بدراسة هذه الموضوعات إذ تحدث الثالث عن تأسيس البصرة ونموها ، وكان الهدف من تأسيسها أن تكون « قاعدة للجيوش الاسلامية التي توجهت في أول زمن خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من جزيرة العرب للقضاء على الفرس وانهاء حكمهم وضم

البلاد الى الدولة الاسلامية . وكان عتية بن غزوان قد توجه الى منطقة البصرة وأقام بالخريبة على طرف الصحراء وهي اكثر أمانا للمقاتلة ثم اختار موقع البصرة وبنى فيها المسجد الجامع والرحبة ودار الامارة ، ثم قسمها الى خطط سكنت كلاً منها عشيرة وسميت باسم العشيرة التي سكنتها ، واحتفظت معظم هذه الخطط باسمائها بضعة قرون ، وأخذت البصرة تنمو وتنشأ في أطرافها القصور وتنشع حياتها الاقتصادية بعد أن تحرر العراق وفتحت البلدان وتعاقبت القرون ، وهي تحمل لواء العلم والعرفان وتتحدى الغزاة وكان آخرها وقفها الشامخة بوجه الغزو الفارسي الذي لم يحقق أهدافه على الرغم من امتداد الحرب ثمانية أعوام .

ومضى المؤلف بعد هذا التمهيد الى الحديث عن المسجد الجامع والرحبة ودار الامارة ، وعن الأخماس التي يمثلها أهل العالية وتسيم وبكر وعبد القيس والأزد ، وإلى وصف المعالم العمرانية في الأطراف الغربية كالمرهب الذي كان مدخل البصرة الغربي من جهة الصحراء .

وعقد الفصل الثامن للمعالم العمرانية في الاطراف الشمالية كالطفوف وفيها يقع قصر أنس بن مالك الصحابي الذي استوطن البصرة منذ بداية تأسيسها ، وكانت منطقة القصر نزهة وصفها الشعراء فقال الخليل بن أحمد :

زر بادي القصر نعم القصر والبادي

لابد من زورة في غير ميعاد

ترى به السفن كالطلسلحان واقفة

والقصب والنون والملاح والحادي

وتحدث المؤلف عن بعض السكك ووقف طويلا عند الخريبة التي ظلت عامرة زمنا طويلا . وتلا ذلك الفصل التاسع وهو في المعالم العمرانية الأخرى كالسقوف والحمامات وسور البصرة ، وبانتهائه كان القسم الثاني من الكتاب في

أطراف البصرة ، وكان الكلام فيه وافيا على البطيحة ونهر عمر ، وأنهار الجانب الغربي من دجلة ونهر معقل والكحلاء ، والأنهار المتفرعة من نهر معقل ، ونهر الأبله وشط عثمان ، والأنهار الآخذة من الأبله ، وأنهار الأطراف الجنوبية ، ونهر أبي الخصيب وما حوله . وتدل هذه الأنهار وفروعها الكثيرة على عناية عظيمة بالري وحسن التدبير في انعاش اقتصاد البصرة ونسوه . وقد لقيت هذه الأنهار اهتماما كبيرا من الباحثين المحدثين ، وذكرها كثيرا من اسمائها مما كان قائما في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وقد ذكر إبراهيم قصيص الحيدري في كتابه « عنوان المجد » مايجري في الجانب الغربي من العشار الى الفاو أسماء ثلاثة وثلاثين نهرا ، ومن العشار الى الهائرة تسعة أنهار ، وأشار الى عدد مما يتفرع من بعضها وذكر من الأنهار التي تأخذ من شرقي شط العرب اسماء اثنين وعشرين ، وذكر أسماء عدد من الأنهار التي تأخذ من الجانب الشرقي جنوبي عبادان ، وأشار الى بعض جزر شط العرب وعقد محمد النبهاني في كتابه « التحفة النبهانية » فصلاً عن أنهار البصرة وذكر أن شط العرب العرب يتفرع منه نحو (٤٧٠) نهرا في الجانب الغربي و (١٦٧) نهرا في الجانب الشرقي ، ثم ذكر أسماء (١٧٠) نهرا مما يأخذ من الجانب الغربي . واسماء (٣٨) من أنهار المقاطعات الشرقية من القرنة الى الجنوب . ونشر باش أعيان في مجلة « لغة العرب » عام ١٩١٣ م . أسماء أنهار شط العرب في جانيه الغربي والشرقي وعدد اسماء (٤٧٠) نهرا في الجانب الغربي من القرنة الى الفاو ، و (١٦٤) نهرا في الجانب الشرقي الى المحمرة . ونقل الدكتور محمد طارق الكاتب في كتابه « شط العرب وشط البصرة » ماجاء في كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري و « معجم البلدان » لياقوت الحموي عن أنهار البصرة ، وأضاف معلومات نافعة عن موقع نهر معقل والأبله . كانت هذه الأنهار مثار عناية الباحثين ، وانتفع الدكتور صالح بالمصادر

القديمة والمراجع الحديثة وتكلم عليها كلاماً علمياً فيه التصنيف الدقيق والتحديد الواضح . وقد تكون دراسته للانهار دافعا الى الاهتمام بمنطقة البصرة و احياء أنهارها المهمة لتنشط الزراعة ، ويزدهر العمران ، وبعث الخير والرخاء .

وجاء القسم الثالث في كور دجلة وأطراف دجلة البصرة ، وقد تضمن فصلا من منه بحث أرض الجانب الغربي من دجلة ، وكور دجلة وهو من سواد البصرة الذي يشمل الأحواز وفارس أيضاً . وانتهى بالفصل الثامن عشر وهو في جباية البصرة وأرضها ، وهو بحث مالي يلقي ضوءاً على التنظيمات الاقتصادية في العهود الإسلامية الاولى .

وختم المؤلف كتابه بضميمة ذكرت المعالم العمرانية في البصرة ، وهي تيسر له تحديد مواقعها ك بعض المساجد ، والقصور والدور والمحلات ، والانهار والقطائع . وهذا يدل على نزعة العلمية ودقته إذ أشار إليها ولم يخض في بحثها وتحديد مواقعها ، وتركها لمن تيسر له المصادر والمعلومات الدقيقة .

هذه جولة في كتاب « خطط البصرة ومنطقتها » للاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي ، وقد صدر عام ١٩٨٦ البصرة تتعرض للعنوان الفارسي الغاشم ، وهو وثيقة حية تشهد لما لهذه المدينة من أصالة ، ومالها من أثر في الحياة العلمية في الوطن العربي والعالم الاسلامي . ولعله يكون دعوة للباحثين الى دراسة هذه المدينة في ضوء التنقيبات الأثرية ، وفي ضوء التطور الذي مس جوانبها ، والمكتبة الجغرافية والتاريخية قد اغنت بهذا الكتاب الا أن هناك دراسات كثيرة تنتظر من ينهض بها . ويقيم نخطيطا للبصرة الحديثة كما أقامه القدماء والدكتور صالح ، وفي ذلك ارساء لحركة علمية تكون امتدادا للماضي واستشرافا للمستقبل ، وتحليدا لمدينة المدن .

مطبوعات المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٨٨

اعداد : صباح ياسين الاعظمي
مدير مكتبة المجمع العلمي العراقي

١ - الادلة الرسمية في التعاوي الحربية .

تأليف ، محمد بن منكلي (٧٨٤ - ١٣٨٢ م) ، حققه وكتب مقدمته
اللواء الركن محمود شيت خطاب ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي
العراقي ، ١٩٨٨ ، ٢٧٢ ص .

٢ - الدولة في عهد الرسول (ص) .

المجلد الاول ، يبحث في تكوين الدولة وتنظيمها .
تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي
العراقي ١٩٨٨ ٢٤٧ ص .

٣ - الدولة في عهد الرسول (ص) .

المجلد الثاني ، يبحث في تثبيت الدولة وتوطيدها في عهد الرسول (ص)
وأبي بكر ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٨ ، ٤٢٣ -
٦٢٧ ص .

٤ - الادوية والادواء في معجم تاج العروس .

تأليف ، الدكتور هاشم طه شلاش ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي
العراقي ١٩٨٧ ، ١٠٥ ص .

٥ - رحلة اوليقيه الى العراق (١٧٩٤ - ١٧٩٦ م)

ترجمة ، الدكتور يوسف حبي ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .

١٩٨٨ ، ٢٧٨ ص .

٦ - روضة المحاسن وعمدة المحاسن .

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ (الجزار السرقسطي)
وفصول من كتابه - بادرة العصر وفائدة المصير ، صنعة أبي عبدالله
محمد بن عبدالله بن مطروح السرقسطي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . تحقيق
ودراسة الدكتور منجد مصطفى بهجة ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي
العراقي ، ١٩٨٨ ، ٢٤٠ ص .

٧ - فنون الاطفال في عجائب علوم القرآن .

تأليف ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)
تحقيق ، الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي . بغداد ، مطبعة المجمع
العلمي العراقي ١٩٨٨ ، ٣٦٤ ص .

٨ - مصطلحات علم الري والبزل وعلم التربة ، انكليزي - عربي .

اعداد ، لجنة الزراعة في المجمع العلمي ، أقرها مجلس المجمع .
بغداد - مطبعة المجمع ١٩٨٧ ، ١٧٩ ص .

٩ - مصطلحات علم البستنة ، انكليزي - عربي .

اعداد ، لجنة الزراعة في المجمع العلمي العراقي ، أقرها مجلس المجمع .
بغداد - مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧ .

١٠ - مصطلحات علم الفابات وعلم المراعي ، انكليزي - عربي .

اعداد لجنة الزراعة في المجمع العلمي العراقي ، أقرها مجلس المجمع .
بغداد - مطبعة المجمع ١٩٨٧ .

المجلات

- ١١ - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد التاسع والثلاثون ، الجزء الاول .
آذار ١٩٨٨ . بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٣٢٥ ص .
- ١٢ - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد التاسع والثلاثون - الجزء الثاني .
حزيران ١٩٨٨ . بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٣٣٠ ص .
- ١٣ - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد التاسع والثلاثون - الجزء الثالث .
١٩٨٨ ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ٣٦٨ ص .
- ١٤ - مجلة المجمع العلمي العراقي - الهيئة الكردية - المجلد السادس عشر والسابع عشر مزدوج ، بغداد - مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧ ،
٥٧٢ ص .
- ١٥ - مجلة المجمع العلمي العراقي - العدد الخاص بهيئة اللغة المريانية .
المجلد الحادي عشر ، بغداد ١٩٨٧ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،
٤٢٠ ص .

الفهرس

الصفحة

٥	اللواء الركن محمود شيت خطاب طارق بن زياد (فاتح شطر الاندلس)
٥٧	الشيخ محمد حسن آل ياسين مسائل لغوية في مذكرات مجمعية
٩١	الدكتور نوري حمود القيسي ومنذر رديف العاني معجم الامراض في لسان العرب
١٥٢	الدكتور احمد مطلوب لغة المتقفين
١٦٩	الدكتور علي اسحاق عبداللطيف ثلاث ازواية بالتعارب والالات الميكانيكية
١٩٦	خالد احمد السامرائي معادلات الدرجة الثالثة فما فوق عند العرب
٢١٧	الدكتور محمد ضاري حوايي التعبية بالباء في تحقيقات اللغويين
٢٤٤	الدكتور فاضل صالح السامرائي المعاني المشتركة بين حروف الجر
٢٦٢	الدكتور حاتم صالح الضامن رسالة الخط والقلم (المنسوبة لابن قتيبة) - تحقيق
٢٩٣	الدكتور عدنان محمد سلمان حقيقة اللفظ ومفرداتها
٣٣١	المهندس حاتم غنيم قصيدة قحطانية نادرة (تحقيق)

عرض الكتب

٣٥٢	الدكتور احمد مطلوب خطوط البصرة ومنطقتها
-----	--

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريد
تدفع قيمة الاشتراك سلفاً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٨

JOURNAL of the IRAQ ACADEMY



Volume 39

Part (4)

PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD
1409 = 1988